

قصة وتاريخ الحضارات العربية

أول موسوعة من نوعها حديثة وباللوان تعالج نشأة البلدان العربية وأحداثها حتى أيامنا هذه

٢٥ - ٢٦

تاريخية - جغرافية - حضارية وأدبية

شعراء العرب
وأدباؤهم

(من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي)

Edito Creps, INT- 1998 -1999

BEYROUTH ,TEL :01/586207 - 01/586219 - 03/240824 - FAX 009611584391

جميع حقوق النشر و الطبع و الإقتباس محفوظة للناشر في جميع أنحاء العالم

Tous droits réservés dans le monde.
Reproduction même partielle interdite

All rights reserved throughout the world.
No part of this publication may be reproduced in any form

قصة

و

تاريخ

الحضارات العربية

٢٥ - ٢٦



الفصل الاول

العصر الجاهلي

الشعراء الصعاليك

الشعراء الصعاليك هم جماعة من شذاذ العرب الذين عاشوا بعيداً عن الحياة القبلية، في القفار ولا رفيق لهم سوى التشرد والفقر. وكانوا يعتاشون من خلال الإغارة على قوافل البدو والحضر لسلبها ما تحمله من أشياء ثمينة، ثم يعودون إلى معاقلهم. ونادراً ما كانوا يلاحقون لأنهم كانوا سريعين في العدو ومضطلعين بأسرار الطرقات ومسالكها السهلة أو الوعرة.

كانوا أشداء، يتمتعون بالصبر والشجاعة والكرم؛ فهم، ولو كانوا يغيرون على قوافل الأغنياء، فإنهم كانوا يساعدون الفقراء والمحتاجين. كذلك، برع هؤلاء في نظم الشعر الذي تميّز بالصدق والعفوية.

١ - ثابت بن أوس الأزدي: عُرف باسم «الشنفري». عاش خلال القرن السادس للميلاد؛ إلا أن تاريخ ميلاده غير معروف.

نشأ في قبيلة الأزدي، ولما تخلى قومه عنه هجرهم. وكان أشهر عدائي العرب، بحيث لم تكن الخيل تدركه. وقد ضرب المثل بسرعته، ف قيل: «أعدى من الشنفري».

عاش مع أصحابه الصعاليك العدائين، وامتهنوا النهب والسلب والغارات الليلية على النساء والأطفال والرجال.

عادى الشنفري بني سلامان وأقسم على أن يقتل منهم مئة شخص. واستطاع رمي تسعة وتسعين منهم بسهامه وقتلهم. إلا أن بني سلامان استطاعوا، بمساعدة عداء يدعى أسيد بن جابر، الإمساك به وقتله. وقطعوا رأسه وطرحوه إهانة له. ويروى أن رجلاً منهم رفس جمجمته في أحد الأيام، فدخل عظم منها في رجله، فالتهمت ومات منها. وهكذا، استطاع

الشنفرى أن يفني بقسمه، حتى بعد موته. وقد رثاه الصعلوك تأبط شراً بعد وفاته قرابة العام ٥٢٥.

٢ - عروة بن الورد: هو أبو نجدة عروة بن الورد العبسي، ولقب بعروة الصعاليك لأنه جمعهم حوله واهتم بتأمين حاجاتهم عندما كان يصيبهم العوز. كان شجاعاً وجوّاداً وكريم النفس حتى أن الخليفة الأموي قال فيه: «من زعم أن حاتمًا أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد». وكرمه هذا لم يتح له أن يحفظ لنفسه شيئاً مما كان يكسب؛ فكان متى أصابه العوز، قصد أحد الذين أحسن إليهم وعاد من عنده خائباً! ورغم ذلك، لم يكن يتوقف عن الإحسان إلى أشخاص جدد.

عاش عروة في بلاد نجد وأطراف الحجاز حيث كان ينفذ غاراته التي قتل في إحداها على يد رجل من طهية، قرابة العام ٦١٦.

شعر عروة تسجيل لوقائع حياته وتعبير عن طباعه وأخلاقه. وقال عنه أبو فرج الأصفهاني في كتابه «الأغاني»: «قيل إن عروة بلغه عن رجل من بني كنانة من خزيمة أنه من أبخل الناس وأكثرهم مالاً. فبث عليه عيوناً فأتوه بخبره. فشدد على إبله فاستاقها، ثم قسمها على جماعته». وقال:

ما بالشراء يسود كل مسود مثر، ولكن بالفعل يسود
فلذا غنيت فلان جاري نيله من نائلي، وميسري معهود
ومن شعر عروة أيضاً، قوله:

دعيني للغنى أسعى فلاني رأيت الناس شرهم الفقير
ومن أقواله أيضاً:

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه شكا الفقر. أو لام الصديق فأكثرا
وما طالب الحاجات من كل وجهة من الناس، إلا من أجدّ وشمرا
فسير في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

شعر عروة يعكس الحياة البدوية العفوية وما تتميز به من الكرم

والأخلاق الرفيعة والشهامة، ويكاد يخلو من البكاء على فراق الأحبة والوقوف على الأطلال، وغيرها من الخصائص التي تميّز بها الشعر الجاهلي.

٣ - تأبط شرّاً: هو ثابت بن سفيان الفهمي المضري. أما لقبه «تأبط شرّاً» فتدور حوله روايات مختلفة. فقد ذكر أنه رأى كبشاً في الصحراء، فحمله تحت إبطه، فأخذ يبول عليه، فلما قرب الحي ثقل عليه الكبش، فرمى به فإذا هو الغول، فقال له قومه: ما كنت متأبطاً يا ثابت؟ قال: الغول، قالوا: لقد تأبطت شرّاً، فسَمّي بذلك.

٤ - السُّليكَ بن السُّلَكة: هو السُّليكَ بن عمرو بن الحارث من قبيلة تميم. كان من الصعاليك العدائين، وكانت معظم غاراته تتركز على اليمن. كان أدلّ الناس بالأرض وأدراهم بمسالكها، وأشدّهم عدواً على رجله، حتى أن الخيل لم تكن تستطيع إدراكه. ومن أقواله: «اللهم إنك تهتّىء ما تشاء إذا شئت، اللهم إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً، ولو كنت امرأة كنت أمة، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة، وأما الهيبة فلا هيبة».

مات قتلاً على يد رجل من خثعم يدعى أنس بن مدرك. وكانت حياته ومماته خلال القرن السادس للميلاد.

شعره عفوي صادق، يتسم بالخشونة أحياناً، نظراً إلى البيئة وظروف الحياة التي عاش فيها.

من أشعاره ما قاله في بني قومه:

يكدّبني العمران عمرو بن جندب	وعمر بن سعد والمكدّب أكذب
تكلّثكما إن لم أكن قد رأيتها	كراديس يهديها إلى الحي موكب
كراديس فيها الحوفران وقومهُ	فوارس همّام متى يدعُ يركبوا
تفاقدتُم هل أنكرن مغيرة	مع الصبح يهديهنّ أشقر مغرب

شعراء المعلقات

تعتبر المعلقات الشعر الأرقى الذي وصل إلينا من عصر الجاهلية، ويبلغ عددها سبعاً. أما أصحابها فهم: امرؤ القيس، طرفة بن العبد، زهير بن أبي سلمى، عمرو بن كلثوم، الحَرث بن جِلْزة، لبيد بن ربيعة وعنترة بن شداد. وقد جعل بعض الدارسين عددها عشراً، مضيفين إليها قصيدة لكل من النابغة الذبياني والأعشى وعبيد بن الأبرص.

ويختلف الباحثون في الأسباب التي من أجلها أطلقت تسمية المعلقات على هذه القصائد. فالبعض اعتبر ذلك إشارة إلى أن العرب قد تعذّها كعقود الدرّ المعلّقة في الرقاب. والبعض الآخر أعاد التسمية إلى أرباب الخبرة بالشعر الذين كانوا إذا سمعوا القصيدة منها قالوا: إنها من «المعلقات»، أي أنها تستحق أن تعلق في الأذهان.

أما الاعتقاد بأن «المعلقات» هي التي كانت تكتب بماء الذهب على أقمشة نفيسة وتعلق على أستار الكعبة، فهو أمر بات مشكوكاً بصحته.

١ - امرؤ القيس

هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار، أحد ملوك بني كندة. ولد في مطلع القرن السادس في نجد، وعاش بداية حياته في الترف واللهو.

أحب نظم الشعر منذ نعومة أظافره، مما أثار غضب والده ودفعه إلى منعه من الاهتمام بالشعر. غير أن هذه التهديدات لم تكن لتقف في وجه نبوغ امرئ القيس، فراح يتنقل مع أصدقائه من مكان إلى آخر لاهين

وفرحين، بعد أن طرده والده من منزله. وظل على هذا المنوال من اللهو والمجون إلى أن بلغه مقتل والده على يد رجال من بني أسد وكان له من العمر حوالي ٣٠ سنة، فقال: «ضيعني أبي صغيراً، وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم ولا سكر غداً، اليوم خمر وغداً أمر». فعقد العزم على الاستغناء عن حياة اللهو للانتقام لأبيه. وبما أنه لم يكن قادراً على تحقيق مبتغاه لوحده، طلب العون من بعض القبائل العربية وتحالف مع بكر، فانتصروا على بني أسد الذين التجأوا إلى المنذر الثالث ملك الحيرة.

أمام ذلك الوضع، لجأ امرؤ القيس إلى عمرو بن هند، غير أن قبيلة بني حمير رفضت أن تساعد له لأن المنذر الثالث كان يبحث عنه. وتوجه في ما بعد إلى بيزنطية حيث وعده قيصرها بمدة بيد العون لاسترجاع ملكه الضائع، لكنه لم يف بوعده. وكان قد ترك دروعه عند السموأل في طريق الذهاب إلى بيزنطية. ولاقى الشاعر حتفه حوالي سنة ٥٤٠م في أنقرة.

يعتبر امرؤ القيس «أول من وقف، واستوقف، وبكى، واستبكى». أما مناسبة نظم معلقته فهي حبه وعشقه لابنة عمه عنيزة.

٢ - طرفة بن العبد

هو عمرو بن العبد من بني بكر وائل، ولد في البحرين سنة ٥٤٣م. ولقب بطرفة، لأنه ذكر هذه الكلمة في بيت شعري اشتهر به. وهو ينتسب إلى عائلة من الشعراء العريقين، إذ كان المرقش الأصغر عمه، والمرقش الأكبر عم والده، وهما شاعران معروفان. وكذلك كان خاله المتلمس شاعراً.

فقد طرفة والده وهو صغير السن، فتولى أمر إعالة أمه وإخوته. وقد ثار هذا الشاعر الفتى على ظلم أعمامه الذين هضموا حقه وحق إخوته.

كان طرفة محباً للهجاء والتهكم، وسرعان ما اختار حياة اللهو والترف منفقاً كل ما كان يملكه من المال. وأصبح خليعاً فنفته قبيلته وتبرأت منه. فراح يتنقل بلا هدف بين الكهوف والمغاور وأطراف الجزيرة. غير أن الحاجة

دفعته إلى العودة إلى أهله، وعمل كراع لإبل أخيه معبد. وهنا، عاد اللهو ليبعد طرفه عن مسؤولياته فسرق الإبل، ووعد أخيه بردها له عن طريق الشعر، وهكذا مدح سيدين أغدقا عليه المال فعوض خسارة أخيه وأنفق المال المتبقي على الخمرة.

وبعد نفاذ ماله توجه إلى الملك عمرو بن هند وأخيه قابوس في الحيرة، فقربه الملك منه. غير أن خاله المتلمس وصهره عمرو بن بشار كانا قد شقا طريقهما قبله إلى بلاط الحيرة، فأضمرا له الشر وهجوا في أبيات شعرية وصلت إلى مسامع عمرو بن هند الذي عقد العزم على التخلص منهما في أقرب فرصة ممكنة، وسرعان ما غضب الملك منه بسبب سلاطة لسانه ودبر مقتله حوالي سنة ٥٦٩م، ولقب بـ «الغلام القتل».

لقد تجاوز عدد أبيات معلقة طرفه المئة، وشرحها الزوزني. أما موضوعها فليس واحداً، بل مجموعة من التأملات في الكون ونظام الوجود ودعوة إلى اتخاذ اللهو والمرح سنة في الحياة. والبارز في هذه المعلقة سيطرة فكرة الموت والزوال عليها.

وقال طه حسين في كتابه الأدب الجاهلي: «في شعر طرفه شخصية بارزة ومذهب في الحياة واضح جلي، مذهب اللهو واللذة... وهذه الشخصية ظاهرة البداوة، واضحة الإلحاد، بينة الحزن واليأس والميل إلى الإباحة. وهو صادق في يأسه، صادق في حزنه، صادق في ميله إلى هذه اللذات التي يؤثرها... نحس حين نقرأه أننا نقرأ شعراً حقاً فيه قوة وحياة وروح».

٣ - لبيد بن ربيعة

هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري، ولد حوالي سنة ٦٥٠م في هوازن قيس. واستطاع بفضل الأبيات التي ألقاها بحضرة النعمان لهجاء الربيع بن زياد العبسي، أن ينقذ العامريين وينصرهم على أعدائهم العبسيين. وكان النابغة الذبياني حاضراً عندما ألقى هذه الأبيات، فقال له: «أذهب فأنت أشعر

من قيس كلها». وعندما انتشر الدين الإسلامي في المنطقة اعتنقه ليبد و قبيلة
العامريين. وبعد ذلك توجه إلى البادية في الكوفة حيث مكث حتى وفاته سنة
٦٦١. وكان آخر بيت شعر قاله:

ولقد سئمت من الحياة وطولها، وسؤال هذا الناس: كيف لبيد

أما معلقته فهي تتألف من ٨٨ بيتاً، عالج فيها مثل سائر الجاهليين
مواضيع عديدة. وكان لبيد ماراً بالكوفة في آخر حياته، «فستل: من أشعر
العرب؟ فقال: الملك الضليل. فقيل: ثم من؟ فقال: الغلام القتل. وقيل:
ثم من؟ فقال: الشيخ أبو عقيل»، ويعني نفسه.

٤ - زهير بن أبي سلمى

هو زهير بن أبي سلمى من بني مزينة، ولد سنة ٥٣٠م في قبيلة غطفان
وترعرع فيها. نشأ زهير في بيت شاعري إذ كان والده شاعراً وكذلك خاله
وزوج أمه. واشتهر في تنقيح شعره قبل إعلانه، وقيل إنه كان يظل لمدة
أربعة أشهر ينظم في قصيدة، ومن ثم يُصلحها لمدة أربعة أشهر أخرى، وفي
ما بعد يعرضها لمدة أربعة أشهر على غيره من الشعراء، لذلك سمي بعض
مطولاته بالحوليات. ومن أشهر الذين مدحهم هرم بن سنان الذي أعاد عليه
بالمال، وزهير هرم بن سنان والحرث بن عوف. توفي زهير حوالي سنة
٦٢٧م.

نظم زهير معلقته لمدح هرم بن سنان والحرث بن عوف اللذين لعبا
دور المصلحين في حرب داحس والغبراء بين قبيلتي عبس وذبيان.

وكان الخليفة عمر بن الخطاب شديد الإعجاب بشعر زهير، وقال يوماً
لابنه: «ما فعلت بالحلل التي كساها هرم أباك؟» قال: «أبلاها الدهر»، فقال
عمر: «لكن الحلل التي كساها أبوك هرمًا لم يلبها الدهر».

وقال ابن سلام في وصفه لزهير: «ويجمع الكثير من المعاني في القليل
من الألفاظ».

٥ - عمرو بن كلثوم

هو أبو عباد عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب، ولد في القرن السادس. وكان والده من أسياد قبيلة تغلب وأمه ليلى ابنة المهلهل. وكان عمرو شديد الفخر والإعجاب بقبيلة والده، حتى أنه ورد في «الأغاني» أنه حكم بني تغلب وهو في الخامسة عشرة من عمره. وفي ذلك الوقت، نشب خلاف بين قبيلتي بكر وتغلب. فدخل عمرو بن هند كمصلح بين الطرفين، وانتدبت تغلب عمراً بن كلثوم كممثل لها. وتوجه إلى الحيرة حيث قال قسماً من معلقته الشهيرة. لكن منافسه الحرث بن حلزة توصل إلى استرضاء الملك الذي حكم لمصلحة بكر، فهجا عمرو الملك. واضطر بنو تغلب بعد أن قتل عمرو بن كلثوم عمراً بن هند إلى محاربة القبائل الموالية للمناذرة. فأخضع عمرو بني تميم وبني قيس البكريين أسياد البحرين، لكنه وقع في طريق العودة أسيراً بين يدي بني شحيم. وتوجه التغليبيون إلى الشام حيث انتصروا على الغساسنة، وأقاموا في تلك المنطقة عدة سنوات. ويقال أن عمراً بن كلثوم عاش حياة طويلة.

أما معلقة عمرو بن كلثوم فلقد وصل لنا منها حوالي المئة بيت. ونظمت أولى أبياتها دفاعاً عن بني تغلب أمام عمرو بن هند، وأكمل الباقي في ما بعد. وتعتبر معلقته سجلاً تاريخياً بارزاً يرسم لنا صورة واضحة عن عادات ذلك العصر والحروب التي خاضها العرب. وقال عيسى بن عمر في كتاب «الجمهرة» للقرشي: «لو وضعت أشعار العرب في كفة، وقصيدة عمرو بن كلثوم في كفة، لمالت بأكثرها».

٦ - الحرث بن حلزة

هو أبو ظليم الحرث بن حلزة من قبيلة بكر، ولد في القرن السادس. كان من أسياد قبيلته لذلك اختارته كممثل لها في الإحتكام أمام عمرو بن هند بشأن الخلاف مع قبيلة تغلب. وتمكن بفضل ذكائه الحاد أن يستميل الملك لمصلحة قبيلته. ولشدة فخره بنفسه وبقبيلته ضرب به المثل وأصبح يقال: «أفخر من الحرث بن حلزة».

أما معلقته فهي تتألف من ٨٥ بيتاً، رد فيها على عمرو بن كلثوم، وحاول دحض اتهامات التغليبيين. وتتميز معلقته بوصفه بدقة بالغة للمعارك التي دارت بين تغلب وكندة، وتغلب وبني عتيق وتغلب وقضاة... وهو يلعب في ذلك كله دور المحامي البارع الذي يبذل قصارى جهده لتبرئة موكله وتجريم الطرف الآخر، وبالفعل حقق غايته في نهاية التحكيم.

٧ - عنتر بن شداد

ولد عنتر بن شداد في مخزوم سنة ٥٢٥م وهو ينتسب إلى قبيلة عبس. وكان أسود اللون ومشقوق الشفة السفلى، لأن والدته كانت أمة حبشية سبأها والده في إحدى الغارات. وأطلق عليه لقب «عنتر الفلحاء» وكني «بأبي المغلس» أي الماشي في الظلام.

ألحقه والده بنسبه بعد أن أثبت عن شهامته وشجاعته في الدفاع عن قبيلته. وعلى الرغم من ذلك، ظل عرضة لسخرية أبناء القبيلة. وحارب القبائل المجاورة لهم مثل قبيلة طيء وغطفان وفزاره. واشتهر بحبه لابنه عمه عبلة.

توفي عنتر سنة ٦١٥م، لكن سبب وفاته لا يزال موضوع الكثير من النقاشات لأنه غير معروف تماماً. وألف القصاصون في ما بعد قصصاً حول شخصية عنتر بن شداد وأطلقوا عليها اسم «سيرة عنتر».

وتألف معلقته من ٨٠ بيتاً وهو يورد فيها المعارك التي خاضها ويفتخر بشجاعته وخصاله الحميدة.

الشعراء الفرسان

تعتبر الفروسية في العصر الجاهلي ميزة خلقية يختص بها الأفراد لا المجموعات. إذ ليس بالضروري أن يكون الفارس غنياً أو من الأشراف، فقد يكون العبد والصعلوك من الفرسان إذا امتلكا الفضائل التي تخولهما الحصول على هذه المرتبة المعنوية. والفارس هو من أجاد ركوب الخيل والتعاطي معها. وأحياناً، كان الفارس يفضل فرسه على زوجته ويخصها بعناية أفضل. ومن خصائص الفروسية أيضاً الشجاعة والصبر على المصاعب وفي المعارك. وكان يحق للفارس أن يفرّ من المعركة إذا كان ثباته فيها غير نافع، لا بل مميت. فقبيلة عبس، على سبيل المثال، كانت تقدم على القتال إذا أقدم عترة عليه، وكانت تحجم عنه إذا ما هو أحجم.

والفارس أيضاً هو من ينجد المستغيث، ويسلك القفار الموحشة، ويغزو الأعداء ويعود ظافراً محملاً بالمغانم.

أما شعر الفروسية فهو الذي يحفل بذكر الحروب والأمجاد ووصف أهوال المعارك والاستبسال فيها، بالإضافة إلى الحديث عن القتلى والأسرى والسبايا والغنائم. ويتسم هذا الشعر بالمغالة النابعة في أغلب الأحيان من حماسة الشاعر التي تجعل من الموقعة الصغيرة ملحمة كبيرة، ومن الأنفار جيشاً جراراً...

أما أبرز الشعراء الفرسان فهم:

١ - المهلهل

هو أبو ليلى عدي بن ربيعة التغلبي، عاش في القرن السادس بين شرق

نجد والعراق، وتوفي قرابة العام ٥٤١، أما لقبه «المهلل» فقد حصل عليه لأنه كان أول من هلل نسج الشعر، أي جعله رقيقاً. كما لقبه أخوه بـ «زير نساء» لأنه كان جميل الوجه ويقضي أيامه بمجالسة النساء واللهو والسكر والمقامرة. لكن حياته تغيرت كلياً بعد مقتل أخيه كليب، فأشعل حرباً دامت أربعين سنة، وعرفت بحرب البسوس، بهدف الثأر لدماء أخيه الذي قتله شخص يدعى جساس بعدما عقر كليب ناقة خالته بسوس.

إن شعر المهلل يكاد يرتبط بمقتل أخيه وحرب الثأر التي أشعلها، والتي كانت في الواقع تقتصر على بعض المعارك التي جرت خلال خمسة أيام وسقط فيها عدد من القتلى. ويحمل شعره عواطف مختلفة، تجمع بين الألم والشوق لأخيه والنقمة على قاتليه. ومن أبرز أشعاره ما قاله على قبر أخيه.

٢ - حاتم الطائي

هو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج... بن عدي... بن ثعلب الطائي. عاش في القرن السادس وتوفي في أوائل القرن السابع الميلادي، قرابة العام ٦٠٥. اشتهر بالجود والشجاعة، وضرب المثل به لكرمه الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ العرب. وفي المعارك، كان حاتم شجاعاً، «إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا سئل وهب، وإذا ضرب بالقداح فاز، وإذا سبق، وإذا أسر أطلق، وكان يقسم بالله أن لا يقتل واحد أمه».

نسجت حول كرمه الأخبار حتى غدت كالأساطير، وقد يكون ورث ذلك عن والدته عثبة بنت عفيف التي كانت تتماذى في تبذير أموال عائلتها، وهي في بيت أبيها، فاضطر أخوتها إلى الحجر عليها لثلاً تقضي على الأموال.

وكان حاتم يوقد النار على مرتفع من الأرض خلال الليل، ليبصرها من ضلّ طريقه فيأوي إلى منزله وكان يحضّ غلامه على متابعة إيقاد النار ليلاً ويعده بالحرية إذا جلبت ناره ضيفاً. ويقول في ذلك:

أوقد فإن السليل مَرُ والريح يا موقدُ ريحُ صَرُ
عسى يرى نارك من ليل يمرُ إن جَلَبْتَ ضيفاً فانت حرُ

شعر حاتم يتحدث عن شخصيته وطباعه وجوده اللامحدود، ويردّ فيه على لائميّه على إسرافه في الكرم والشجاعة، ومنهم زوجته التي يقول لها:

مهلاً نَوَارُ أَقْلِي اللَّوْمِ وَالْعَذْلَا ولا تقولي لشيءٍ فات: ما فعلاً؟
ولا تقولي لمال كنت مُهْلِكَةً: مهلاً، وإن كنتُ أُعْطِي الأُنْسَ والخَبْلَا
إن البخيل إذا مات يتبعه سوء الثناء ويحوي الوارثُ الإِبْلَا

٣ - عمرو بن مَعْدِي كَرَب

هو أبو ثور عمرو بن معدي كرب الزبيدي اليماني. عاش نحو مئة عام وشهد معركة القادسية بين العرب والفرس، وقتل في حصار نهاوند سنة ٦٤١.

كان أكلواً، شروباً، لاهياً، لكنه كان يسرع إلى نجدة المستغيث، ولا يتورع عن الهرب أثناء حملاته إذا شعر بخطر الموت. كان دائم التمرد على قائد جيشه ولا يطيعه إلا أحياناً، ومرغماً. أسلم، لكنه ارتد لاحقاً عن الإسلام مع المرتدين من أهل اليمن.

شعره قليل ويتميز بالإيجاز وصراحة التعبير، مع شيء من الحكمة الفطرية، ومن أبرز أشعاره قصيدة يصف فيها موقعة بين قومه وبني كعب ونهد.

٤ - دريد بن الصَّمَّة

هو دريد بن الصَّمّة، واسم الصَّمّة معاوية بن الحرث بن جُشَم بن بكر بن هوازن. قُتل أخوته الأربعة قبله، فراثهم وسعى إلى الثأر لهم. خطب دريد الخنساء الشاعرة، وكان صديقاً لأخيها معاوية. ولما رذته لكبر سنّه، هجاها.

تجاوز عمر دريد المئة عام، وأدرك الإسلام من دون أن يسلم. قتل في يوم حُنين، حين خرج مع قومه إلى الحرب تيقناً بمشورته، وكُسر قومه في المعركة (٦٣٠م).

شعره رفيع، فخم التعبير، يتناول في مواضيعه الفخر والحماسة والحكمة، ولكن دون مستوى الطبقة الأولى من الشعراء الجاهليين. وفي قصيدة عن إحدى غزواته، يقول دريد:

دعوت الحي نصرأ فاستهلوا	بشبان ذوي كرم وشيب
على جرد كأمثال السعالي	ورجل مثل أهمية الكتيب
فما جبنوا، ولكنا نصبنا	صدور الشرعية للقلوب
فكم غادرنا من كاب صريع	يمج نجيع جائفة ذنوب
فأجلوا، والسوام لنا مباح	وكل كريمة خوذ عروب
وقد ترك ابن كعب في مكر	حبيساً بين ضبعان وذئب

سائر شعراء العصر الجاهلي

١ - النابغة الذبياني

هو زياد بن معاوية بن ضباب بن مرة، من بني ذبيان بن غطفان. عاش في القرن السادس وتوفي حوالي سنة ٦٠٤. لقب بالنابغة الذبياني، وإما لأنه استخدم لفظة «نبغ» في أبياته، إما لأنه لم يقل الشعر حتى نبغ أي أصبح رجلاً. كُني بأبي أمامة، وأبي ثمامة، وأبي عقرب. وروي أنه زاحم في شبابه حاتم الطائي ورجلاً آخر على «ماوية» لكنه فشل في ذلك.

اتصل حوالي سنة ٥٥٤ بالمنذر الثالث بن ماء السماء، وشهد تسلم عمرو بن هند ملك أبيه وهناه بقصيدة مدحية، وذكر ابن قتيبة أن النابغة «كان مع النعمان بن المنذر ومع أبيه وجده، وكانوا له مكرمين». كان الهدف الأول للنابغة الذبياني أن يستمر حلف قومه الذبيانيين مع بني أسد وبني تميم للوقوف في وجه العبسيين وحلفائهم بني عامر. وهنا نرى أن العبسيين والعامريين راحوا يبذلون جهودهم لإفساد هذا الحلف الذي يهدد مصالحهم. وكان النابغة يعمد إلى هجاء أعدائه ومدح حلفائه. وكان أيضاً على صلة بالغسانيين قبل القطيعة التي وقعت بينه وبين النعمان بن المنذر.

وفي سنة ٥٨١ تربع النعمان الثالث أبو قابوس، ابن المنذر الرابع، على عرش الحيرة. وكان محباً لمظاهر الملك وراغباً في القضاء على الغسانيين. فزاره النابغة ومدحه وأصبح من المفضلين لديه. ووهبه النعمان العطايا من النوق «الأدم الفتل المشدودة برحال الحيرة الجدد» والجواري «الساحبات ذيول الریط» والمال الكثير. أثار هذا الجاه الذي حصل عليه النابغة حسد منافسيه وأبرزهم عبد القيس بن خفاف التميمي ومرة بن سعد بن

قريع السعدي اللذان نظما هجاء في النعمان على لسان النابغة . غير أن هذه الحيلة لم تمر على النعمان . وظل الوضع على حاله حتى كانت مسألة «المتجردة» . كان النعمان قد تزوج من امرأة أبيه «المتجردة» وهي امرأة فائقة الجمال . وفي أحد الأيام رآها النابغة فجأة فسقط حجابها، ثم عادت واستترت . فنظم قصيدة طويلة حولها، تخطى فيها حدود الأدب . ومن أبيات هذه القصيدة :

سقط النصف ، ولم ترد إسقاطه فتنابولته واتفقنا باليد

وسلم مرة القريعي هذه القصيدة إلى النعمان الذي ثار غضبه، غير أن النابغة تمكن من الفرار إلى ملوك غسان حيث امتدحهم لفترة من الزمن . وبعد مقتل النعمان السادس أبي كرب، ابن عمرو بن الحرب، وتسلم حجر الثاني الحكم، عاد النابغة إلى الحيرة، حيث حسد على ثلاثة أمور: «على إدناء النعمان له بعد المباحة ومسامرته له وإصغائه إليه، وعلى جودة شعره، وعلى مئة بعير من عصافيره أمر له بها» . غير أن النابغة لم يمكث طويلاً في الحيرة، لأن قابوس نقم على النعمان وأرسل جيشاً يطلبه، واقتيد النعمان إلى المدائن حيث قُتل سنة ٦٠٢ . فعاد الذبياني إلى قومه ومات سنة ٦٠٤ .

ومن شعره المدحي بائيته المشهورة التي نظمها في مدح عمرو بن الحرث الغساني . وكان النابغة قد بلغ في تلك المرحلة الاستقرار الشعري، وتعتبر بائيته نموذجاً عن شعره السياسي :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
تورثن من أزمان يوم حليلة إلى اليوم قد جرين كل التجارب
تقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباب

٢ - الأعشى

هو ميمون بن قيس بن جندل، من بكر بن وائل من ربيعة . لقّب بالأعشى لضعف بصره وعُرف باسم «صناجة العرب» بسبب وقع شعره البليغ في الأسماع وأثره البعيد في البلاد . نشأ الأعشى في قرية في اليمامة تدعى

منفوحة، وهناك التقى بهريرة التي شبيب بها في مطلع لاميته المعروفة، واضطر في ما بعد إلى الطلاق من زوجته. وذكر في قصائده عدة نساء منهن هريرة وليلى وقتلى وتيا.

وكان يتنقل من منطقة إلى أخرى لكسب رزقه حيث يمتدح الأمراء والملوك مثل آل عبد المدان، وسلامة ذا فائش، والأسود العنسي وقيس بن معدي كرب والمناذرة.

عاش حياة طويلة إلى أن أدرك الإسلام، لكنه لم يسلم وتوفي في اليمامة. قال عنه أبو زيد القرشي في «الجمهرة»: «كان أمدح الشعراء للملوك، وأوصفهم للخمر، وأغزهم شعراً، وأحسنهم قريضاً».

ومن أكثر قصائده الأعشى شهرة، قصيدة «وداع هريرة»:

ودع هريرة، إن الركب مرتحل	وهل تطيق وداعاً أيها الرجل
غراء، فرعاء، مصقول عوارضها،	تمشي الهوينا، كما يمشي الوجي الوحل
كان مشيتها من بيت جارتها	مر السحابة: لا ريث ولا عجل...
صدت هريرة عنا ما تكلمنا	جهلاً بأم خليد حبل من تصل
عُلِقَتْها عرضاً، وعُلِقَتْ رجلاً	غيري، وعُلِقْ أخرى غيرها الرجل
وعُلِقَتْه فتاة ما يحاولها،	ومن بني عمها ميتٌ بها وهِلْ
وعُلِقَتْني أخيري ما تلائمني،	فاجتمع الحب حباً كله تَبِلْ...
وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني	شاو، مِشَلْ، شلولْ، شُلْشُلْ، شولْ...

٣ - السموأل

هو السموأل بن عادياء اليهودي، اليربني الأصل، صاحب تيماء التي عرفت بتيماء اليهودي. نزل أبوه تيماء على طريق القوافل من الحجاز إلى الشام فامتلكها، وسور مزرعته وحفر بئراً وبني منزلاً من الحجر بدا كالحصن المنيع في بيئة بدوية لم تتعود إلا بيوت الوبر والجلد. وكان بعض حجارته كلسياً أبيض فدعي باسم «الأبلق».

التجأ امرؤ القيس في القرن السادس إلى السموأل في الأبلق وهو في

طريقه إلى بيزنطية، وأودعه دروعه وأسلحته. وبعد موت الشاعر جاء الحرث بن أبي شمر الغساني مطالباً بالدروع، فرفض السموأل أن يسلم الوديعة. فأسر الحرث ابنه وهدده بقتله، إن لم يسلمه الدروع. وضخى السموأل بابنه في سبيل الأمانة وأعاد الدروع إلى أحد ورثة امرئ القيس، لذلك ضرب به المثل فقيل: «أوفى من السموأل».

وردت لامية السموأل في أمهات المجامع الأدبية، وهو يفتخر فيها برفعة المنزل وإغاثة الملهوف وحماية الجار وبالحصن «الأبلق».

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه	فكل رداء يرتديه جميل
تغيرنا أنا قليل عديدنا	فقلت لها إن الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا	عزيز وجار الأكثرين ذليل
لنا جبل يحتله من نجيره	منيع يرد الطرف وهو كليل
هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره	يعز على من رامه ويطول...

٤ - الحطيئة

هو جرول بن أوس بن مالك بن مخزوم، من بني عبس، من مضر، لقّب باسم الحطيئة لقصر قامته ودمايته. واعتبره العرب مغموز النسب لأنه كان ابن أمة اسمها الضراء، وكان أبوه أوس قد تزوج امرأة حرة من بني شيبان، فرزق منها بولدين، ومن ثم لاقتة المنية. وتزوج الضراء في ما بعد، رجل من عيس يدعى الكلب بن كنيس، فأنجبت منه ولدين.

وعندما كبر، طالب أخويه من أوس بميراثه، فقالا له: «أقم معنا فنحن نؤاسيك»، فهجأهما وذهب إلى اليمامة لاحقاً بأهل امرأة أبيه وطالب بالميراث وأخرجهم، فمنعوه وضربوه، فغضب وهجأهم.

عاش الحطيئة كل حياته متشرداً، ومتنقلاً من قبيلة إلى أخرى، يمدح من يغدق عليه بالمال ويهجو من لا يعطيه مبتغاه. وظل يهجو أمه وزوجها، فضلاً عن هجائه لنفسه. ومن الذين هجأهم ومدحهم قبل الإسلام علقمة بن علاثة وزيد الخيل وحاتم الطائي.

ويختلف المؤرخون حول زمن إسلام الحطيثة، فيرى ابن قتيبة أنه لم يسلم إلا بعد وفاة النبي لأنه «لم يجد له ذكراً فيمن وفد عليه من العرب»، بينما يرى ابن حجر أنه أسلم في عهد النبي، وقد كان «رقيق الإسلام»، فاسد الدين، منافقاً خبيثاً. وعندما توفي النبي وحدثت الثورة المعروفة باسم «الردة» كان الحطيثة من رجالها، وقال محرضاً عليها:

أطعننا رسول الله، إذ كان صادقاً فيا عجباً، ما بال دين أبي بكر
أيورثها بكراً، إذا مات بعده؟ فتلك، وبيت الله قاصمة الظهر

غير أن هذه الحركة باءت بالفشل، ووقع الحطيثة بالأسر سنة ١١هـ. فعاد الحطيثة إلى الدين وأخذ على نفسه نصرة الإسلام ودعوة المسلمين إلى الاستبسال ضد الفرس.

وبعد وفاة الخليفة عمر، عاد الحطيثة إلى هجو الناس. وكان قد اتصل بالوليد بن عقبة، أخو الخليفة عثمان بن عفان لأمه، كما اتصل بسعيد بن العاص والي المدينة وترك فيه مدائح جيدة. وقبيل وفاته سنة ٦٧٩ أوصى بأن يُحمل على أتان وجعلوا يذهبون به ويجيئون حتى مات.

كان الحطيثة قصيراً دميماً، بارز اللحي الأسفل، وهو خبيث الأصل والنسب، ودنيء الأخلاق ومنافق في الدين، وبخيل ومحتال. غير أنه على الرغم من ذلك، كان رقيق القلب وعطوفاً على زوجته وأولاده.

أما في ما يتعلق بشعره، فخرج الحطيثة يوماً، وكله رغبة في الهجاء، فراح يردد:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلميما بسوء، فما أدري لمن أنا قائله
فلم يرَ أحداً، وبينما هو في الطريق أطلَّ على بئرٍ فرأى صورته، فقال:
أرى لي وجهاً شوه الله خلقه فقُبِّحَ من وجهٍ وقبح حامله

ومن الذين هجاهم صخر بن أعبي من بني أسد الذي بات عنده في أحد الأيام:

ولما رأيت أن ما يبتغي القري
شدت حيازيم ابن أعبي بشربة
وأن ابن أعبي، لا محالة، فاضحي
على ظماً سدت أصول الجوانح...
وهجا الحطيئة كذلك أمه قائلاً:

جزاك الله شراً من عجوز
تنحي فاجلسي مني بعيداً
ولقاك العقوق من البنينا
أراح الله منك العالمينا
وأغربالاً إذا استودعت سرّاً
وكانوناً على المتحدثينا
حياتك، ما علمت، حياة سوء
وموتك قد يسر الصالحينا

٥ - الخنساء

هي ثماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد، من قيس عيلان، ولدت حوالي سنة ٥٧٥. لقبت بالخنساء لارتفاع بسيط في أنبة الأنف، وهو من الصفات المستحبة. وكان والدها صاحب ثروة كبيرة ونفوذ واسع ومقام عالٍ، وكان يحترم مواقفها وآراءها. هكذا عندما رفضت الخطيب العجوز الذي تقدم ليتزوجها، احترم والدها رأيها.

تزوجت الخنساء أربع مرات، وانجبت من زوجها الأول عبد العزى من بني جفاف، عمراً الذي عرف بأبي شجرة، ومن سائر الأزواج أنجبت يزيد ومعاوية وحزن وعمرو. ومع ظهور الإسلام، اعتنقت هذا الدين الجديد. ودعت أولادها إلى الجهاد بإخلاص في سبيله فقاتلوا وقتلوا. عاشت طويلاً، حتى توفيت سنة ٦٦٤م.

ومن الحوادث التي طبعت حياة الخنساء مقتل أخيها صخر في موقعة «يوم الحوزة»، وأخيها معاوية في موقعه «يوم كلاب» فرثتهما في قصائد مشهورة. ونذكر من قصائدها هذه، بعض أبيات قصيدة «قذى بعينك» التي قالتها في رثاء أخيها صخر:

قذَى بعينك، أم بالعين عوّار
كأن دمعِي لذكراه، إذا خطرت،
تبكي خناس، فما تنفك، ما عمرت،
يا صخرُ، وراد ماء قد تناذره
وإن صخرأ لمقدام إذا ركبوا
وإن صخرأ لتأتم الهداة به،
حمال ألوية، هبّاط أودية،

أم ذرّفت إذ خلت من أهلها الدارُ
فيضُ يسيل على الخدين، مدرارُ
لها عليه رنينٌ، وهي مفتارٌ...
أهل الموارد، ما في ورده عارُ
وإن صخرأ، إذا جاعوا لعقّارُ
وكأنه علّم في رأسه نارُ
شهاد أنديّة، للجيش جرّارُ

النثر الجاهلي

١ - الأمثال

في التراث العربي الجاهلي أمثال بعضها نثري وبعضها مجتزأ من الشعر، وضعت إثر أحداث وحالات وقعت للجاهليين فتداولها الناس. وقد يبدو بعض الأمثال غامضاً، فيجد القارئ صعوبة كبيرة في فهمه إن لم يعد إلى السبب الذي انطلق المثل من أجله. وفي الأمثال التي وردت في «مجمع الأمثال» للميداني و«جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري نذكر ما يلي:

- «أول الشجرة النواة»: يضرب للأمر الصغير الذي يتولد منه الكبير.
- «المقدرة تذهب الحفيظة»: الحفيظة هي الغضب، ويضرب في العفو عند المقدرة.
- «إن كنت كذوباً فكن ذكوراً»: يضرب للرجل الذي يكذب ثم ينسى فيحدث بخلاف ذلك.
- «كالمستجير من الرمضاء بالنار».
- «إن البغاث بأرضنا يستنسر».
- «عند الصباح يحمد القوم السرى».
- «لا رطباً فتعصر ولا يابساً فتكسر».

ومن الشخصيات الجاهلية التي عرفت بإطلاق الأمثال: لقمان عاد من القبيلة اليمنية البائدة، وأكثم بن صيفي التميمي، وعامر بن الظرب.

٢ - الخطب

لعبت الخطب دوراً هاماً في العصر الجاهلي، إذ كان الخطيب يحث الشعب على القتال تارةً، ويدعوهم إلى السلم طوراً. ويقول أبو عمرو بن العلاء: «كان الشاعر في الجاهلية يقدّم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم ومن غزاهم... فلما كثر الشعر والشعراء، واتخذوا الشعر مكسبة، ورحلوا إلى السوق، وتسرعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر».

ومن أهم الخطباء عُتْبَةُ بن ربيعة خطيب قريش يوم بدر، وسهيل بن عمرو الأعمى الذي قال فيه عمر للنبي: «يا رسول الله انزع ثنيتيه السفليتين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً»، فقال النبي: «لا أمثل فيمثل الله بي، وإن كنت نبياً، دعه يا عمر فعسى أن يقوم مقاماً تحمده»، وقد أسلم وحسن إسلامه وكانت له مواقف محمودّة.

ومن هذه الخطب الجاهلية ما أورده الجاحظ من خطبة قس بن ساعدة الأيادي، وجاء فيها:

«أيها الناس اسمعوا وعوا، وانظروا واذكروا، من عاش مات ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آتٍ. آياتٌ محكمات، مطر ونبات، وآباء وأمّهات، وذاهب وآتٍ. ضوء وظلام، وبرٌّ وآثام، نجوم وتمور وبحور لا تغور، نهار ساج وليل داج وسماء ذات أبراج. ما لي أرى الناس يموتون ولا يرجعون، أرضوا فأقاموا أم حبسوا فناموا...».

نماذج من العصر الجاهلي

امرؤ القيس

المعلقة

- قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل،
فتوضّح، فالمِقرة؛ لم يَغْفُ رسمها
وقوفاً بها صُحبي عليّ. مطيّهم،
وإن شِفائي عبْرَةُ مُهْرَاقَةٍ؛
كأنّي، غداةَ البين، يومَ تحمّلوا،
ففاضتْ دموعُ العينِ منّي، صباً،
ألا ربّ يوم، لك منهنّ، صالح؛
ويوم عقرتُ للعذارى مطيّتي
فظلّ العذارى يزّتمينَ بلحمها،
أفاطم، مهلاً، بعضَ هذا التدلّل!
أعركِ منّي أنْ حُبّك قاتلي،
وإنْ تكُ قد ساءتِكِ منّي خليقةً،
وما ذرّفتِ عيناكِ إلا لِتَضْرِبِي
مُهْفَهْقَةً، بيضاء، غيرَ مُفَاضَةٍ،
تصدُّ وتُبدي عن أسيل، وتنقي
وتضحى، فتيتُ المِسكِ فراشها
تضيءُ الظلامَ بالعشيّ، كأنّها
إلى مثلها يزنو الحليمُ صباً،
تسلّت عمياتُ الرّجالِ عن الصبيّ؛
- يسقط اللوى، بين الدّخولِ، فحوّل^(١)
لما نسجتُها من جنوبٍ وشمالٍ^(٢)
يقولون: «لا تهلكِ أسيّ، وتجمّل!»^(٣)
فهلْ عند رسمِ دارسٍ من مُعَوِّلٍ؟^(٤)
لدى سُمُراتِ الحيّ، ناقفُ حنْطِلٍ^(٥)
على النّحرِ، حتى بلّ دمعِي مخملي^(٦)
ولا سيما يومَ بدارة جُلجلٍ!^(٧)
فيا عجباً من كُورها المتحمّل!^(٨)
وشخْم كُعْدَابِ الدّمقسِ المُفْتَلِ^(٩)
وإن كنتِ قد أزمعتِ صُرْمِي، فأجملي!^(١٠)
وأنتِ مهما تأمري القلبَ يفعل!^(١١)
فسلّي ثيابي من ثيابكِ تنسلّ!^(١٢)
بسهميكِ في أعشارِ قلبٍ مُقْتَلِ^(١٣)
ترائبُها مصقولةٌ كالسّجّنجَلِ^(١٤)
بناظرةٍ من وحشٍ وجرةٍ مُطْفِلِ^(١٥)
نؤومُ الضّحى لم تتنطقْ عن تفضّلِ^(١٦)
منارةٍ مُمَسّى راهبٍ مُتَبَتِّلِ^(١٧)
إذا ما استبكرتَ بين دُرّعٍ ومِجْوَلِ^(١٧)
وليسَ فؤادي عن هوالِكِ بِمُنْسَلِ^(١٨)

وليل كموج البحر أرخى سدوله
فقلت له، لما تمطى بضليه،
ألا أيها الليل الطويل، ألا انجلي
فيا لك من ليل، كأن نجومه
وقد اغتدي، والطير في وكنائها،
مكر، مفر، مقبل، مذبذب، معاً؛
مسح، إذا ما السباحات، على الوئى،
يزل الغلام الخف عن صهواته
دريز كخزوف الوليد، أمره
له أنطلا ظبي، وساقا نعامة،
فعن لنا سيرب كأن يعاجه
فالحقنا بالهاديات، ودونه
فعادى عداً بين ثور ونعجة
فظل طهاة اللحم من بين منضج
أصاح، ترى برقاً أريك وميضه
يضيء سناه، أو مصابيح راهب
قعدت له وضخبتى، بين ضارج
على قطن، بالشئيم، أيمن صوبه،
فأضحى يسح الماء فوق كتيفة
كأن ثبيراً في عرانيين وبله،

علي، بأنواع الهُموم، ليبتلي (١٩)
وأردف أعجازاً، وناء بكنكحل (٢٠)
يصبح. وما الإضباح منك بأمقل! (٢١)
بأمراس كثنان إلى ضم جندل (٢٢)
بمنجريد، قيد الأوابد، هينكل (٢٣)
كجلمود صخر خطه السيل من عل (٢٤)
أثرن غباراً بالكديد المركل (٢٥)
ويُلوي بأثواب العنيف المثل (٢٦)
تتابع كفيه بخيط موصل (٢٧)
وارخاء سرحان، وتقريب ثفل (٢٨)
عذارى دوار في ملاء مذيّل (٢٩)
جواجرها، في صرة لم تزيّل (٣٠)
دراكاً، ولم ينضخ بماء فيغسل (٣١)
صفيف شواء، أو قدير معجل (٣٢)
كلمع اليدنين، في حبى مكلل (٣٣)
أمال السليط بالذبال المقتل (٣٤)
وبين العذيب، بعد ما متأملي (٣٥)
وأيسره على الستار، فيذبّل (٣٦)
يكب على الأذقان دوح الكنهبل (٣٧)
كبير أناس في بجاد مزمّل (٣٨)

هوامش

- (١) توضيح والمقراة : موضعان ، وسقط اللوى بين المواضع الأربعة المذكورة.
- (٢) لم يعف : لم يمح - رسمها : أثرها - نسج الرياحين : اختلافهما على الأثر ، تستره الواحدة بالرمال فتكشفه الأخرى .
- (٣) وقوفاً : نصبها على الحال أي : قفا نيك في حا لوقف أصحابي مطيهم عليّ .
- (٤) العبرة : الدمة - الدارس : الذي كاد يضمحل من الآثار - المعول : المبكي ، المعتمد والمتكل عليه - يقول : أن خلاصي مما بي من الهم يكون بذرف دمة . ثم يستفهم استفهاماً إنكارياً فيقول : ولكن ما نفع البكاء عند أثر مضمحل ، أو لا معتمد يتكل عليه الإنسان لدى هذا الأثر .
- (٥) سمرات : ج . شجرة : شجرة من العضاء : شجر عظيم له شوك - الحنظل : نبات يمتد على الأرض كالبطيخ وما شاكل ، وهو شديد المرارة - نافقه : الذي يشق ثمرة فيستخرج بزره ، فتدمع عيناه - شبه نفسه ، يوم فراقهم ، بناقف الحنظل ، نظراً لشدة بكائه .
- (٦) الموحمل : حمالة السيف .
- (٧) رُب : تستعمل ، في الأصل ، للتقليل وكم للتكثير - دارة جُلجل : موضع كان فيه غدير ماء ، وفيه نحر الشاعر ناقته لبعض بنات العرب ، كما يقول .
- (٨) عقر البعير : ضربه على رجله ليسقط فينتحره - الكور : الرخل - المتحمل : المحمول - يشير إلى أن العذارى حملن حوائجه ورحل مطيته بعد أن نحرها لهن .
- (٩) ظل : في فعل كذا ، إذا أتى عليه النهار وهو في عمله - العذاب والهدب : اسم لما أسترسل من الشيء كالشعر والأشعار وأطراف الثوب - الدمقس : الحرير الأبيض .
- (١٠) أفاطم : الألف للنداء ، وفاطم ترخيم فاطمة ، وهي فاطمة بنت عبيد بن ثعلبة العامري - بعض : منصوب على المفعولية لأن مهلاً ينوب مناب «دغ» - أزمعت : قصدت ، وطنت نفسك - الضرم : الهجر والمصدر الضرم - أجملني : أحسنني .
- (١١) أغرك : أحملك على الغرة : فعل من لم يجرب بالأمور .
- (١٢) الخليفة : الخلق - تنسل : تسقط ، من نسل ريش الطائر : سقط - إن ساءك خلق من أخلاقي أو كرهت خصلة من خصالي ، استخرجني قلبي من قلبك يفارقه .
- (١٣) ذرفت : دمعت - أعشار : قطع الإناء المكسر ، ولم يسمع بمفرد له - المقتل : المذلل - ما بكيت إلا لتجرحي بعينيك قلباً مقطعاً مذلاً .
- (١٤) المهففة : الخفيفة اللحم - المفاضة : المسترخية البطن - الترائب : ج . التريبة : موضع القلادة من الصدر - السججل : المرأة ، وهي رومية معربة في قول الشراح .
- (١٥) تصد : تعرض - تبدي : تظهر - أسيل : نعت الخد المستطيل اللين - الناظرة : أراد بها عينها - وجرة : موضع ، أراد بوحش وجرة الظباء ؛ شبه عينها بعين الظبية المطفل : أي لها أطفال .

- (١٦) الفتيت ، والفتات : اسم لدقاق الشيء الحاصل بالفت - تتطرق : تشدّ النطاق ، أي المتزر ، على وسطها - التفضّل : لبس الفضلة هي ثواب واحد يلبس للخفة في العمل - يصف هذه المرأة بالدعة والنعمة وخفض العيش ، فهي تنام إلى الضحى على فراش يتناثر عليه فتات المسك ، فإذا نهضت لم تحتج إلى الانتظار للعمل لأن لها من يخدمها .
- (١٧) اسبكرت : امتدت - الدرع : قميص تلبسه المرأة - المحوّل : قميص تلبسه الجارية الصغيرة ، إشارة ، بقوله بين درع ومحول ، إلى أنها شابة ليست بصغيرة ولا كبيرة .
- (١٨) تسلى : نسي ، زال حبه أو حزنه من قلبه - العمايات : ج . العماية : الجهالة - مُنسلٍ : منفعل من السلو أي النسيان .
- (١٩) وليل : الواو واو رُب - كموج البحر : يعني في هوله وكثافة ظلمته - السُدول : ج . سدل : الستر - وارخاؤه : إرساله ومده - ورُب ليل يحاكي أمواج البحر في توحشه ونكارة أمره أرخى عليّ ستور ظلامه ، مع أصناف همومه ، ليختبر أمرى ، وينظر ما عندي من الصبر لشدائد الدهر .
- (٢٠) تمطى : تمدد - الصُلب : عظم الظهر - أردف : اتبع - الأعجاز : ج . العَجَز : المؤخر - ناء : مقلوب نأى : بُعد - الكلكل : الصدر - أراد وصف الليل بالطول فاستعار له صلباً ، ثم تمطياً لأن التمطي يزيد في طول الصلب ، ثم بالغ في طوله بأن استعار لأوائل الليل كلكلاً ولأخاره إعجازاً يردف بعضها بعضاً ، وتلخيص المعنى : قلت ليل حين مدّ ظهره ، أي أفرط طوله وازدادت أخاره طولاً وبعدت أوائله . . . «ألا أيها الليل إلخ» .
- (٢١) الأمثل : الأفضل - قلت ليل : انجل بصبح ، أي اكشف ظلامك بضياء الصبح . ثم قال : ولكن الصبح ليس بأفضل منك عندي ، لأنّ هموم النهار عليّ ثقيلة وهموم الليل والياء في «انجلي» اشباع - قال الزوزني : لمّا ضجر بتناول ليله ، خاطبه وسأله الانكشاف ، خطابه ما لا يعقل يدل على فرط الوله والشدة .
- (٢٢) الأمراس : ج . المرس : الحبل - الصُم : ج . الأصم : الصلب - الجندل : الصخرة الكبيرة - يقول مخاطباً الليل : يا عجباً من ليل طويل كأنّ نجومه شُدّت بحبال من الكتّان إلى صخور صلاب . استطال الشاعر الليل فقال إن نجوم هذا الليل لا تبرح من مكانها ولا تغرب ، كأنها مشدودة بحبال متينة إلى صخور صلبة .
- (٢٣) اغتدي : أذهب باكراً - وكنة الطير : عشه . الواو في قوله «والطير» للحال - الأوابد : الوحوش ج . أبدة - المنجرد : الفرس القصير الشعر - قيد الأوابد : ذو تقييد لها - الهيكل : الضخم - أني ربما باكرت الصيد ، قبل نهوض الطير من مواضعها بفرس قصير الشعر يلحق الأوابد فيصير لها بمنزلة القيد .
- (٢٤) مكرّ : اسم مبالغة من الكَرّ : العطف على العدو . المفير : اسم مبالغة من الفرّ : الرجوع - المقبل : الحسن الإقبال - المدبر : الحسن الأدبار : المنتخى عن الموت - الجلمود : الحجر العظيم - من عل : من فوق .

(٢٥) المِسْحَ : اسم مبالغة من السَخَ : الصبّ والدفع - السابح : من الخيل : الذي يمدّ يديه في الجري كأنه يسبح في الماء - الوثى : الفتور - الكديد : الأرض الصلبة المظمتنة - المركل : الذي يُركل بالأرجل أي يوطأ بها - يجري هذا الفرس جرياً سهلاً كما يسبح السحاب والمطر ، إذا فترت الخيل السريعة ، وأثارت الغبار بأرجلها من التعب .

(٢٦) الخف : الخفيف - الصهوة : مقعد الفارس من ظهر الفرس استعمل فيه الجمع للاتساع ، ولا يخفى أن إضافته إلى ضمير المفرد تزيل اللبس - ألوى بالشيء : رمى به وأذهب - العنيف : الثقيل الركوب - إن هذا الفرس ، إذا ركه الغلام الذي لم يكن جيد الفروسيّة يزلق عن ظهره لشدة عدوه وفرط نشاطه في جريه ، وإذا ركه الرجل الماهر في الفروسيّة لم يتمالك أن يصلح ثيابه .

(٢٧) الدريز : السريع - الخذروف : لعبة تُعرف بالخزّارة يلعب بها الصبيان ، وهي جُليدة مدوّرة فيها خيطان موصلان كلما جذبهما الصبي بأصابعه دارت فسمع لها دويّ - امرأة : أحكم فتله - تتابع كفيه : متابعتهما ومواصلتهما - معنى البيت أن هذا الفرس بسرعة جريه يشبه دوران الخذروف إذا بالغ الصبي في فتله .

(٢٨) أبطل الظبي : خاصرته وكشحه - الارخاء : شدة عدو الذئب - التقريب : رفع الرجلين معاً ووضعهما موضع اليدين - التفل : ولد الثعلب - شبه خاصرتي الفرس بخاصرتي الظبي في دقتهما وضميرهما ثم شبه شاقيه بساقي النعامة . ثم شبه عدوه وعدو الذئب ، وتقريبه بتقريب الثعلب وهو أحسن الدواب تقريباً .

(٢٩) عنّ : ظهر - السرب : القطيع ، والمقصود قطع من بقر الوحش - نعاجهُ : إنائه - الدوار : حجر كان أهل الجاهلية يطوفون حوله كما يُطاف بالكعبة - الملاء : ج . الملاءة : الملحفة - المذيل : الطويل الذيل - ظهر لنا ، إذ خرجنا إلى الصيد على هذا الفرس ، قطع من بقر الوحش تشبه إنائه بطول أذنانها وسبوغ شعرها أبكاراً يطفن حول دوار حال كونهنّ في ملاحف طويلة الذيول .

(٣٠) الجواحر : المتخلفة - الصرّة : الجماعة - التزئيل : التفرّق - إنّ هذا الفرس ، عند ظهور الصيد ، الحقنا ، لشدة عدوه ، بأوائل الوحش ، وترك وراه وأخراها مجتمعة لم تتفرّق بعد ، يريد أنه يدرك الأوائل ، قبل تفرّق جماعتها لشدة عدوه ، وكأنه يريد أن القطيع كلّه خالص له .

(٣١) عادى : عادى بين الصيادين عداً : وإلى بينهما يصرع أحدهما على أثر الآخر - الدراك : المتابعة : وهو مصدر في موضع الحال أي مدركاً - النضوح بالماء : الابتلال بالعرق - إن الفرس أدرك القطيع ، ووالى بين الثور والبقرة الوحشية في شوط واحد ، ولم يعرق عرقاً مفرطاً يغسل جسده .

(٣٢) الطّهاء : ج . طاء : من طهى اللحم ؛ طبخه - الصفيف : المصفوف على الحجارة ليشوى ، ونصبه على أنه مفعول لمنضج - القدير : المطبوخ في القدر - المعجل : المطبوخ على عجلة - لكثرة الصيد صار الطباخون صنفين منهم من ينضج الصفيف أي يشوي اللحم المصفوف على الجمر ، ومنهم من يطبخ في القدر على عجلة .

(٣٣) صاح : ترخيم صاحب - وميض البرق : لمعانه - لمع اليدين : تحركهما - الحبي : السحاب المتراكم - المكمل : المستدير كالإكليل - هل ترى برقاً أريك لمعانه وتحركه ، في سحاب متراكم ، كتتحرك اليدين .

(٣٤) السنا : الضوء - السليط : الزيت - الذبال : ج . ذبالة : الفتيلة - قال أكثر الشراح أن قوله : أمال السليط بالذبال من المقلوب وتقديره أمال الذبال بالسليط أي صبه عليها - يقول أن تلالؤ هذا البرق وتحركه يحكي تحرك اليدين وضوءه يحكي ضوء مصابيح راهب أمال فتائلها بصب الزيت .

(٣٥) صحبتي : أصحابي - ضارج : ماء لبني عبس - العذيب : موضع قيل هو ماء لبني تميم . أي قعدت مع أصحابي بين هذين الموضعين ونحن ننظر من أين يجيء المطر - بعدما متألمي : بعد أصله بعد فاسكن العين للتخفيف وما زائدة أي بعد متألمي وبرى : بُعد ، كأنه منادى حذف حرف ندائه أي ما بُعد ما تأملته ، والمراد ما أبعد السحاب الذي كنت أنظر إليه .

(٣٦) قطن : بل في بلاد بني أسد - الستار ويدبل : جيلان مما يلي البحرين ، بينهما وبين قطن مسافة بعيدة - الشيم : مصدر شام البرق : نظر إليه يترقب مطره - يقول إن جانب هذا السحاب الأيمن على جبل قطن وطرفه الأيسر على الستار ويدبل - وصف غزارة المطر وعموم جوده ، وقوله : بالشيم تعلق بفعل محذوف أي أنني أحكم بذلك حدساً وتقديراً ، لأنه لا يرى هذه الجبال .

(٣٧) كثيفة : موضع في اليمن - يكبها : يقلبها على الرؤوس - الأذقان ، هنا مستعارة وإنما يريد أعالي الشجر - الدوح : ج . الدوحة : كل شجرة كبيرة - والكنغبل ضرب من الشجر العظام ينبت في البادية وهو من نوع العضاء - أن هذا السحاب أضحى يصب الماء فوق كثيفة . ويقتلع أشجار الكنهبل ويلقيها على وجوها .

(٣٨) ثبير اسم جبل - عرائين : ج . عرنين : الأنف ، مقدم الشيء ، مستعارة هنا لأوائل المطر - الوبل : ج . الوابل : المطر العظيم القطر - البجاد : كساء مخطط - مُزمل : ملتف - والقياس رفع لفظة «مُدمل» لأنها نعت كبير - معنى البيت تشبيه جبل ثبير وقد هطل عليه أول المطر فخططه بما جزه من الأعشاب وأغصاب الشجر والوحول ، بسيد كبير في قومه يلبس كساء مخططاً .

عنتره بن شداد

المعلقة

- هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مِثْرَدَمٍ !
يا دارَ عَيْلَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي،
وكأَنَّمَا نَظَرْتُ بِعَيْنِي شَادِنِ
ثُمَسِي وَتَضْبِجُ فَوْقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍ؛
إِنْ تُغْدِفِي دُونِي الْقِنَاعَ ! فَإِنِّي
أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتَ، فَإِنِّي
فَلِذَا ظَلِمْتُ، فَلِإِنْ ظَلَمِي بِاسِلٌ،
وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ، بَعْدَمَا
بُرْجَاجَةٍ صَفْرَاءُ، ذَاتِ أَسْرَةٍ،
فَلِذَا شَرِبْتُ، فَإِنِّي مُسْتَهْلِكُ
وَإِذَا صَحَوْتُ، فَمَا أَقْصُرُ عَنْ نَدَى؛
هَلَّا سَأَلْتُ الْخَيْلَ، يَا ابْنَةَ مَالِكٍ،
إِذَا لَا أَزَالُ عَلَى رِحَالِي سَابِحِ
يُخْبِرُكَ مِنْ شَهْدِ الْوَقِيعَةِ أَنَّنِي
وَمُدْجَجٍ كَرِهَ الْكُمَاةُ نَزَالَهُ،
جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَغْنَةِ
فَشَكَّكَتْ بِالرُّمَحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ،
فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشَنُهُ،
لَمَّا سَمِعْتُ نِدَاءَ مُرَّةٍ قَدْ عَلا،
أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ، بَعْدَ تَوَهُمِ^(١)
وَعِمِي صَبَاحاً، دَارَ عَيْلَةٍ، وَاسْلَمِي^(٢)
رَشَاءٍ مِنَ الْغِزْلَانِ، لَيْسَ بِتَوَامٍ؛^(٣)
وَأَبَيْتُ فَوْقَ سَرَاةٍ أَذْهَمَ مُلْجَمِ^(٤)
طَبِّ بِأَخِذِ الْفَارِسِ الْمُسْتَلْثِمِ^(٥)
سَهْلٌ مَخَالَفَتِي، إِذَا لَمْ أَظْلَمِ،^(٦)
مُرٌّ مَذَاقْتُهِ كَطَغْمِ الْعَلَقَمِ^(٧)
رَكَدَ الْهَوَاجِزُ، بِالْمَشُوفِ الْمُغْلَمِ،^(٨)
قُرَيْتُ بِأَزْهَرِ، فِي الشَّمَالِ، مُقَدَّمِ^(٩)
مَالِي، وَعَرْضِي وَافِرٌ لَمْ يُكَلِّمْ؛^(١٠)
وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرُمِي^(١١)
إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً، بِمَا لَمْ تَعْلِمِي^(١٢)
نَهْدٍ، تَعَاوَزَهُ الْكُمَاةُ، مُكَلِّمِ،^(١٣)
أَغْشَى الْوَعْيَ، وَأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ^(١٤)
لَا مُنْعِينَ هَرَباً، وَلَا مُسْتَنْسِلِمِ^(١٥)
بِمُتَّقِفٍ، صَدَقِ الْكُعُوبِ، مُقَرَّمِ^(١٦)
لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمِ^(١٧)
يَقْضُمَنْ حُسْنَ بَنَانِهِ، وَالْمَغْصَمِ،^(١٨)
وَابْنِي رَبِيعَةً فِي الْعُبَارِ الْأَقْصَمِ،^(١٩)

أَيَقْنَتْ أَنْ سَيَكُونُ، عِنْدَ لِقَائِهِمْ،
لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ
يَذْعُونَ عَنَتَرَ، وَالرِّمَاحَ كَأَنَّهَا
مَا زِلْتُ أَزْمِيهِمْ بِثَغْرَةِ نَحْرِهِ،
فَارْزَوْا مِنْ وَقْعِ الْقَنَا بِلَبَائِهِ،
لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمُحَاوَرَةُ، اشْتَكَى؛
وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي، وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا،
وَالْخَيْلُ تَفْتَحِمُ الْخَبَارَ، عَوَإِسَاءُ،
وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَذُرْ

ضَرْبٌ يُطَيِّرُ عَنِ الْفَرَاخِ الْجُثْمَ (٢٠)
يَتَذَامِرُونَ، كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمِّمٍ (٢١)
أَشْطَانُ بئْرٍ فِي لَبَانِ الْأَذْهِمِ (٢٢)
وَلَبَائِهِ، حَتَّى تَسْرِبَلْ بِالْدَّمِ، (٢٣)
وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحْمُحُمِ (٢٤)
وَلَكَانَ، لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ مُكَلِّمِي (٢٥)
قِيلَ الْفَوَارِسُ: «وَيْكَ، عَنَتَرَ، أَقْدِمِ!» (٢٦)
مِنْ بَيْنِ شَيْظَمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْظَمِ (٢٧)
لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ابْنِي ضَمَضَمِ (٢٨)

هوامش

- (١) المتردّد: المحلّ الذي يُرَقَع ويصلح. والاستفهام إنكاري معناه: لم يترك الشعراء شيئاً يُرَقَع ويُصلح، يريد أنهم لم يتركوا فنّاً من الشعر إلاّ طرقوه. ثم أردف سائلاً نفسه: هل عرفت تلك الدار بعد طول العهد بها؟ يريد دار محبوبته عبلة، كما يُصرّح في الأبيات التالية. وقد أنكر بعض الأدباء كون البيت مطلع المعلقة.
- (٢) الجواء: بلد في نجد.
- (٣) نظرت: الضمير لعبلة - الشادن: ولد الظبية - الرشا: ولد الظبية، إذا قوي ركض مع أمه - ليس بتوأم: أراد أن هذا الغزال ولد فرداً فاستقل وحده بلبن أمه، دلالة على سمنه وقوّته - وقد ورد في شرح الزوزني والتبريزي، بدل هذا البيت، البيت التالي:
- (٤) إذ تَسْتَبِيكْ بذِي غروب واضح عَذِبٌ مُقْبِلُهُ لذيذُ المَطْعَمِ
تُسمي وتُصبِح: الضمير لعبلة - الحَشِيَّة: المسند يحشى بقطن أو صوف - السراة: أعلى الظهر - أدهم: أسود، صفة للفرس المحذوف.
- (٥) أغدِف: الستر: أرخاء - طَبْ: حاذق - المستلثم: لابس اللأمة - الدرع: يخاطب عبلة فيقول: لم ترخين قناعك فتسترين وجهك عني؟ ألست البطل الشديد الحاذق بأخذ الأبطال المتدربين فأحميك من السبي؟ وقيل بل أراد: إذا لم أعجز عن صيد الفرسان المتدربين فكيف أعجز عن صيدك.
- (٦) المخالقة: المفاعلة من الخلق: أي المعاملة مع الناس والمخالطة. وروى الزوزني: سمح مخالفتي. وفي رواية أخرى: سمح مخالطتي - المعنى تابع لمعنى البيت السابق: إذا رآك الناس قد سترت وجهك دوني، توهموا أنك قد استقللتني واحتقرتني، وأنا مستحقّ لخلاف هذا منك. فإثني عليّ بما عرفت من حسن أخلاق، فإني سهل المعاشرة إذا لم يظلمني أحد.
- (٧) المعنى: إذا ظلمت وهضم حقّي، وجد ظلمي باسلاً أي كريهاً مرّاً كالعلقم وهو نبات ضُرب المثل بمرارته. يريد: أني أعاقب من يظلمني عقاباً بالغاً يكرهه كما يكره طعم العلقم من ذاقه.
- (٨) المُدّامة: الخمرة - ركذ: سكن - الهواجر: ج. هاجرة: أشدّ أوقات النهار حرّاً، الظهيرة - المشوف: المَجْلُو، صفة الدينار المحذوف - المُعْلَم: الذي فيه كتابة، المنقوش - شربت خمرة جيدة غالية الثمن اشتريتها بالدينار المجلو الذي عليه كتابة، وذلك بعد اشتداد حرّ الظهيرة، أي بعد أن سكنت حرارة الشمس.
- (٩) بزجاجة: متعلّق بشربت - ذات أسرة: ذات طرائق وخطوط، أي مُخَطَّطة - قرنت بأزهر: أي جعلت إلى جنب إبريق أزهر: أبيض، مشرق اللون، أراد أنه من فضة - مفدّم: عليه الفِدام: المصفاة - أراد أنه يصبّ الخمر المصفّاة من ذاك الإبريق الأبيض في كأسه المخطّطة.
- (١٠) العرض: موضع المدح والذم من الإنسان - وافر: تامّ - لم يُكَلِّم: أي لم يؤثر به ذمّ، لم يجرح.
- (١١) فما أقصّر: وفي شرح الزوزني: فلا أقصّر - الشمائل: الأخلاق - وصف في البيت الأول إنه، إذا سكر، يكثر من العطايا حتى أنه يستهلك ماله، ثم استدرك قائلاً: أما عرضه فيظلّ تاماً لم ينثلم. لئلا يظن السامع أنه يستهلك عرضه، أي شرفه. أيضاً في حالة السكر، كما قد يفعل

بعض شراب الخمر . ثم استدرك على كل ذلك أيضاً في البيت الثاني قائلاً : أنه يظل على كرمه وحسن أخلاقه المعروفة في حال صحوه . وهذا لثلا يسبق إلى ذهن السامع أن ذاك الكرم قد يكون من مفعول السكر ، فيتركه الشاعر إذا ما صحا .

(١٢) هلاً : أداة تحضيض ، وجمهور النحاة على أنها إذا دخلت الماضي كانت للوم خصوصاً - ابنة مالك : عيلة ابنة عمه - إن كنت كاهلة بما لم تعلمي : أول ما يتبادر إلى الذهن أن لا فائدة من قوله : « بما لم تعلمي » إذ ليس أحد إلا وهو يجهل ما لم يعلمه . على أن التبريزي أجاب قائلاً : « إن في البيت تقدماً وتأخيراً ، والمعنى : هلاً سألت الخيل بما لم تعلمي ، يا ابنة مالك ، إن كنت جاهلة ! وقوله : بما لم تعلمي يريد : عما لم تعلمي . والباء بمعنى عن » .

(١٣) الرحالة : سرج كان يعمل من جلود الشاء بأصوافها يتخذ للجري الشديد - السابح : الذي يدعو بيديه فيسرع في جريه ، صفة للفارس المحذوف - النهدي : الغليظ - تعاوره : تتناوبه أي يطعنه هذا مرة وهذا مرة - الكماة : ج . كمي : البطل الشاكي السلاح - مكلم : مجرح .

(١٤) شهد : حضر - الوقعة : الوقعة ، المعركة - أغشى : أقتحم - الوغى : صوت المقاتلة وجلبة أهل الحرب ، أراد به المعركة - أعف : أترفع . هذا البيت جواب هلاً - يقول : أن سألت الأبطال أخبروك أنني أخوض المعركة ، ولكني أراجع عند اقتسام الغنائم ، فأترك نصيبي للناس .

(١٥) المدحج : الذي استتر كله بالسلاح - لا ممعن : أي لا هو يهرب ولا يستسلم فيؤسر ، ولكنه يقاتل . والبيت وصف لشجاعة ذاك البطل الثام الذي تخاف الأبطال نزاله لشدة بأسه .

(١٦) جادت يداي . . . : وفي شرح الزوزني : « جادت له كفي بعاجل طعنة » - المثقف : صفة الرمح المقوم بالثقاف - صدق : صلب : الكعوب : عقد الأنايب في قناة الرمح .

(١٧) الأصم : الصلب - فشكت . . . : أراد نظمت ثيابه بالرمح أي أنفذته من جسمه وثيابه كلها . ثم أردف ذلك بإرسال المثل : إن الكريم لا يمنعه كرمه من أن يقتل .

(١٨) الجزر : ج . جَزَرَة : الشاة أو الناقة التي أعدت للذبح - يُثَنَّنُه : يتناولنه - يقضمن : من الضم : أكل الشيء اليابس بالأضراس - المعصم : موضع السوار من الزند . وروى التبريزي الشطر الثاني على الصورة الآتية : ما بين قلة رأسه والمعصم .

(١٩) الأقم : المسودة .

(٢٠) يطير . . . : مفعوله محذوف تقديره الهام . وقد شبه ما حول الهام بالفراخ - وهذه الأبيات الثلاثة لم يروها الزوزني .

(٢١) القوم : أراد بهم قومه ، كما يدل عليه البيت التالي - يتذاكرون : يحرض بعضهم بعضاً - مذمم : مذموم - المعنى متصل بما تقدم : أي ظللت في مكاني تجاه العدو ، اسمع جلبة الحرب وأترفع شرّ المعارك ، حتى سمعت قومي تقدموا يحرض بعضهم بعضاً ، فهجمت ، وأنا محمود القتال غير ملوم فيه .

(٢٢) يدعون : الضمير لقومه - أشطان : ج . شطن : جبل البثر - اللبان : صدر الحصان - الأدم : الأسود ، صفة فرسه - ويروى بعد هذا البيت ثلاثة أبيات وهي :

يدعون عنتر ، والسيوف كأثها لم البوارق في سحاب مظلم :

يدعون عنتر، والسهم كأنها طش الجراد على مشارع حوم؛
يدعون عنتر، والدروع كأنه حديق الضفادع في غدير ديجم
وهي غير واردة في شرح الزوني، ولا في شرح التبريزي، ولم يذكرها أحد من ثقات الرواة.
(٢٣) الشفرة: نقرة النحر، وفي شجر التبريزي: بغرة وجهه - حتى تسريل . . . : أي حتى صار الدم
له بمنزلة السريل، فعم جسده.

(٢٤) أزور: مال - العبرة: الدمعة - التحمحم: صوت الفرس المتقطع الذي يشبه الحنين . .
(٢٥) المحاورة: المراجعة في الحديث، المخاطبة - يقول: أمال فرسي رأسه نحوي، لكثرة ما ناله من
رماح الأعداء في صدره، ودمعت عينه وحمم كأنه يطلب مني أن أرق له، وهو، ولو كان يعلم
الكلام، لأفصح بالشكوى، وهو تمثيل بديع لحالة الفرس ارتفع به إلى درجة الإنسان.
(٢٦) قيل: بمعنى قول - يريد أن تعويل رجاله عليه، والتجاء هم إليه، نفى عنه غمة، فشفى نفسه.
(٢٧) الخبر: الأرض اللينة - الشيطم: الطويل من الخيل - الأجرد: القليل الشعر - يريد أن ذلك كان
وقت كانت تجري خيلنا الطويلة، القليلة الشعر، الكالحة الرجوه، في أرض رخوة تغوص
فيها قوائمها، فتسير بصعوبة.

ويذكر الرواة عادة بعد هذا البيت بيتاً في وصف إبل الشاعر، وأنها مدللة منقادة، ولم نر علاقة
بينه وبين ما تقدّم، فأسقطنا من المتن، وهو:

ذُلُّ ركابي حيث شئت، مشايمي لُبسي، وأحفزُهُ بأمر مبرم
هذا، وأن في «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي، اختلافاً في رواية أكثر أبيات
المعلقة، ولا سيما القسم الأخير منها، مع تقديم وتأخير، فلم نر فائدة في الإشارة إلى شيء
من ذلك لشهرة روايات الزوني والتبريزي والأنباري التي استندنا إليها، فضلاً عن أن تلك
الاختلافات ثنوية قد تفيد دارسي النصوص بالبحث والمقابلة، ولكن ليس تحتها كبير أمر في
ما نحن فيه من إفادة الأدباء ليس غير.

(٢٨) ولم تذر: ويروى: ولم تكن - ابنا ضمضم: هما هرم وحصين المريان. وقد مر ذكر حصين في
البيت ٣٧ من معلقة زهير بن أبي سلمى. وكان عنتر قد قتل باهما في يوم المريقب، في حرب
داحس والغبراء، فكانا يضميران له الشر، كما ذكر في البيت التالي، يقول: أخاف أن أموت قبل أن
تنزل نواب الحرب بابني ضمضم، أي قبل أن أقتلتهما، وذلك لثلاثيشتا بموتي.

(٢٩) تنظرون: تنتظرون - رهط وردة: بنو مالك بن ضبيعة. يقول لأعمامه إن صغر الأولاد وبعد
أهل أمه جرّاهم على الظلم، ثم توعدّهم في البيت الثاني.

(٣٠) حيّا وائل: بكر وتغلب. يشير إلى حرب البسوس إقراراً لما أورده في البيت السابق.

(٣١) المبيّن: الظاهر - الآجن: الماء المتغير، الممتن - الذعاف: السم - يُقشِب: يُخلط.

(٣٢) القراف: المقاربة. إن مؤالفة من لا يستفيق من الشر تُعدي كما يعدي الأجر من الإبل
الصحيح.

(٣٣) المعطب: الهلاك.

(٣٤) سيغولني: سيهلكني - أشعبروا: فارقوا.

طرفة بن العبد

المعلقة

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِبُرْقَةٍ نُهَمِدِ
وَقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيئُهُمْ،
كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ، عُذْوَةٌ،
وَرَأَيْتِي لِأَمْضِي الْهَمَّ، عِنْدَ احْتِضَارِهِ،
لَهَا فَيُخَذَانِ أَكْمَلَ النَّخْضِ فِيهِمَا،
لَهَا مَزْفِقَانِ أَقْتَلَانِ، كَأَنَّمَا
كَفَّطَ طَرَّةَ الرُّومِيِّ أَفْسَمَ رَبُّهَا:
عَلَى مِثْلِهَا أَمْضِي، إِذَا قَالَ صَاحِبِي:
إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا: «مَنْ فَتَى؟» خَلَّتْ أُنْيَى
وَلَسْتُ بِحَلَالِ التَّلَاعِ مَخَافَةً؛
وَلِنْ تَبْغِيَنِي فِي حَلَقَةِ الْقَوْمِ، تَلْقُنِي،
وَلِنْ يَلْتَقِ الْحَيُّ الْجَمِيعُ، تُلَاقِنِي
نَدَامَايَ بَيْضَ كَالْجُجُومِ، وَقَيْنَةً
إِذَا نَحْنُ قُلْنَا: «أَسْمِعِينَا!» انْبَرَتْ لَنَا،
إِذَا رَجَعْتَ فِي صَوْتِهَا، خَلَّتْ صَوْتَهَا
وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الْخُمُورَ، وَلَدَّتِي،
إِلَى أَنْ نَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا،
أَلَا أَيُّهَاذَا اللَّائِمِي أَشْهَدُ الْوَعَى،
فَلِنْ كُنْتَ لَا تُسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيتِي،

تَلُوحُ كِبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ^(١)
يَقُولُونَ: «لَا تَهْلِكُ أَسَى، وَتَجَلَّدِ!»^(٢)،
خَلَايَا سَفِينٍ، بِالنُّوَاصِفِ مِنْ دَدٍ^(٣)،
بَعُوجَاءِ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتُغْتَدِي^(٤)،
كَأَنَّهُمَا بَابَا مُنِيفٍ مُمَرِّدٍ^(٥)،
ثُورٍ بِسَلَمَيِ دَالِجٍ مُتَشَدِّدٍ^(٦)،
لَتُكْتَنَفُنَ، حَتَّى تُشَادَ، بِقَرْمَدٍ^(٧)؛
أَلَا لِيَتْنِي أَفْدِيكَ مِنْهَا، وَافْتَدِي^(٨)،
عُنَيْثُ، فَلَمْ أَكْسَلُ، وَلَمْ أَتَبَلَّدِ،
وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمُ أَرْفِدُ^(٩)؛
وَلِنْ تَقْتَنِضْنِي فِي الْحَوَانِيَتِ تَضْطَدِ^(١٠)،
إِلَى ذُرْوَةِ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ الْمُصَمِّدِ^(١١)
تَرُوحُ إِلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ وَمُجَسَّدِ^(١٢)،
عَلَى رِسْلِيهَا، مَطْرُوفَةٌ لَمْ تَشَدِّ^(١٣)،
تَجَاوَبَ أَظَارَ عَلَى رُبْعِ رَدِي^(١٤)،
وَبَيْنِي وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمُتَلَدِّي^(١٥)،
وَأَفْرَدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمُعَبَّدِ^(١٦)،
أَنْ أَخْضَرَ اللَّذَاتِ، هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي^(١٧)؟
فَدَعْنِي أَبَادِزَهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي^(١٨)؛

فَلَوْلَا ثَلَاثٌ مِنْ لَذَّةِ الْفَتَى،
فَمِنْهُمْ سَبْقِي الْعَاذِلَاتِ بِشَرْبَةِ
وَكَرِيٍّ - إِذَا نَادَى الْمُضَافُ - مُحْتَبَأً
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّخَنِ، وَالدَّخْنُ مُعْجَبٌ،
كَرِيمٌ يُرَوِّي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ،
فَلَذَنْيَ أَرْوِي هَامَتِي فِي حَيَاتِهَا؛
لَعَمْرُكَ، إِنَّ الْمَوْتَ، مَا أَخْطَأَ الْفَتَى،
أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ
أَرَى الْمَوْتَ يَغْتَامُ الْكَرَامَ، وَيَضْطَفِي
أَرَى الْمَوْتَ أَغْدَاذَ الثُّفُوسِ، وَلَا أَرَى
أَرَى الْعَيْشَ كَنْزاً نَاقِصاً، كُلُّ لَيْلَةٍ،
وَوَظَلُّمٌ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً
فَلَوْ شَاءَ رَبِّي، كُنْتُ قَيْسَ بْنَ خَالِدٍ؛
أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ، خَشَاشٌ
فَإِنْ مُتُّ، فَانْعَيْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ،
لَعَمْرُكَ، مَا أَمْرِي عَلَيَّ بِعُثْمَةٍ،
سَتُبْدِي لَكَ الْآيَامَ مَا كُنْتُ جَاهِلًا
وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبْغِ لَهُ

وَجَدُّكَ، لَمْ أَخْفِلْ مَتَى قَامَ عُودِي^(١٩)
كَمَيْتٍ، مَتَى مَا تُغْلَ بِالْمَاءِ تُزِيدُ^(٢٠)،
كَسِيدَ الْغَضَا، تَبْهَتُهُ، الْمُتَوَرِّدُ^(٢١)،
يَبْهَكْنَةُ تَحْتَ الْخِبَاءِ الْمُعَمِّدِ^(٢٢)
مَخَافَةَ شُرْبٍ، فِي الْمَمَاتِ، مُصَرَّدُ^(٢٣)،
سَتَعْلَمُ، إِنْ مَتْنَا، صَدَى آيِنَا الصُّدِيِّ^(٢٤)!
لَكَالِطَوَّلِ الْمُرْخَى، وَثِيَاءُ بِالْيَدِ^(٢٥)!
كَقَبْرِ عَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدِ^(٢٦)
عَقِيلَةَ مَالٍ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ^(٢٧)،
بَعِيداً غَدَاً. مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ غَدٍ^(٢٨)!
وَمَا تَنْقُصُ الْآيَامُ وَالْدَهْرُ يَنْقُصُ^(٢٩)!
عَلَى الْمَرءِ مِنْ وَقَعَ الْحُسَامُ الْمُهْتَدِ^(٣٠)!
وَلَوْ شَاءَ رَبِّي، كُنْتُ عَمْرُو بْنَ مَرْثَدٍ^(٣١)؛
كَرَأْسِ الْحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ^(٣٢)
وَشَقِيَّ عَلَيَّ الْحَبِيبِ، يَا ابْنَةَ مَعْبِدٍ^(٣٣)!
نَهَارِي، وَلَا لَيْلِي عَلَيَّ بِسَرْمَدٍ^(٣٤)!
وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ^(٣٥)!
بَتَاتَا، وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ يَوْمَ مَوْعِدٍ^(٣٦)!!

هوامش

- (١) خولة : امرأة من بني مالك بن ضبيعة - البُرقة : أرض فيها حجارة وطين - تُهمد : مكان لبني دارم في نجد - الوشم : طريقة يُزَيَّن بها جلد الأيدي والسواعد والصدر وبعض أقسام الوجه ، وذلك بأن تُغرَز إبرة في الجلد ثم تُحشى المغارز بالإثمد أو غيره من الأكحال . وتُسمى النقوش أيضاً بالوشم ، جمعه الوشوم .
- (٢) وقوفاً : نصبها على الحال - المَطي : ج . المَطيّة : اسم جامع لكل ما يُمتطى : يُركب - تجلّد ، من التجلّد : تكلف الجلادة ، التصبّر - وقد ورد البيت نفسه في معلقة امرئ القيس (٣) على الصورة ذاتها ما عدا الكلمة الأخيرة فأنت : وتجمّل ! .
- (٣) حدود : ج . جذج : مركب النساء على الجمل ، ومثله الجداجة ج . حدائج - المالكية : نسبة إلى بني مالك ، وهي خولة - خلايا : ج . خليّة : السفينة العظيمة - سفين : ج . سفينة - النواصف : ج . الناصفة : أماكن تتسع من الأودية كالطرق ، مجاري الماء إلى الأودية - دد : وإد في الطريق من البصرة إلى البحرين ؛ وإن كان النواصف اسم مكان في عمان ، كما يقول ياقوت ، يصبح قسماً من هذا الوادي .
- (٤) الاحتضار : الحضور - العوجاء : صفة للناقة الضامرة والنشيطة - المِرقال : مبالغة من الإرقال وهو نوع من الركض يكون بأن تسير الناقة نافضة رأسها - تروح وتغتدي : أي تصل سير الليل بسير النهار - يقول : إذا أدركني الهمّ تخلّصت منه بالسفر على هذه الناقة .
- (٥) التحصّ : اللحم - مُنيف : صفة للقصر المحذوف ، عالٍ ، مشرف - ممرد : مملّس ، وفي رواية الشنتمري «ممدد» - المعنى : لهذه الناقة فخذان اكتنز لهما فشابها مصراعي باب قصر عال مملّس .
- (٦) افتلان : قويّان شديداً - تمر : في رواية الشنتمري : أمرا - سَلَمي : مثني سَلَم : الدلو ذات العروة الواحدة - الدالج : ناقل الماء الذي يملأ الدلو من البشر فيفرغها في الحوض ، ونعته بالمتشدّد أي القوي لأنه يباعد بين عضديه كي يبعد الدلوين عن ثيابه - شبه بُعد مرفقي الناقة عن جنبها ، وذلك صفة حسنة في النوق ، ببعد هاتين الدلوين عن جنبي حاملهما .
- (٧) لَتَكْتَنَنْ : أي لثبني من أكنافها : نواحيها - تُشاد : ترتفع أو تُطلى بالشيد وهو الجصّ - شبه الناقة في علوها وشدة خلقها بقنطرة لرجل رومي يبنى نواحيها بالقرمد حتى تصبح عالية متينة ويقول الشنتمري : «خصّ الرومي لأنه أحكم عملاً» ! .
- (٨) منها : الضمير للفلاة المقفرة . - المعنى : أني أسافر على مثل هذه الناقة ، إذا دخلنا فلاةً مقفرة فخاف صاحبي وقال : نحن هالكون ليتنا نفتدى .
- (٩) حلال : مبالغة من الحلول : النزول بالمكان . وفي رواية : بمحلال - التلاع : ج . تلّة : مجرى الماء في الوادي أو قرار الأرض - يسترفد : يطلب الرغد : الإعانة - المعنى : لا أنزل في الأماكن المنخفضة خوفاً من أن يراني الأضياف ، ولكنني أعين كل من يطلب معونتي .

- (١٠) الحوانيت: بيوت الخُمَّارين، ذكرنا هذا البيت وفقاً لرواية الشنتمري، أما الزوزني فيروي: «وأن تلتمسنني في الحوانيت تصطد» ولعل الأولى أصوب لما فيها من الموافقة بين «تقتنصني» و «تصطد».
- (١١) المصمَّد: الذي يصمد إليه الناس لشرفه أي يقصدونه في حوائجهم.
- (١٢) بيض كالنجوم: أي أحرار مشهورون، وقد يكون وصفهم بالبياض لثقافتهم من العيوب لأن الأبيض يكون نقياً من الدرن والوسخ - إلينا: وفي رواية: علينا - المُجسَّد: الثوب المصبوغ بالجساد: الزعفران.
- (١٣) على رسلها: على مهلها - مطروقة: فاترة النظر - لم تشدَّد: لم تجتهد، أي أنها تغني عفواً دون تكلف.
- (١٤) أظَّار: ج. ظئر: التي لها ولد - رُبِع: فصيل الناقة المولود في الربيع - ردي: هالك - يقول: إذا طرَبَت هذه المغنية في صوتها خلته أصوات نوق تتجاوب، إذ ترى أحد أولادها هالكا.
- (١٥) التشراب: الشرب الكثير - الطريف: المال المستحدث - المُتلد: المال الموروث.
- (١٦) تحامنتي: تجئبتني - المُتعبِد: المطلي بالقطران، دلالة على أنه مصاب بالجرب؛ وهو يُبْعَد ويعزل لئلا يعدي صحاح الإبل.
- (١٧) أشهد: يجوز فيها الرفع والنصب بأن مضمرة.
- (١٨) تستطيع: تستطيع - الموت لا بد منه، ولا معنى للبخل بالمال وترك الملذات.
- (١٩) وجدَّك: الوار للقسم - العُود: ج. العائد. الزائر في المرض - متى قام عوَّدي: متى ذهبوا يائسين من حياتي، أي متى مت.
- (٢٠) سبقي العاذلات: أي شربي الخمر باكراً قبل أن يتبهن - كُميت: الأحمر الضارب إلى السواد - متى ما تُغَل: . . . : أي متى صبَّ عليها الماء علاها حباب.
- (٢١) كُزي: عطفي - المضاف: المُلجأ - مُحَبَّباً: صفة للفرس المحذوف: الذي في يده انحناء، وهو مفعول به من كُزي. و «إذا نادى المضاف» جملة اعتراضية - السيد: الذئب - الغضا: شجر خصَّ الذئب به لأنه يكون أحبَّ الذئاب - المتورَّد: نعت الذئب: الذي يطلب الورد: الشرب - المعنى: إن الخصلة الثانية في لذة الفتى هي أن أسرع إلى نجدة الملتجئ إليّ، إذا ناداني، فاعطف عليه فرساً في يده انحناء يعدو عدو ذئب يسكن بين الغضا، إذا نبَّهته، وهو يريد الماء.
- (٢٢) يوم الدَّجن: اليوم يكون فيه غيم وندى وبعض المطر. ويكون تقصيره بأن يلهو فيه الإنسان، فيظهر قصيراً - البهكنة: المرأة الحسنة الخلف - الخباء: المضرب - المعمَّد: المرفوع بالعمد - والخصلة الثالثة هي أن أحداث امرأة حسنة الخلق في بيت مرتفع بالعمد، إذا أصبحت في يوم غائم لا يمكنني فيه الخروج.
- (٢٣) - (٢٤) في الروايات بعض الخلاف، في ما يتعلق بهذين البيتين، فقد أورد الزوزني بيتاً واحداً على هذا الشكل:
- كريم يروي نفسه في حياته ستعلم، إن متنا، غداً، أيُّنا الصدي.

= أما الذين يروون البيتين فيجعلون صدر الأول إلى عجز الثاني، وصدر الثاني إلى عجز الأول، وقد يقدّمون أحدهما على الآخر.

أما المعنى فهو: إني كريم أشفي نفسي وأروّيها من الخمر خوفاً من أن يكون شربي مصرّداً أي مقطوعاً قبل الرّيّ بالممات. ثم يشير في البيت التالي إلى خرافة قديمة عند العرب مفادها أن طائراً اسمه الصدى أو الهامة يخرج من رأس القليل ولا يزال يصيح: «اسقوني! اسقوني» حتى يؤخذ بثأره ولهذا سُمّي «صدى»، من الصدى بمعنى العطش، يقول: دعني أروي بالخمر هذه الهامة، أو هذا الطائر، فستعلم، إذا متنا، صدى أي واحد مثلاً يكون أشدّ عطشاً.

(٢٥) ما: مصدرية زمانية، أراد: إن الموت مدة أخطائه الفتى - الطول: الحبل يطول للدابة فترعى، وهي مربوطة به - ثياه: طرفاه. . . يقول: أقسم بحياتك أن الموت، في مدة مجاوزته الفتى، بمنزلة حبل يطول للدابة ترعى فيه وطرفاه بيد صاحبه. شبه الأجل بالحبل والفتى بالدابة التي لا تفلت منه.

(٢٦) النُحام: البخيل الذي يتنحّج إذا سئل - الغوي: المبذّر لماله، الضالّ - المعنى: لا فرق، بعد الموت، بين قبر الشحيح الحريص على ماله وقبر الكريم يجود به في سبيل غوايته وملاهيته.

(٢٧) يعتام: يختار - عقيلة كل شيء: أنفسه - الفاحش: البخيل - الموت يعمّ الأجواد والبخلاء.

(٢٨) الأعداد: ج. العِدّ: الماء الكثير المورود - المعنى: كل نفس لا بد لها من ورود الموت؛ فإن لم تمت في يومها فستموت في غدها، فأجلها، وإن تأخر إلى الغد، فهو قريب، لقرب يومها من الغد.

(٢٩) العيش: وفي رواية الشنتمري: المال.

(٣٠) المضاضة: الحرقه والتأثر.

(٣١) قيس بن خالد: المسمّى أيضاً: «ذا الجذّين» من شرفاء بني شيبان بكر. وفي رواية الزوزني:

قيس بن عاصم وهو خطأ، لأن هذا تميمي عاش في عصر النبي - عمرو بن مزند: من أقرباء طرفة. والرجلان مشهوران بكثرة المال ونجاة الأولاد.

(٣٢) الضرب: الخفيف اللحم - الخشاش: الدخال في الأمور لخفته وسرعته.

(٣٣) ابنة معبد: هي ابنة أخيه.

(٣٤) العُمة: الغم، الأمر المبهم الذي لا يهتدى له - المعنى أنه لا يتردّد في قضاء أموره بالنهار، ومن ثم لا يشغل باله في الليل، فيمتنع عليه النوم.

(٣٥) من لم تزوّد: من لم تعطه زوادة، أي مؤونة الطريق، ليبحث لك عن الأخبار.

(٣٦) لم تبع له: أي لم تشتتر له - البتات: كساء المسافر والبيت على نحو البيت السابق.

زهير بن أبي سلمى

المعلقة

أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ
ودارَ لها بالرُّقْمَتَيْنِ، كأنَّها
وقفتُ بها، مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً،
فلَمَّا عرفتُ الدَّارَ، قلتُ لِرَبِّعِهَا:
سعى ساعياً غَنِظَ بِن مُرَّةً، بعدما
فأقسمتُ بالبيتِ الذي طافَ حوله
يميناً، لَنِغَمِ السَّيِّدَانِ وَجَدْتُمَا
تداركْتُمَا عَبْساً وَذُبْيَانً، بعدما
ألا أَبْلِغِ الْأَخْلَافَ عَنِّي رِسَالَةً
فلا تَكْتُمَنَّ اللهُ مَا فِي صَدُورِكُمْ
يُؤَخِّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ، فَيُدْخَرُ
وما الْحَزْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ، ودُقْتُمْ
مَتَى تَبْعَثُوهَا، تَبْعَثُوهَا دَمِيمَةً؛
فَتَغْرُكُكُمْ عَزَّكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا،
سَمْتُ تَكَالِيفِ الْحَيَاةِ؛ وَمَنْ يَعِشُ
وأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ، وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ،
رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبُطَ عَشَوَاءَ مَنْ تُصِيبُ
وَمَنْ لَا يَصَانِغُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِزِّهِ

بَحْوَمانَةِ الدَّرَاجِ، فالْمَتَّئِلُ^(١)،
مَراجِيعُ وَشَمٍ فِي نَوَاشِرِ مِغْصَمٍ^(٢)،
فَلأَيَّ عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمٍ^(٣)؛
«أَلَا انْعِمَ صَبَاحاً، أَيُّهَا الرُّبْعُ، واسْلَمِ!»^(٤)
تَبْزُلُ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالدِّمِّ^(٥)
رِجَالٌ بَنُوهُ، مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمٍ^(٦)،
عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبَرِّمٍ^(٧)؛
تَفَانُوا، وَذُقُوا بَيْتَهُمْ عِطَرَ مَنَشَمٍ^(٨)
وَذُبْيَانٍ: «هَلْ أَقْسَمْتُ كُلَّ مُقْسَمٍ»^(٩)؟
لِيَخْفَى، وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللَّهُ يَغْلَمِ!
لِيَوْمِ الْحَسَابِ، أَوْ يُعْجَلُ فَيُنْقَمِ!»^(١٠)
وما هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ^(١١)،
وَتَضَرَّ، إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا، فَتَضَرَّ^(١٢)،
وَتَلَقَّخَ كِشَافاً، ثُمَّ تُنْتَجِخُ، فَتُثْنِمُ^(١٣)،
ثَمَانِينَ حَوْلًا، لَا أَبَا لَكَ!، يَسَامُ^(١٤)!
ولَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدِ عَمِي^(١٥)!
تُمِثُّهُ، وَمَنْ تُخْطِئُ يُعَمَّرُ فِيهِرِمِ^(١٦)
يُضَرَّسُ بِأَنْيَابٍ، وَيُوطَأُ بِمَنْسِمِ^(١٧)
يَفْزُهُ؛ وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشَّتْمَ يُشْتَمُ^(١٨)

ومن يك ذا فضل، فينبخل بفضله
ومن يوف لا يذمم؛ ومن يهد قلبه
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه،
ومن يجعل المعروف في غير أهله
ومن يغص أطراف الزجاج، فإنه
ومن لا يذذ عن حوضه بسلاحه
ومن يغترب يحسب عدواً صديقه؛
ومهما تكن عند امرئ من خليقة
لسان الفتى نصف، ونصف فؤاده؛
وإن سفاة الشيخ لا جلم بعده،
سألنا فأعطيتم، وعدنا فعدتم؛

على قومه، يستغن عنه ويذمم
إلى مطمئن البر لا يتجنم (١٩)
وإن يرق أسباب السماء بسلم (٢٠)
يكن حمده ذماً عليه، وينذم (٢١)
يطيع العوالي ركب كل لهذم (٢٢)
يهدم؛ ومن لا يظلم الناس يظلم (٢٣)
ومن لا يكرم نفسه لا يكرم (٢٤)
وإن خالها تخفى على الناس، تعلم (٢٥)
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم (٢٦)
وإن الفتى، بعد السفاهة، يحلم (٢٧)
ومن أكثر التسأل يوماً سيحرم (٢٨)

هوامش

- (١) أم أوفى : كنية امرأة الشاعر الأولى - الدمنة : ما اسودّ من آثار الدار بالبعر والرماد وغيرهما - حومانة الدراج : ماء بنجد على طريق البصرة إلى مكة - المتثلّم : موضع قريب منه - صيغة السؤال للتوَجُّع ، أو للشك .
- (٢) دارُ : في رواية الأنباري : ديارُ - الرقمتان : موضعان مرتفعان في نجد - مراجيع : ج . مرجوع : أراد به الوشم المرّد ، المجدّد . وفي روايات الشنتمري والأنباري والنحاس : مراجع - نواشر : ج . ناشر : العرق - المعصم : موضع السوار من الزند .
- (٣) الحِجَّة : الحول - اللأي : الجهد والمشقة - وقفت بدار أم أوفى ، بعد انقضاء عشرين حولاً ، فلم أعرفها إلا بعد مشقةً لتغيّرها عما كانت عليه ، ولطول العهد بها .
- (٤) لزّبع : موضع النزول في الربيع ، والمراد هنا الدار مطلقاً - أنعم صباحاً : أي طاب عيشك في صباحك ، من النعمة . وفي رواية الشنتمري : «ألا عِمْ صباحاً» .
- (٥) غيظ بن مُرّة : بطن من ذبيان كان منه الساعيان بالصلح وهما هرم بن سنان - والحريث بن عوف - تبزل : تشقّق - بالدم : أي بإراقة الدم بعد عقد الصلح .
- (٦) البيت : الكعبة - جُرهم : قبيلة قديمة كان منها ولاية الكعبة قبل قريش .
- (٧) السحيل : الخيط المفرد - المُبرم : الخيط المفتول . استعار الأول للحال الضعيفة والثاني للقوية - أراد أنكما كاملان مستوفيان لخلال الشرف في حالي اللين والشدة .
- (٨) عبس وذبيان : القبيلتان المتحاربتان - تفانوا : اشتركوا في الفناء أي أفنى بعضهم بعضاً - دُفُوا بينهم عطر منشم : مثل أصله أن امرأة عطّارة اسمها منشم كانت تسكن مكة . فكان العرب إذا دخلوا في حرب ، اشتروا منها حنوطاً لموتاهم ، حتى تشاءموا بها وبعطروها وسار المثل المذكور ، وفي تفسيره وجوه كثيرة .
- (٩) الأحلاف : أسد ، وغطفان ، وطى - المقسم : القسم .
- (١٠) المعنى : يستخلص من البيتين أن الشاعر كان يؤمن بالبعث والثواب والعقاب .
- (١١) ذقتم : أي جرّبتم - المرّجّم : المظنون - المعنى : ليست الحرب إلا ما جرّبتكم من أهوالها ، وليس هذا الأمر بالحديث المظنون الذي لا تعلم حقيقته ، بل هو شيء حسّي عرفتموه وذقتم نتائجه المؤلمة .
- (١٢) ذميمة : غير محمودة ، يريد : إذا لم تقبلوا الصلح ، وهجتم الحرب ، لم تحمدوا أمرها - وتضرى إذا ضرّتموها : أي تتعوّد وتجتريء إذا عوّدتموها فتتكرر عليكم ضارياً - تضرم : تلتهب .
- (١٣) يُقال الرحي : جلدة أو خرقة تجعل تحت الرحي ليقع عليها الطحين . والباء زائدة ؛ فيكون المعنى : تعرّككم عرك الرحي ثقالها - الكشف : أن تلقح النعجة في السنة مرتين - الإتام : إن تلد الأنثى توأمين - كل هذا تمثيل لفظاعة الحرب ونتائجها الوخيمة . قال إن الحرب

- تلقح في السنة مرتين وتلد توأمين . فجعل إفناءها إيّاهم بمنزلة طحن الرحي الحب ، ثم جعل أنواع الشر المتولدة عنها بمنزلة الأولاد الناشئة من الأمهات ، وبالح في الوصف باستتباع الشر بشيئين : الأول جعله إيّاها لاقحة كشافاً والثاني إتّامها .
- (١٤) في ترتيب الحكم اضطراب في شرح الأنباري والنحاس ، فاتبعنا فيه الزوزني خصوصاً - لا أبا لك : كلمة جافية كأنه يلوم بها نفسه . وهو لا يريد بها هنا الجفاء ، ولكن التنبيه والإعلام .
- (١٥) العمي : الجاهل .
- (١٦) الخبط : الضرب باليد - العشواء : مؤنث الأعشى ، التي لا تبصر الليل يريد بها الناقة التي تضرب بيدها ليلاً على غير هدى ؛ كنى بها عن الموت الذي يصيب الناس على غير ترتيب .
- (١٧) صائغ الناس : جاملهم وداراهم - يُضرس : يعرض بالضررس - المنسم : للبعير كالسنبك للفرس .
- (١٨) يَفْرَهُ : من وفر الشيء : كثره - المعنى : من جعل إحسانه بين عرضه وكلام الناس ، صان عرضه من الذم .
- (١٩) يوفى ويفي بمعنى واحد - من يف بعهد لا يتعرض للذم - المطمئن : الثابت ، المستقر - لا يتجمجم : لا يتردد - أي من يهده الله إلى عمل أو إلى حالة يطمئن إليها قلبه ، لا يتردد في المضاء فيها .
- (٢٠) أسباب المنايا : الحروب وما شاكل - الأسباب الثانية : بمعنى الحبال .
- (٢١) المعنى : من أحسن إلى من لا يستحق الإحسان ، نال الذم عوض الحمد والشكر ، فندم على عمله .
- (٢٢) الزجاج : ج . رُجَّ : الحديد المركب في أسفل الرمح - العوالي : ج . عالية : طرف الرمح الأعلى - اللهدم : السنان الطويل - كان من عادة العرب ، إذا التقى الفريقان ، أن يديرُوا زجاج الرماح ، ثم يسعى الساعون بالصلح ، فإن نجحوا كان خيراً ، وإلا قلبوا رماحهم واقتتلوا بالأسنة . فيكون المعنى : من أبى الصلح ، ذلته الحرب .
- (٢٣) الذود : الكف ، الردع ، الدفاع - الحوض : يريد كل ما خص الإنسان من مال وحريم وغير ذلك .
- (٢٤) يحسب عدوّاً صديقه : لأنه لم يجزبه .
- (٢٥) الخليقة : الصفة حسنة كانت أم سيئة .
- (٢٦) هذا كقول العرب : « المرء بأصغريه : قلبه ولسانه » ! .
- (٢٧) السفاه والسفه : ضد الحلم ، الجهل والتزق - يحلم : كان عليه أن يقول يحلم . فكسرها جرياً مع القافية .
- (٢٨) التسأل : بمعنى السؤال .

لبيد بن ربيعة

المعلقة

عَفَّتِ الدِّيَارُ: مَحَلُّهَا فَمَقَامُهَا
فَمَدَافِعُ الرِّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا
فَوَقَفْتُ أَسْأَلُهَا! وَكَيْفَ سَوَّالُنَا
عَرِيتُ، وَكَانَ بِهَا الْجَمِيعُ، فَأَبْكُرُوا
بَلْ مَا تَذْكُرُ مِنْ نَوَارٍ، وَقَدْ نَأَتْ،
وَإِخْبُ الْمُجَابِلَ بِالْجَزِيلِ، وَصُرْمُهُ
بَطْلِيحِ أَشْفَارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّةً
وَإِذَا تَعَالَى لَحْمُهَا، وَتَحَسَّرَتْ،
فَلَهَا هِيبَاتٌ فِي الزُّمَامِ، كَأَنَّهَا
أَوَّلَمْ تَكُنْ تَدْرِي نَوَارٍ بِأَنِّي
بَلْ أَنْتِ لَا تَذَرِينَ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ
قَدْ بَثَّ سَامِرُهَا، وَغَايَةِ تَاجِرٍ
وَغَدَاةَ رِيحٍ قَدْ وَزَّغَتْ، وَقِرَّةَ
بِصْبُوحِ صَافِيَةٍ، وَجَذْبِ كَرِينَةٍ
وَلَقَدْ حَمَيْتُ الْحَيَّ، تَحْمِلُ شِكَّتِي
إِنَّا، إِذَا التَقَّتِ الْمَجَامِعُ، لَمْ يَزَلْ
فَاقْتَنَعَ بِمَا قَسَمَ الْمَلِيكُ، فَإِنَّمَا
قَبَيْتُنِي لَنَا بَيْتاً رَفِيعاً سَمَكُهُ،
فَهُمُ السُّعَاءُ، إِذَا الْعَشِيرَةُ أَفْطَعَتْ؛
يَمْنِي، تَابَدَ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا^(١)
خَلْقاً، كَمَا ضَمِنَ الْوُحْيُ سِلَامُهَا^(٢)
صُمّاً خَوَالِدَ مَا يَبِينُ كَلَامُهَا^(٣)
مِنْهَا؛ وَغُرْدِرَ نُؤْيُهَا وَثُمَامُهَا^(٤)
وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَرِمَامُهَا^(٥)
بَاقٍ، إِذَا ظَلَعَتْ وَزَاغَ قِوَامُهَا^(٦)
مِنْهَا، فَأَخْنَقَ صُلْبُهَا وَسَنَامُهَا^(٧)
وَتَقَطَّعَتْ، بَعْدَ الْكِلَالِ، خِدَامُهَا^(٨)
صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجَنُوبِ جَهَامُهَا^(٩)؛
وَصَّالُ عَقْدِ حَبَائِلٍ، جَدَامُهَا^(١٠)
طَلْقٍ، لَذِيذِ لَهْوِهَا وَنِدَامُهَا^(١١)،
وَاقْنِيتُ، إِذْ رُفِعَتْ وَعَزُّ مُدَامُهَا^(١٢)
قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدَ الشَّمَالِ زِمَامُهَا^(١٣)،
بِمُوتَرٍ تَأْتَالُهُ إِبْهَامُهَا^(١٤)
فُرْطٌ، وَشَاحِي، إِذْ عَدَوْتُ، لِجَامُهَا^(١٥)
مِنَّا لَزَاؤُ عَظِيمَةٍ جَشَّامُهَا^(١٦)
قَسَمَ الْخِلَائِقُ بَيْنَنَا عَلَامُهَا^(١٧)
فَسَمَا إِلَيْهِ كَهْلُهَا وَغَلَامُهَا^(١٨)
وَهُمُ فَوَارِسُهَا، وَهُمْ حُكَّامُهَا^(١٩)،

هوامش

- (١) عفت: درست وامحتت، والفعل لازم ومتعدّد. المحلّ: الموضع ينزل به لأيام قليلة - والمقام: ما طالّت الإقامة به، وهما بدل من الديار - ومنى: اسم موضع في حمى ضريبة، وكذلك الغول والرجام: موضعان في الحمى نفسه - تأبّد: توحّش - المعنى: امتحت ديار الأحبة: ما كان منها للحلول وما كان للإقامة بمعنى، وتوحّش الموضعان المذكوران لبعدهما عنهما.
- (٢) مدافع: ج. مدفع: مجرى الماء - الريّان: واد بالحمى المذكور - الخلق: القديم البالي وهو منصوب على الحال من الرسم - الوحي: ج. الوحي: الكتابة - السلام: ج. السليمة: الحجر - يتابع الوصف فيقول: توحّشت أيضاً مجاري المياه في وادي الريّان، فعزّت رسمها السيول حتى أصبح بالياً، ولكنه لم يُمَحّ تماماً، بل بقي ظاهراً كما تظهر الكتابة في الحجارة.
- (٣) أسألها: ضمير المفعول للاطلاع: الضمّ: ج. الأصمّ: الصخر الصلب - خوالد: باقية - بعد أن يذكر أنه وقف يسأل الأطلال عن أهلها الذين ارتحلوا، يقول: وما الفائدة من سؤال ما لا يجيب...؟
- (٤) عريت: أي خلت من أهلها - الثؤي: مجرى يحفر حول الخباء لينصبّ فيه الماء فلا يدخل الخباء - الثمام: ضرب من النبات لين ضعيف تُسَدّ به خصائص البيوت.
- (٥) بل: للإضراب استعملها لينتقل من صفة الديار إلى صفة المرأة التي يتغزّل بها، واسمها نوار - نأت: بعدت - الأسباب: ج. سبب: الحبل - الرمام: ج. الرزمة: قطعة الحبل البالية - المعنى: أي شيء تتذكر من نوار، وقد بعدت عنك وتقطعت كل صلة لك بها من متينة وضعيفة.
- (٦) المجامل: المصانع، الذي يظهر لك الجميل والمودة - صُرْمُه: قطعه، والواو للحال - ظلعت: انحرفت في سيرها - المعنى: قابل من يظهر لك الجميل بجميل أوفر ممّا يظهره، أما إذا زاغت مودته وترك الاستقامة فتكون قطيعته حاضرة لديك فاقطعه.
- (٧) بطليح: الباء متعلقة بـ «فاقطع». الطليح: صفة الناقة التي أتعبها السير وأضعفها - أحنق: ضعف - المعنى: أنت قادر على قطيعة من ترك سبيل الاستقامة، بأن ترحل على ناقة أعيبتها الأسفار فلم تترك منها إلا بقية، وقد ضمّر ظهرها وسنامها.
- (٨) تعالى لحمها: ارتفع إلى رؤوس العظام - تحسّرت: صارت حسيراً أي عارية عن اللحم - الخدام: ج. خدمة: سير من جلد يُشدّ إلى أرساغ الإبل - المعنى: إذا تعبت هذه الناقة فهزلت حتى تجتمع لحمها في رؤوس العظام، فبدت عارية من اللحم، وتقطّعت سيورها.
- (٩) الهباب: النشاط - الصهباء: صفة للسحابة المحمّرة - خفّ: أسرع؛ وفي رواية التبريزي: راح - الجهم: السحاب الذي لا ماء فيه أو أهرق ماءه - المعنى: عند ذلك، أي على الرغم من التعب، يكون لهذه الناقة نشاط عجيب، فإنها تسرع كما تسرع السحابة الحمراء التي لا ماء فيها وهي تكون أخفّ من غيرها.

- (١٠) الحبائل : ج . الحباله وهي مستعارة للموَدَّة - جَذَام : قطاع - أو لم تكن تعلم نوار أني أصل من يستحق الصلة وأقطع من يستحق القطيعة .
- (١١) أنت : يخاطب نوار - ليلة طلق : ليس فيها حرّ ولا برد - النِدام : المنادمة .
- (١٢) سامرها : يعني سامراً فيها أي متحدثاً - الغاية : الراية ينصبها الخُمَار ليُعرف موضعه - والتاجر : الخُمَار - المعنى : كم من ليلة سهرتها أحداث نداماي . وكم من غاية تاجر أتيتها فاشتريت خمرة غالية عزيزة الوجود .
- (١٣) وزعت : كنف ، رددت ، وروى : كشفت - القِرَّة : البرد - بيد الشمال : أي ريحها شمالية .
- (١٤) الصبوح : الشرب في الصباح ، وهي متعلقة بوزعت - الكرينة : المرأة التي تضرب على الكران : نوع من العيدان - الموتر : ذو الأوتار - تأتاله : تصلحه .
- (١٥) الحي : في رواية التبريزي : الخيل - الشكَّة : اسم لجميع السلاح - الثُرط : الفرس السريعة السابقة الخيل . وجملة «تحمل شكتي» حال . وجملة «وشاحي إذ غدوت لجامها» صفة لفرط أي لجام هذا الفرس وهو وشاحي عندما أغدو لاموري ؛ يريد أن يلقي اللجام على عاتقه ويخرج يده منه ، فيصير له بمنزلة الوشاح . وكان فرسان العرب يصنعون ذلك ، ليكون اللجام قريباً منهم ، ساعة الخطر ، فيلجمون الفرس ويركبون سريعاً .
- (١٦) اللِّزَّاز : الذي يلزم الشيء ، الجَسَام : المتكلّف الأمور - المعنى : إذا اجتمعت القبائل لم تخلُ مجامعهم من رجل مثا قادر على رفع العظائم يتكلّف القيام بها عن الناس .
- (١٧) الخلائق : الأخلاق الحسنة - المليك والعلام : أي الله سبحانه .
- (١٨) سمك البيت : سقفه - سماه : ارتفع .
- (١٩) أفطعت : أصيبت بأمر فظيع - السَّعاة : أي الذين يسعون في إصلاح الحال .

عمرو بن كلثوم

المعلقة

أَلَا هُبَيْي يَصْخَرُكَ فَاصْبَحِينَا! وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا^(١)!
 مُشْغَشَعَةً كَأَنَّ الْحُصْنَ فِيهَا، إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا^(٢)،
 أَبَا هِنْدٍ! فَلَا تَغْجَلْ عَلَيْنَا؛ وَأَنْظِرْنَا، نُخَبِّرَكَ الْيَقِينَا^(٣):
 بِأَنَّا نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيضاً، وَتُضْذِرُهُنَّ، حُمْراً قَدْ رَوِينَا^(٤)!
 وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٌّ طَوَالٍ عَصَيْنَا الْمَلِكَ فِيهَا أَنْ تَدِينَا^(٥)
 وَسَيِّدٍ مَغْشَرٍ قَدْ تَوَجَّهَ بَتَاجِ الْمُلْكِ، يَخْمِي الْمُخَجَرِينَا^(٦)،
 وَقَدْ هَرَّتْ كِلَابُ الْحَيِّ مِنَّا، وَشَذَّبْنَا قِتَادَةً مِنْ يَلِينَا^(٧)؛
 مَتَى نَنْقُلْ إِلَى قَوْمِ رَحَانَا، يَكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَهَا طَحِينَا^(٨)،
 يَكُونُ ثِفَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ، وَلَهُوُّهَا قُضَاعَةٌ أَجْمَعِينَا^(٩)،
 وَرِثْنَا الْمَجْدَ - قَدْ عَلِمَتْ مَعْدَا - نُطَاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا^(١٠)!
 نُطَاعِنُ مَا تَرَاخَى النَّاسُ عَنَّا، وَنَضْرِبُ بِالسَّيْفِ، إِذَا غُشِينَا^(١١)،
 نَشُقُّ بِهَا رُؤُوسَ الْقَوْمِ شَقّاً، وَنُخْلِيهَا الرُّقَابَ فَيَخْتَلِينَا^(١٢)؛
 كَأَنَّ جَمَاجِمَ الْأَبْطَالِ فِيهَا وَشُوقٌ بِالْأَمَاعِزِ يَزْتَمِينَا^(١٣)؛
 كَأَنَّ سُيُوفَنَا، فِينَا وَفِيهِمْ، مَخَارِيقُ بَأْيَدِي لَاعِبِينَا^(١٤)!
 أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا، فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا^(١٥)،
 بِأَيِّ مَشِيئَةٍ، عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ، تُطِيعُ بِنَا الْوُشَاءَ، وَتَزْدَرِينَا^(١٦)؟
 بِأَيِّ مَشِيئَةٍ، عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ، نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فِيهَا قَطِينَا^(١٧)؟
 تَهْلِدُنَا وَتُوَعِدُنَا! زُوَيْدَا! مَتَى كُنَّا لَأُمِّكَ مَقْتُولِينَا^(١٨)؟
 وَرِثْنَا مَجْدَ عَلَقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ الْمَجْدِ دِينَا^(١٩)!

وَرِثْتُ مُهْلَهلاً، وَالْخَيْرَ مِنْهُ
وَعَثَاباً، وَكُلْشوماً، جَمِيعاً
وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعِي كُلِّيبٌ
إِلَيْكُمْ! يَا بَنِي بَكْرِ، إِلَيْكُمْ!
عَلَى آثَارِنَا يَنْضَحُ حَسَانٌ
ظَلَمَائُنُ مِنْ بَنِي جُشَمَ بْنِ بَكْرِ،
إِذَا مَا رُحْنُ يَمْشِينَ الْهُوَيْنَا،
يَقْتُنَ جِيَادَنَا، وَيَقْلُنَ: «لَسْتُمْ
وَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ،
بِأَنَا الْمُطْعِمُونَ، إِذَا قَدَرْنَا،
وَأَنَا الْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا،
وَنَشْرَبُ، إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ، صَفَوْا،
إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسِ خَسَفاً،
مَلَأْنَا الْبِرَّ حَتَّى ضَاقَ عُنَا،
لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا،
إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ،

زُهَيْراً، يَنْفَمُ دُخْرُ الذَّاخِرِينَا^(٢١٠)!
بِهِمْ يَلْنَا ثَرَاثَ الْكَرْمِينَا^(٢١١)!
فَأَيُّ الْمَخْجِدِ إِلَّا قَدْ وَلِينَا^(٢٢٢)؟
أَلَمَّا تَعْرِفُوا مِنَّا الْيَقِينَا^(٢٢٣)؟
نُحَاذِرُ أَنْ تُقَسِّمَ أَوْ تَهُونَا^(٢٢٤)،
خَلَطَنَ بِمَيْسَمِ حَسْبَا وَدِينَا^(٢٢٥)،
كَمَا اضْطَرَبَتْ مُتَوْنُ الشَّارِبِينَا^(٢٢٦)،
بُعُولَتُنَا، إِذَا لَمْ تَمْتَعُونَا^(٢٢٧)!
إِذَا قُبِبَ بِأَبْطَحِهَا بُنِينَا^(٢٢٨)،
وَأَنَا الْمُهْلِكُونَ، إِذَا ابْتُلِينَا^(٢٢٩)،
وَأَنَا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا،
وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدَرَا وَطِينَا^(٢٣٠)!
أَبِينَا أَنْ تُقَرَّ الْخَسَفَ فِينَا^(٢٣١)!
وَوَظْهَرَ الْبَحْرِ تَمْلَأُهُ سَفِينَا،
وَنَبْطِشُ، حِينَ نَبْطِشُ، قَادِرِينَا!
تَخْرُ لَهُ الْعَجَابُزُ سَاجِدِينَا!

هوامش

- (١) الصّحن : القدر الكبير - أصبحينا : اسقينا الصبح : الشرب صباحاً - الأندرين : قرية في جنوبي حلب ، على مسيرة يوم للمراكب .
- (٢) الحُصّ : نبت له زهر أحمر إلى الصفرة يشبه الزعفران - سخينا : في معنى هذه اللفظة قولان : الأول أنها فعل من السخاء والنون للجمع ، فيكون المعنى : إذا شربنا فأنا نسحو ونجود بمالنا . والثاني صفة من السخونة فتكون حالاً للماء الذي يخالط الخمرة ، ولعل هذا أصح لأن قرية الأندرين كانت للروم في ذلك الزمن ، ومن عادتهم أن يشربوا الخمر بالماء السخين ، كما ذكر أبو العلاء في «رسالة الغفران» .
- (٣) أبو هند : كنية عمرو بن هند - أنظرنا : انتظرنا ، لا تعجل علينا .
- (٤) روين : شربين حتى اكتفين . في البيت نوع لطيف من التلميح والاكتفاء .
- (٥) غرّ طوال : استعارها من صفات الخيل وأراد بها الأيام المشهورة - أن ندينا : أن نطيع ، من الدّين : الطاعة .
- (٦) المحجرون : الذين قد أجبروا على أن يلجأوا إلى المضيق . وجملة «يحمي المحجرين» صفة لسيد .
- (٧) القتادة : واحدة القتاد ، وهو شجر له شوك . أراد بتشذيب القتادة : كسر الشوك ، الإذلال .
- (٨) أراد بالرحى : الحرب .
- (٩) الثفال : خرقه أو جلدة تبسط تحت الرحى ليقع عليها الطحين - اللّهوة : القبضة من الحب تُلقى في فم الرحى . يتابع تشبيه الحرب بالرحى حتى دقائقه .
- (١٠) يبين : يظهر .
- (١١) تراخى : تأخر ، تباعد - عُشينا : أي اقترب الأعداء منجا .
- (١٢) بها : أي بالسيوف - نخليها الرقاب : أي نجعل الرقاب لها كالخلاء وهو الحشيش .
- (١٣) فيها : في السيوف - وسوق : ج . وُسق : الجمل - الأماعر : ج . أمعر : الأرض الصلبة الكثيرة الحصى .
- (١٤) فينا وفيهم : وفي شرح الزوزني : منا ومنهم - مخاريق : ج . ويخراق : سيف من خشب يلعب به الصبيان - أراد أنهم كانوا يضربون بسرعة غير حافلين بمواقع سيوفهم ، كما لا يحفل الصبيان بمخاريقهم .
- (١٥) الجهل : السفه . أراد من يسفه علينا نجازيه ، واستعمل لفظة الجهل لتجانس اللفظ وهو ما يسمّى في البيان «بالمشاكله» ، وهذا البيت ختام المعلقة في شرح التبريزي .
- (١٦) هذا البيت لم يروه ابن السكيت .
- (١٧) القيل : الملك الذي يطيع ملكاً أعظم منه - القطين : الخدم - المعنى : كيف تريد ، أو كيف تطمع ، أن نكون أذلاء لم وليت علينا من الأمراء ، وأنت تعرف عزنا وأنفتنا؟

- (١٨) مَقْتُون : ج . مَقْتَوِي : نسبة إلى مقتى : مصدر قتا يقتو : خدم الملوك - إنك تهْدَدنا ! فعلى رسلك ! وترْفُق في ذلك . فإننا لم نكن خدماً لأَمك قط . يشير إلى الحادثة المشهورة .
- (١٩) علقمة : علقمة بن سيف بن عتاب . هو الذي تولّى قيادة تغلب ، وأنزلهم أرض الجزيرة بعد حرب البسوس - الدين : الطاعة . يعني : أنه حارب حتى غلب أقرانه ، وجعل حصون المجد مُباحة طائفة لبني قومه .
- (٢٠) المهلهل : البطل الشاعر المشهور ، وهو جدّ عمرو بن كلثوم لأمه ، وزهير أحد أجداده من جهة أبيه .
- (٢١) عتاب : جدّ جدّ الشاعر - كلثوم : أبو الشاعر .
- (٢٢) قبله : أي قبل ذي البرّة - الساعي إلى المجد - كليب : أخو المهلهل الذي قتله جَسَّاس ، ثارت بسببه حرب البسوس .
- (٢٣) إليكم : أي إليكم عتّا ، يا بني بكر ، فتنحّوا وتباعدوا عن مفاخرتنا ، لأنكم قد علمتم حقيقة بأسنا .
- (٢٤) بيض حسان : صفة للنساء - تهون : تذللّ - يقول : نساؤنا خلفنا ندافع عنهم خوفاً من أن يسيهّن العدو فيقتسمهن ويدلهنّ . وكان من عادة العرب أن يحملوا نساءهم إلى ساحة الحرب ، فيتشجعوا ويستقتلوا مخافة العار بسبي الحريم .
- (٢٥) الميسم : الحسن - يصف هؤلاء النساء فيقول أن لهنّ ، مع الجمال ، حسباً وديناً .
- (٢٦) كما اضطربت . . . : شبه النساء في مشيهنّ الهويناً بالسكران في تمايلهم .
- (٢٧) يظعن : يظعن - يذكر خدمات النساء لهم في الحرب ، ويعطف بذكر تحريضهنّ لهم القتال .
- (٢٨) إذا قُبب . . . : أي إذا اجتمعت .
- (٢٩) قدَرنا : طبخنا ، ومنه القدر .
- (٣٠) يحتمل البيت معنى مجازياً أيضاً ، وهو : أننا ننال من كل شيء أفضله ، ونترك أرداه لغيرنا .
- (٣١) الخسف : الدلّ .

الحرث بن حنظلة

المعلقة

أَذَّنَّا بِبَيْنِهَا أَشْمَاءَ؛ رُبُّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ^(١)؛
بَعْدَ عَهْدٍ لَهَا بِبُرْقَةِ شَمَاءَ فَاذْنَى دِيَارِهَا الْخُلُصَاءُ^(٢)،
وَأَتَانَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْأَتْبَاءِ خَطْبٌ تُغْنَى بِهِ وَنُسَاءُ^(٣)؛
أَنَّ إِخْوَانَنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلُونَ عَلَيْنَا؛ فِي قِيْلِهِمْ إِخْفَاءُ^(٤)؛
رَزَعُوا أَنْ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْرَ مُوَالٍ لَنَا، وَأَنَا الْوَلَاءُ^(٥)؛
أَجَمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءَ؛ فَلَمَّا أَضْبَحُوا، أَضْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ^(٦)؛
مِنْ مُنَادٍ، وَمِنْ مُجِيبٍ، وَمِنْ تَضْهَالٍ خَيْلٍ، خِلَالَ ذَاكَ رُغَاءُ^(٧)؛
أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُرْقَشُ عَنَّا، عِنْدَ عَمْرٍو، وَهَلْ لِدَاكَ بَقَاءُ^(٨)؛
هَلْ عَلِمْتُمْ، أَيَّامَ يُنْتَهَبُ النَّاسُ غَوَارًا، لِكُلِّ حَيٍّ غَوَاءُ^(٩)،
إِذْ رَفَعْنَا الْجَمَالَ مِنْ سَعْفِ الْبَحْرَيْنِ سِيرًا، حَتَّى نَهَاها الْجِسَاءُ^(١٠)،
ثُمَّ مَلْنَا عَلَى تَمِيمٍ، فَأَحْرَمْنَا، وَفِينَا بَنَاتُ قَوْمِ إِمَاءُ^(١١)؛
فَمَلَكْنَا بِذَلِكَ النَّاسَ، حَتَّى مَلَكَ الْمُنْذَرُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ^(١٢)؛
وَهُوَ الرَّبُّ، وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْمِ الْحَيَارَيْنِ، وَالْبَلَاءُ بَلَاءُ^(١٣)؛
مَلِكٍ أَضْرَعَ الْبَرِّيَّةَ لَا يَوْجِدُ فِيهَا، لِمَا لَدَيْهِ، كِفَاءُ^(١٤)؛
فَاتَرَكُوا الطَّيْحَ وَالتَّعْدِيَّ، وَإِنَّمَا تَتَعَاشُوا، فِي التَّعَاشِي الدَّاءِ^(١٥)؛
وَأَذْكُرُوا جِلْفَ ذِي الْمَجَازِ، وَمَا قُدِّمَ فِيهِ الْعُهُودُ وَالْكُفْلَاءُ^(١٦)،
أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُبْلَغُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو، وَهَلْ لِدَاكَ انْتِهَاءُ^(١٧)؛
إِنَّ عَمْرًا لَنَا لَدَيْهِ خِلَالَ

هوامش

- (١) آذنتنا: أعلمتنا - البين: الفراق - أسماء: اسم صاحبة الشاعر - الثواء: الإقامة - ذكر أن أسماء أعلمته بفرافها القريب، ثم قال: ربّ مقيم تُملّ إقامته، يريد أن إقامة أسماء لا تملّ.
- (٢) لها: في رواية: لنا - عزمت على الفراق بعد عهدنا بها في هذه المواقف - البرقة: الأرض المرتفعة أو الرابية فيها رمل وطين وحجارة - شماء: هضبة معروفة - الخلاء: اسم موضع، وهي أقرب ديارها إلينا.
- (٣) الخطب: الأمر العظيم - تُعني به: نهتمّ به، نحزن له، ويثقل علينا.
- (٤) في هذا البيت تفصيل الخطب - الأراقم: بطون من تغلب وهو يدعوهم إخوانه لأن بكرأ وتغلب ابنا وائل - يغلون: إما أن يكون معناها: يتجاوزون الحدّ في تشكيهم مثا، فتكون من الغلو. وإما أن يكون معناها: تغلي صدورهم علينا غيظاً حنقاً - القيل: بمعنى القول - الإحفاء: التعدي والظلم. وجملة «في قيلهم احفاء» حالية اسمية لا رابط لها.
- (٥) اختلف الأئمة في شرحهم لهذا البيت لاختلافهم في فهم لفظة «العير» حتى قال أبو عمرو بن العلاء: «قد ذهب من كان يعرف معنى هذا البيت!» وخلاصة الآراء المشهورة أن العير: السيد، وأراد به كليب وائل. فيكون المعنى: زعم بنو تغلب أن كل من رضي بموت كليب هو من حلفائنا، أو أن العير: الودد، والمعنى: زعموا أن كل من ضرب وتد خيمة هو من مواليها. إلخ... وأنا الولاء: أي أصحاب الولاء.
- (٦) أجمعوا أمرهم: الضمير لبني تغلب: أي صمّموا على قتالنا - عشاء: في شرح التبريزي: بليل - الضوضاء: الجلبة والصياح.
- (٧) في هذا البيت تفصيل الضوضاء - الرغاء: أصوات الإبل، وفي البيتين صورة غاية في الدقة والجمع لتأقّب القوم واستعدادهم.
- (٨) المرقش: ممّوه الكلام ومزخرفة - وهل...: استفهام إنكاري أي: لا بقاء لتمويهك، لأن الملك يعرف أنه باطل، ولا بقاء للباطل.
- (٩) الغوار: المغاورة أي أن يغير القوم بعضهم على بعض - العواء: صوت الذئب، استعاره للضجيج والصياح. قال التبريزي: أنه يشير إلى الأيام التي هزم فيها كسرى (نحو السنة ٥٣٥م) وكانت بكر إذ ذاك تغير على القبائل.
- (١٠) رفعنا الجمال: سرنا بها سيراً حثيثاً - السّعف: ج. سعفة: غصن النخلة - المعنى: حين سرنا بجمالنا من نخل بلاد البحرين، مغيرين نغزو وننهب، حتى وصلنا إلى الحساء، وهو موضع في ديار بني أسد، أو ماء لبني فزارة، لا يصدّنا أحد.
- (١١) أحرمتنا: دخلنا في الأشهر الحرم - إماء: ج. أمة: عبدة - ثم أغرنا على بني تميم، وكان ذلك موافقاً لدخولنا في الأشهر الحرم، وعندنا سبایا القبائل نستخدمهنّ.

- (١٢) المنذر بن ماء السماء : والد عمرو بن هند، وهو المعروف بالمنذر الثالث أيضاً، انتهى ملكه نحو السنة ٥٥٤م، وفي البيت سناد الأقواء، ولم يذكره الزوزني - لقد وقفنا من أول القصيدة إلى هذا البيت بين ترتيب التبريزي وترتيب الزوزني. أما من هذا البيت فصاعداً فقد فضلنا ترتيب التبريزي، لأنه أقرب إلى العقل أن الشاعر يفتد حجج الخصم أولاً ثم يختم بمدح الملك كي ينتهي خطابه وقد استمال الحاكم إلى جهته.
- (١٣) الرب: السيد، المالك، أراد به المنذر - الحياران: موضع وقيل موضعان، وفي رواية ابن الأعرابي: الحوارين: قريتان في البحرين - في ذاك اليوم قاتل بنو بكر مع المنذر، فشهد إبلاءهم - والبلاء بلاء: الواو للحال، والمعنى أن البلاء كان شديداً في تلك المعركة.
- (١٤) أضرع البرية: أخضعها وأذلها حتى لا يوجد فيها من يساويه في المعالي. وفي رواية التبريزي: «أضلع البرية» وهو من الاضطلاع بالأمور: أي هو أحكم البرية لا يوجد فيها من يعادله في ذلك.
- (١٥) الطيخ: الكلام القبيح - التعاشي: التعامي عن الحق - ففي التعاشي الداء: أي الشر، لأنكم إذا تعاميتم أجبرتمونا على التصريح بأخباركم، فلحقكم العار.
- (١٦) الحلف: العهد - ذو المجاز: موضع، وهو الذي جمع فيه المنذر بكرةً وتغلب فأصلح بينهما وأخذ منهما الموائيق، والرهائن من كل حي وعددهم سبعون أو ثمانون أو مائة، وهو معنى قوله: «العهود والكفلاء».
- (١٧) الناطق: في رواية التبريزي: الشانيء: المبغض؛ أراد به عمرو بن كلثوم - عمرو: عمرو بن هند.

الناخبة الذبياني

المقامة البشرية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كَانَ بَشَرٌ بَنُ عَوَانَةَ الْعَبْدِيِّ صُעْلُوكَا، فَأَغَارَ عَلَى رَكْبٍ فِيهِمْ امْرَأَةً جَمِيلَةً، فَتَزَوَّجَ بِهَا، وَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ! فَقَالَتْ:

أَعَجَبَ بَشَرًا حَوَّزَ فِي عَيْنِي وَسَاعِدًا أَبْيَضُ كَاللُّجَيْنِ^(١)
وَدَوْنَهُ، مَسْرَحَ طَرْفِ الْعَيْنِ، خَمَصَانَةٌ تَرْفُلُ فِي حِجْلَيْنِ^(٢)
أَحْسَنُ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ، لَوْضَمَ بَشَرٍ بَيْنَهَا وَبَيْنِي
أَدَامَ مَجْرِي، وَأَطَالَ بَيْنِي؛ وَلَوْ يَقِيسُ زَيْنَهَا بِزَيْنِي
لَأَسْفَرَ الصَّبْحُ لَذِي عَيْنَيْنِ^(٣)

قَالَ بَشَرٌ: وَيَحْكُ! مَنْ عَنَيْتِ؟ فَقَالَتْ: بِنْتُ عَمِّكَ فَاطِمَةَ فَقَالَ: أَهِيَ
مَنْ الْحُسْنُ بَحِيثٌ وَصَفْتِ؟ قَالَتْ: وَأَزِيدُ وَأَكْثُرُ. فَأَنشَأَ يَقُولُ:

وَيَحْكُ! يَا ذَاتَ الثَّنَايَا الْبَيْضِ، مَا خِلْتُنِي مِنْكَ بِمُسْتَعْيِضِ^(٤)
فَالآنَ، إِذْ لَوَحَتْ بِالْتَعْرِيطِ، خَلَوْتُ جَوًّا، فَاصْفِرِي وَبِضِي^(٥)
لَا ضَمَّ جَفْنَايَ عَلَى تَغْمِيضِ، مَا لَمْ أَثِيلُ عِرْضِي مِنَ الْحَضِيضِ^(٦)
فَقَالَتْ:

كَمْ خَاطِبٍ فِي أَمْرِهَا أَلْحَا، وَهِيَ إِلَيْكَ ابْنَةُ عَمِّ لَحَا^(٧)
ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عَمِّهِ يَخْطُبُ ابْنَتَهُ؛ وَمَنْعَهُ الْعَمُّ أَمْنِيَّتَهُ. فَالَى^(٨) أَلَا يُرْعِي
عَلَى أَحَدٍ^(٩) مِنْهُمْ، إِنَّ لَمْ يُزَوِّجْهُ ابْنَتَهُ.

ثُمَّ كَثُرَتْ مَضْرَأَتُهُ فِيهِمْ، وَاتَّصَلَتْ مَعْرَأَتُهُ^(١١) إِلَيْهِمْ. فَاجْتَمَعَ رِجَالُ الْحَيِّ إِلَى عَمِّهِ، وَقَالُوا: كُفَّ عَنَّا مَجْتَوْنُكَ! فَقَالَ: لَا تُلْبِسُونِي عَارًا، وَأَمْهَلُونِي حَتَّى أَهْلِكَهُ بِنَعِصِ الْحَيْلِ. فَقَالُوا: أَنْتَ وَذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ عَمُّهُ: إِنِّي آلَيْتُ أَلًا أَزَوْجَ ابْنَتِي هَذِهِ إِلَّا مَتْنٌ يَسُوقُ إِلَيْهَا أَلْفَ نَاقَةٍ مَهْرًا؛ وَلَا أَرْضَاهَا إِلَّا مِنْ نُوقٍ خُزَاعَةٍ. وَعَرَضُ الْعَمِّ كَانَ أَنْ يَسْلُكَ بِشَرِّ الطَّرِيقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُزَاعَةٍ فَيَفْتَرِسَهُ الْأَسَدُ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ قَدْ كَانَتْ تُحَامِتُ عَنْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ، وَكَانَ فِيهِ أَسَدٌ يُسَمَّى دَاذًا، وَحَيَّةٌ تُدْعَى شُجَاعَا، يَقُولُ فِيهِمَا قَائِلُهُمْ:

أَفْنُكَ مِنْ دَاذٍ وَمِنْ شُجَاعٍ؛ إِنْ يَكُ دَاذٌ سَيِّدَ السَّبَاعِ
فَلِإِنِّهَا سَيِّدَةُ الْأَفَاعِي

ثُمَّ إِنْ بِشَرًّا سَلَكَ ذَلِكَ الطَّرِيقَ، فَمَا نَصَفَهُ^(١٢)، حَتَّى لَقِيَ الْأَسَدَ، وَقَمَصَ مُهْرَهُ^(١٣)؛ فَتَزَلَّ وَعَقَرَهُ؛ ثُمَّ اخْتَرَطَ سَيْفَهُ إِلَى الْأَسَدِ^(١٤)، وَاعْتَرَضَهُ وَقَطَعَهُ^(١٥)؛ ثُمَّ كَتَبَ بِدَمِ الْأَسَدِ، عَلَى قَمِيصِهِ، إِلَى ابْنَةِ عَمِّهِ:

أَفْطَمَ، لَوْ شَهِدْتَ بِبَطْنِ حَبْتٍ؛	وَقَدْ لَأَقَى الْهَزِيرُ أَخَاكَ بِشَرًّا ^(١٥)
إِذَا، لَرَأَيْتَ لَيْثًا زَارَ لَيْثًا،	هَزِيرًا أَغْلَبَا، لَأَقَى هَزِيرًا ^(١٦)
تَبْهَنَسَ، إِذْ تَقَاعَسَ عَنْهُ مُهْرِي	مُحَادَزَةً، فَقُلْتُ: عُقِرْتَ مُهْرًا ^(١٧)
أَبْلَ قَدَمِي ظَهَرَ الْأَرْضِ، إِنِّي	رَأَيْتُ الْأَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرًا
وَقُلْتُ لَهُ، وَقَدْ أَبْدَى نِصَالًا	مُحَدَّدَةً، وَوَجْهًا مُكَفَّهِرًا ^(١٨)
يُكْفِكِفُ، غِيْلَةً، إِحْدَى يَدَيْهِ،	وَيَبْسُطُ، لِلْوُثُوبِ عَلَيَّ، أُخْرَى ^(١٩)
يُدِلُّ بِمِخْلَبٍ، وَيَحْدُ نَابٍ،	وَبِاللَّحْظَاتِ، تَحْسَبُهُنَّ جَمْرًا ^(٢٠)
وَفِي يُمْنَايَ مَاضِي الْحَدِّ، أَبْقَى،	بِمَضْرِيهِ، قِرَاعَ الْمَوْتِ أَثْرًا ^(٢١) :
أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا فَعَلْتُ ظُبَاهُ،	بِكَاطِمَةٍ، غَدَاةً لَقِيْتُ عَمْرًا ^(٢٢) ؟
وَقُلُوبِي مِثْلُ قُلُوبِكَ، لَيْسَ يَخْشَى	مُصَاوَلَةً؛ فَكَيْفَ يَخَافُ دَعْرًا ^(٢٣) ؟
وَأَنْتَ تَرُومُ لِلْأَشْبَالِ قُوتًا،	وَأَطْلُبُ لَابِنَّةِ الْأَعْمَامِ مَهْرًا
فَفَيْمَ تَسُومُ مِثْلِي أَنْ يُؤَلِّي،	وَيَجْعَلَ فِي يَدَيْكَ النَّفْسَ قُسْرًا ^(٢٤) ؟
نَصَحْتُكَ، فَالْتِمِسْ، يَا لَيْثُ، غَيْرِي	طَعَامًا؛ إِنْ لَحْمِي كَانَ مُرًا!

فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ الْغِيْثَ نَصَحِي، وَمَشَى، وَمَشَيْتُ، مِنْ أَسْدِيْنِ رَامَا
هَزَزْتُ لَهُ الْحُسَامَ، فَخِلْتُ أَنِّي وَجَدْتُ لَهُ بِجَائِشَةٍ، أَرْتُهُ،
وَأَطْلَقْتُ الْمُهَيْتَدَ مِنْ يَمِينِي، فَخَرَّ مُجَدِّلاً بِدَمٍ، كَأَنِّي
وَقُلْتُ لَهُ: يَعْزُّ عَلَيَّ أَنِّي وَلَكِنْ، رُمْتُ شَيْئاً لَمْ يَرْمُهُ
تُحَاوِلُ أَنْ تُعَلِّمَنِي فِرَاراً؟ فَلَا تُجْزَعُ! فَقَدْ لَأَقَيْتَ حُرّاً،
فَإِنْ تَكُ قَدْ قُتِلْتَ، فَلَيْسَ عَاراً؛ وَخَالَفَنِي كَأَنِّي قُلْتُ مُجْزِاً^(٢٥)
مَرَاماً، كَأَنَّ، إِذْ طَلَبَاهُ، وَغَرّاً^(٢٦)
سَلَلْتُ بِهِ، لَدَى الظُّلَمَاءِ، فَجْراً^(٢٧)
بِأَنْ كَذَبْتُهُ، مَا مَتَّعْتُهُ غَدْرًا^(٢٨)
فَقَدْ لَهُ مِنَ الْأَضْلَاعِ عَشْرًا^(٢٩)
هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءَ مُشْمَخِرًا^(٣٠)
قَتَلْتُ مُنَاسِبِي جَلْدًا وَفَخْرًا^(٣١)!
سِوَاكَ، فَلَمْ أُطِقْ، يَا لَيْتَ، صَبْرًا
لَعَمْرُ أَبِيكَ، قَدْ حَاوَلْتُ نُكْرًا^(٣٢)!
يُحَاذِرُ أَنْ يُعَابَ، فَمِتْ حُرّاً^(٣٣)
فَقَدْ لَأَقَيْتَ ذَا طَرَفَيْنِ حُرّاً^(٣٤)

فَلَمَّا بَلَغَتِ الْأَبْيَاطُ عَمَّهُ، نَدِمَ عَلَى مَا مَنَعَهُ مِنْ تَزْوِيجِهَا، وَخَشِيَ أَنْ
تَغْتَالَهُ الْحَيَّةُ؛ فَقَامَ فِي أَثَرِهِ، وَبَلَغَهُ، وَقَدْ مَلَكَتُهُ سَوْرَةُ الْحَيَّةِ^(٣٥).

فَلَمَّا رَأَى عَمَّهُ، أَخَذَتْهُ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ، فَجَعَلَ يَدُهُ فِي فَمِ الْحَيَّةِ وَحَكَّمَ
سَيْفَهُ فِيهَا، فَقَالَ:

بَشِّرْ، إِلَى الْمَجْدِ، بَعِيدُ هُمُهُ؛ لَمَّا رَأَاهُ، بِالْعَرَاءِ، عَمَّهُ^(٣٦)
قَدْ تَكَلَّمَتْهُ نَفْسُهُ وَأُمُّهُ، جَاشَتْ بِهِ جَائِشَةٌ تَهْمُهُ^(٣٧)
قَامَ إِلَى ابْنِ لِفْلَا يَوْمُهُ، فَنَابَ فِيهِ يَدُهُ وَكُمُّهُ^(٣٨)
وَنَفْسُهُ نَفْسِي وَسُمِّي سُمُّهُ

فَلَمَّا قَتَلَ الْحَيَّةَ، قَالَ عَمَّهُ: إِنِّي عَرَضْتُكَ^(٣٩) طَمَعاً فِي أَمْرِ^(٤٠) قَدْ ثَنَى
اللَّهُ عِنَانِي عَنْهُ^(٤١)؛ فَارْجِعْ لِأَزْوَاجِكَ ابْنَتِي. فَلَمَّا رَجَعَ، جَعَلَ بِشَرٍّ يَمْلَأُ فَمَهُ
فَخَرّاً، حَتَّى طَلَعَ أَمْرُدُ كَشِيقِ الْقَمَرِ^(٤٢)، عَلَى قَرَيْبِهِ، مُدْجِجاً فِي سِلَاحِهِ.
فَقَالَ بِشَرٍّ: يَا عَمِّ، إِنِّي أَسْمَعُ حِسَّ صَيْدٍ. وَخَرَجَ^(٤٣)؛ فَلِذَا بَغْلَامٌ عَلَى
قَيْدٍ^(٤٤). فَقَالَ: تَكِلْتُكَ أَمْلَكَ، يَا بِشِراً! أَنْ قَتَلْتُ^(٤٥) دَوْدَةَ وَبَهِيمَةً تَمْلَأُ

ماضيَّكَ^(٤٦) فخرأ؟ أنت في أمانٍ إن سَلَمْتَ عَمَكَ . فَقَالَ بِشْرُ: مَنْ أَنْتَ؟ لا أَمْ لَكَ! قَالَ: الْيَوْمُ الْأَسْوَدُ وَالْمَوْتُ الْأَحْمَرُ^(٤٧)، فَقَالَ بِشْرُ: ثَكِلْتُكَ مَنْ سَلَحَتْكَ! فَقَالَ: يَا بِشْرُ، وَمَنْ سَلَحَتْكَ! وَكَرَّرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِ، فَلَمْ يَتِمَّ كُنْ بِشْرُ مِنْهُ، وَأَمَكَنَّ الْغُلَامَ عِشْرُونَ طَعْنَةً فِي كُلِّ يَدٍ بِشْرُ؛ كُلَّمَا مَسَّهُ شَبَا السَّنَانِ^(٤٨)، حَمَاهُ عَنْ بَدَنِهِ، إِبْقَاءً عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا بِشْرُ، كَيْفَ تَرَى؟ أَلَيْسَ لَوْ أَرَدْتُ، لِأَطْعَمْتُكَ أَنْيَابَ الرَّمَحِ؟ ثُمَّ أَلْقَى رُمَحَهُ، وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ، فَضَرَبَ بِشْرًا عَشْرِينَ ضَرْبَةً بِعَرَضِ السَّيْفِ، وَلَمْ يَتِمَّ كُنْ بِشْرُ مِنْ وَاحِدَةٍ. ثُمَّ قَالَ: يَا بِشْرُ، سَلِّمْ عَمَكَ، وَادْهَبْ فِي أَمَانٍ. قَالَ: نَعَمْ وَلَكِنْ بِشْرِيَّةً أَنْ تَقُولَ لِي مَنْ أَنْتَ. فَقَالَ: أَنَا ابْنُكَ. فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا قَارَنْتُ عَقِيلَةً^(٤٩) قَطُّ؛ فَأَنِّي هَذِهِ الْمِنْحَةُ؟ فَقَالَ: أَنَا ابْنُ الْمَرْأَةِ الَّتِي دَلَّتْكَ عَلَى ابْنَةِ عَمَكَ. فَقَالَ بِشْرُ:

يَلِكُ الْعَصَا مِنْ هَلِهِ الْعُصْبَةِ! هَلْ تَلِدُ الْحَيَّةُ إِلَّا الْحَيَّةَ^(٥٠)؟
وَحَلَفَ: لَا رَكَبَ حِصَانًا، وَلَا تَزَوَّجَ حِصَانًا^(٥١). ثُمَّ زَوَّجَ ابْنَةَ عَمِّهِ
لَا بَيْنَهُ.

هوامش

- (١) الحور: شدة بياض العين وسوادها، واستدارة حدقتها، ورقة جفونها. اللجين: الفضة.
- (٢) دونه: أمامه. مسرح طرف العين: موضع ما يسرح النظر، أي حيث يسرح نظره متنقلاً في محاسنها. الخمصانة: الضامرة البطن. الحجلين، مثني الخجل: الخلخال.
- (٣) لأسفر الصبح لذي عينين: أي لظهر الفرق بين حسننها وحسني، ظهور الصبح لذي عينين.
- (٤) ويحك: كلمة رحمة، وقد تكون بمعنى ويلك؛ تقول: ويح لزيد، فترفعها على الابتداء، ويح زيد، ويحاً له على النصب بفعل مضمر تقديره ألزمه الله ويحاً، ونحو ذلك.
- (٥) الثنايا: جمع الثنية، وهي أربعة أضراس في مقدمة الفم، ثنتان من فوق، وثنان من أسفل.
- (٦) لوح: أشار إليه من بعيد. التعريض: ضد التصريح. والمراد أنها عرضت بذمه حين نبهته إلى ابنة عمه الحسناء، وهو غافل عنها، يتزوج غريبة بدلاً منها. خلوت جواً فاصفري وبيضي: أي أنه خلى سبيلها، وتركها آمنة. وهذا مثل أصله من قول كليب أو طرفة لقنبرة طارت بين يديه، فتركها ولم يتعرض لها، وقال فيها من شعر: خلا لك الجو فيضي واصفري.
- (٧) ما لم أشل: ما لم أرفع. الحضيض: القرار من الأرض عند منقطع الجبل، يقال فلان في الحضيض: أي في هوان وعار. والمراد أنه سيتزوج ابنة عمه، ويزيل ما لحقه من الذم والعار بتخليه عنها، وميله إلى النساء الغريبات.
- (٨) ابنة عم لحا: أي لاصقة القرابة.
- (٩) فألى: حلف.
- (١٠) ألا يرعي على أحد: أي أن لا يبغي على أحد.
- (١١) المعرات: جمع المعرة، وهي الأذية والشر.
- (١٢) نصفه: بلغ نصفه.
- (١٣) قمص المهر: رفع يديه وطرحهما، وعجن برجليه من الفزع.
- (١٤) اخترط سيفه إلى الأسد: أي استله ومشى به إليه.
- (١٥) قطه: قطعه عرضاً.
- (١٦) الخبت: المظلمن من الأرض، فيه رمل.
- (١٧) الليث: الأسد، وكذلك الهزبر. زار: وتروى رام وأم. الأغلب: من صفات الأسد، والغليظ الرقبة.
- (١٨) تبهنس: تبختر. تقاعس: أحجم وتأخر.
- (١٩) أبدى نصالاً: أي كشر عن أنيابه. المكفهر: العابس من الغضب.
- (٢٠) يكفكف: هو في الأصل يدفع ويصرف مثل كف المتعدي، على أن بديع الزمان استعمله هنا بمعنى بمعنى يقبض ضد ييسط، ولم تذكره المعجمات فلعله مولد. غيلة: اغتيالاً،
- (٢١) يدل: يتيه مستعلياً. المخلب: ظفر كل سبع من الطير وغيره.

- (٢٢) الماضي: السيف القاطع. المضرب: الحد. الأثر: أثر الجرح يبقى بعد البرء؛ استعاره هنا لما تركت مقارعة الموت في حد السيف من الفلول.
- (٢٣) ألم يبلغك: خطاب للأسد يرجع إلى قوله فقلت له، وقد أبدى نصلاً. الطبي: جمع ظبة وهي حد السيف، واستعمل الجمع هنا على اعتبار أن كل جزء من حده ظبة. كاظمة: اسم موضع.
- (٢٤) مصاولة: موائبة. الذعر: بالفتح الإخافة والإرهاب.
- (٢٥) قيم: استفهام عن السبب مثل لم. تسوم: تكلف. يولي: يطلب الهرب. قسراً: قهراً.
- (٢٦) الهجر: الكلام القبيح والهديان.
- (٢٧) الوعر: ضد السهل.
- (٢٨) سل السيف: جرده. وتروى: شققت، والمعنى: أنه عندما هز سيفه ازداد لمعانه، فكأنه سل به فجراً في الظلماء.
- (٢٩) الجائشة: النفس. كذبتة: أي منته الأمانى وخيلت إليه من الآمال ما لا يكاد يتحقق. منته: أطعمته في الأمانى. يقول: أقدمت عليه باذلاً نفسي له، بعد أن حاول إرهابي لأهرب منه، فأرته نفسي أن ما أطعمته من الغدر بي في ثباتها أمامه كان تأملاً له وتخيباً بعيد التحقيق. ما: مفعول ثان لأرته. وجملة بأن كذبتة: مفعول ثالث. وغدرا: مفعول ثان لمنته. ووجه الكلام: أرته ما منته غدراً بي بأن كذبتة، والباء زائدة.
- (٣٠) من الأضلاع عشر: تستعمل العرب عدد العشرة للدلالة على الكثرة، لأنه تمام العقد الأول.
- (٣١) خر: سقط. مجدلاً: صريعاً على الجدالة وهي الأرض. المشمخر: العالي الذري.
- (٣٢) فخرأ: ويروى قهراً.
- (٣٣) النكر: المنكر الذي لا تألفه النفس.
- (٣٤) لا تجزع: لا تحزن.
- (٣٥) ذا طرفين حرأ: أي حرأ من جهة الأب، ومن جهة الأم.
- (٣٦) سورة الحية: سطرتها واعتداؤها.
- (٣٧) همه: أي همته، ورجل بعيد الهم: أي طلاب للمعالي البعيدة المنال. العراء: الفضاء لا يستتر فيه بشيء.
- (٣٨) ثكلته: حال أولى من الهاء في رآه، بمعنى أبصره. جاشت: أي هاجت حال ثانية. به: أي عليه. جائشة: وصف لمحذوف، أي حية هائجة. تهمة: أي تودع الهم في قلبه لما يتوقع من شرها.
- (٣٩) قام: جواب لما رآه، وفاعله يعود إلى بشر. ابن الفلا: أي الحية، لأن الحيات العظيمة قلما توجد إلا في الفلوات. والفلا: جمع فلاة. يؤمه: يقصده. فيه: أي في فمه. كمه: يظهر أنه لف يده في كمه، وأدخلها في فم الحية.
- (٤٠) عرضتك: أي عرضتك للهلاك.
- (٤١) طمعاً في أمر: أي في تخليص ابنتي منك.

- (٤٢) ثنى الله عناني عنه : أي ردني وصرفني عنه ، كما يرد عنان الجواد ليسير إلى جهة غير الجهة التي كان يسير إليها .
- (٤٣) شق القمر : أي فلقه من القمر .
- (٤٤) وخرج : أي خرج للصيد الذي سمع حسه . والحس : الصوت والحركة التي تسمعها قريبة منك ولا تراها .
- (٤٥) على قيل : على قيد رمح منه ، أي مقدار طول الرمح .
- (٤٦) أن قتلت : أي الآن قتلت .
- (٤٧) الماضغان : أصول اللحيين عند منبت الأضراس ، واللحيان ، مشى اللحي : مكان ما تنبت اللحية ، فقله تملأ ماضغيك : أي تملأ فمك .
- (٤٨) الموت الأحمر : القتل ، أو الموت الشديد .
- (٤٩) شبا السنان : حده .
- (٥٠) العقيلة : المرأة الكريمة المخدرة . والمراد أنه لم يقارن بعد امرأة كريمة لتأتيه بمثل هذا الولد النجيب .
- (٥١) العصا : فرس لجذيمة الأبرش . والعصية : أمها ، ومنه المثل : لا يردها العصا غير العصية . والمراد : أن بشراً لم يعجب أن يكون الولد ابن تلك المرأة ، فقد خبر ما عندها من ذكاء ودهاء .
- (٥٢) الحصان بفتح الحاء : المرأة العفيفة .

الفصل الثاني

الحضر الإسلامي

الشعر في صدر الإسلام

يتفق الشعر المخضرم مع الشعر الإسلامي في عدة نواحي في إيجازه وقوة تعبيره وطريقة نظمه وتعدد موضوعاته وبداعة روحه. الشعر المخضرم جاهلي في أصله في حين أن شعراء الإسلام أدركوا ذلك فظهر تطور لافت في لغتهم وألفاظهم ووضحت معانيهم كأشعار الأعشى والحطيئة وعنترة. انفرد الشعر المخضرم عن الشعر الجاهلي بنفحته الدينية الجديدة التي نفحه بها الإسلام بعد ظهوره فلا ترى يأساً من الحياة وتبرماً بمصيرها، بل ارتياحاً شديداً إلى نعيم الآخرة، إلى الجنة التي وعد بها القرآن المتقين، كما يبدو في شعر حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك، وهم من شعراء النبي.

اكتسب الشعر المخضرم تعابير جديدة من القرآن وألفاظاً لم تكن مألوفة من قبل كالجنة والنار والكفر والإيمان والصلاة والزكاة، بالرغم من أن هذه الألفاظ كانت معروفة في الجاهلية لكنها لم تكن تدل على معانيها المستحدثة في الإسلام. واكتسب أيضاً الشعر نوعاً جديداً هو الهجاء السياسي، وهو هجاء مقذع أليم كان بين شعراء النبي وشعراء قريش.

بعد موت النبي توقفت الشعراء عن التنافس والتلاحي وساد نوع من الفتور في الشعر، لكن طائفة من الشعراء لم تنصرف عنه.

من أبرز شعراء صدر الإسلام:

١ - كعب بن زهير: هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني وأمه كبشة بنت عمار من بني غطفان، وهي امرأة زهير الثانية وأم أولاده الثلاثة كعب وبجير وسالم. كان والده زهير قد تزوج امرأة تكنى أم أوفى فلم يعش

له منها أولاد فتزوج كبشة وأقام في قومها. نشأ كعب في غطفان كأنه واحد منهم يشترك في مآتيهم حرباً وسلاماً على أنه لم ينس أصله وقومه المزنيين. يقول ابن قتيبة: «لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير». فأبو سلمى والد زهير كان شاعراً وكذلك بشامة بن العذير خاله وأوس بن حجر زوج أمه وزهير فضلاً عن أخيه سلمى والخنساء وابنيه كعب وبجير وأولادهما. في هذه البيئة الشعرية ترعرع كعب. اهتم به أبوه فراح يهذب ذوقه ويرويه الشعر حتى نبغ. ومن أخبار أبيه يروي أن الحارث بن الوراق الأسدي أغار على غطفان واستاق لإبل زهير وراعيه يساراً فأرسل إليه زهير قصيدة يهدد فيها بالهجوم إن لم يرجع المسلوب ولما لم يفعل هجاه فقال كعب: «أوسعتهم سباً وأودوا بالإبل» فرد الحارث الإبل والراعي. ومن مآتيه في الجاهلية أن أخاه بجيراً وقع بيد زيد الخيل فأرسل والده زهير فرس كعب ليفتدي بها ابنه، فنظم كعب قصيدة يتوعد فيها زيد الخيل ويهدد بالإيقاع بين قومه وحلفائهم. فتهيب زيد الخيل وعوض على كعب خسارته.

عندما ظهر الإسلام وأخذت رسالة النبي بالانتشار رغب كعب أن يعرف شيئاً واضحاً عن الدعوة الجديدة فقال لأخيه بجير: «إلحق الرجل وأنا مقيم هنا فانظر ما يقول لك». فسار بجير إلى النبي وسمع منه فأعجبه الدين الجديد فأسلم ولم يعد. فلما علم كعب أن أخاه دخل الدين الجديد غضب وهجا المسلمين ونبههم هجاء مرأ جعل النبي يهدر دمه قائلاً: «من لقي منكم كعباً فليقتله». زاد غضب النبي بعدما علم بالرسالة التي بعثها كعب لأخيه بجير يؤنبه على إسلامه ومن تلك الأبيات:

ألا ابلغا عني بجيراً رسالة: فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
فبين لنا إن كنت لست بفاعل على أي شيء غير ذلك دلكا

ظل كعب ينظم في هجو المسلمين حتى قويت شوكة الإسلام، خاصة بعد فوزهم في مكة وحنين والطائف وتبين أن النبي لا يهدد عبثاً فكل من هجاه قتل، فما كان من بجير إلا أن كتب إلى أخيه يقول: «إن رسول الله قد

أهدر دمك». حاول كعب أن ينجو فالتجأ إلى مزينة لتجيره فأبت عليه وتبرأ الناس منه، فما كان من كعب إلا أن نظم القصيدة المشهورة في مدح النبي وأتى المدينة فنزل متخفياً عند رجل كان له به سابق معرفة ودله إلى المسجد. وتكثر الروايات حول اتصال كعب بالرسول، منها أن الشاعر أتى النبي ملثماً وقال: «يا رسول الله أرأيت أن أتيتك بكعب بن زهير مسلماً أتؤمنه؟ قال: نعم. قال: «فأنا كعب بن زهير». أما اللامية التي نظمها فقد أنشدتها للنبي في مسجد المدينة. ويقال أن النبي خلع بردته على كعب فور سماعه القصيدة. عاش كعب طويلاً بعد الإسلام توفي في حدود سنة ٦٦٢م.

اشتهر شعر كعب بلاميته التي نظمها في مدح النبي والاعتذار إليه. بدأها بالغزل على أسلوب الجاهلية وتخلص إلى مدح النبي مصوراً موقفه المضطرب من الوشاة وتمنع أصحابه عن إجارتها. وعندما يذكر هبة النبي يندفع متوسعاً في شجاعة الأسد الذي شبهه به ويختم بمدح المهاجرين.

يمتاز شعر كعب بعامة بدقة التصوير، مع الإشارة إلى أنه ابن زهير وتلميذه وأحد أفراد المذهب التصويري المادي. ومن أصحاب هذا المذهب زهير والنابعة ثم الحطيئة. ويمتاز شعر اتباع هذا المذهب بالصبر في تتبع الموصوفات واختيار مواد التشبيهات واختيار الألفاظ والتعابير. تأثر كعب بوالده زهير ويبدو هذا التأثير واضحاً في الميل إلى الحكم والاعتبارات العامة. وتتخذ الحكمة شكل النصيحة كما يلقي نظرة بصيرة يطل فيها على أعماق النفس البشرية فيقيس أتعابها ومشاقها بالنسبة إلى القدر وأحكامه. ومما يمكن قوله باختصار هو أن كعب بن زهير شاعر صناعة وثقافة لا شاعر طبع وفطرة وهو على مذهب أبيه زهير.

٢ - حسان بن ثابت الأنصاري: هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام من بني النجار من قبيلة الخزرج، ينتهي نسبه إلى قحطان، فهو يمني الأصل يثربي النشأة. كان يكنى أبا الوليد وأبا عبد الرحمن وأبا الحسام. وقد لقي حظوة في الجاهلية عند ملوك غسان فمدحهم فأفاضوا عليه النعم فحفظ لهم الجميل وبقي يذكرهم بالخير إلى آخر عمره. اشتهر حسان بحبته فلم يجرّد

سيفاً لنصرة الرسول ولا شهد واقعة من وقائع المسلمين وأهل الشرك، بل كان يتخلف في المنازل مع النساء والأولاد. حدثت صفية بنت عبد المطلب عنه، قالت: «كنت يوم الخندق في قارع حصن حسان بن ثابت وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان، فمر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين الرسول وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله والمسلمين في نحور عدوهم ولا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إذا آتانا آت فقلت: يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن وإنني والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله وأصحابه فأنزل إليه فاقتله، فقال حسان: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. فلما قال ذلك ولم أر عنده شيئاً اعتجرت ثم أخذت عموداً ونزلت إليه من الحصن فضربتة بالعمود حتى قتله. فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقالت: يا حسان انزل إليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل قال: «مالي إليه حاجة يا ابنة عبد المطلب». وأنشد حسان النبي يوماً قوله:

لقد غدوت أمام القوم منتطقاً بصارم مثل لون الملح قطاع
تحفر عني نجاد السيف سابغة فضفاضة مثل لون النهي بالقاع
فضحك النبي لوصفه حسان نفسه بما تصنف به الفرسان نفسها وهو يعلم جبنه.

عاش حسان طويلاً حتى مات بعدما كف بصره في أواخر أيامه وكانت وفاته بالمدينة في خلافة معاوية. وله من الآثار ديوان فيه قصائد كثيرة في المدح والهجاء والرثاء والغزل والفخر وهو من أصحاب المذاهب. يصعب تحديد السنة التي ولد فيها حسان ومال المستشرق نولدكه إلى جعلها سنة ٥٩٠هـ أو قبيل ذلك بقليل. أما تاريخ وفاته فهو في حدود سنة ٦٧٤م.

إقتصر نشاط حسان قبل ظهور الإسلام على تبادل المثالب بين قومه الخزرج وبين الأوس حيث كانت المنافسات والمشاحنات تقوى بينهما

فتتجاوز المفاخر والأهاجي لتصل إلى قذف الحجارة والمضاربة بالسعف والأعواد. كان حسان في طليعة شعراء الخزرج وقيس بن الخطيم في طليعة شعراء الأوس يتبادلان المثالب ويذكر كل منهما حرم الآخر. كما اتصل حسان بأمراء الغساسنة فكان يفد عليهم في مدح أمرائهم ويفتخر بالقراية بينهم وبين قبيلته ناشراً مآثرهم وواصفاً غزواتهم حتى أصبح شعره من المصادر لتاريخ دولة الغساسنة. كما أصبح أيضاً من المصادر لتاريخ صدر الإسلام.

مدح حسان الكثير من الأمراء عمرو الرابع ابن الحرث السادس وأخاه النعمان السادس وجبله بن الایهم. وقد أكرم الغساسنة حسان فأجزلوا له العطاء وجعلوا له مرتباً سنوياً فظل الشاعر يذكر نعمتهم حتى بعد إسلامه.

أسلم حسان وقومه الخزرج على أثر الهجرة وكان رسول الله ﷺ بحاجة إلى المساعدين فنصره الثرييون بمالهم ورجالهم على قريش وغيرهم من العرب فسموا بالأنصار فبقي أن ينصر على من كان يهجو من شعراء قريش وسائر المشركين. فناصر حسان الرسول بلسانه، وتقرب كثيراً منه وكان له منزلة خاصة لم تكن لأي من شعراء الصدر الأول فهو في نضاله عن النبي يصور حالة ذلك العصر أصدق تصوير ويمثل حقيقة تهاجي الأنصار والقريشيين وما في هذا الهجو من فحش وإقذاع.

في درسنا شعر حسان نطالع صفحة تاريخية جلييلة ونطلع على فن جديد هو الشعر السياسي الصحيح لأن العرب في جاهليتهم عرفوا شيئاً منه في منافراتهم ومفاخراتهم، لكنه كان ضئيلاً ضعيف الأثر لا يستند في كثرته إلى عقيدة صحيحة. وربما قصد منه التكسب كما كان يفعل الأعشى والحطيئة والنابغة. لم تكن المنافرات في الجاهلية بالقوة التي كان عليه العنف بين أنصار الدين القديم وأنصار الدين الجديد، فانطلقت الألسنة حداداً لا للتكسب والاستجداء بل للدفاع عن سلطتين دينيتين زمنتين تتنازعان البقاء. لا شك أن يترك هذا الجهاد أثراً قوياً في الأدب ويكون فاتحة الشعر السياسي الصحيح الذي ازدهر في صدر الإسلام. ونجد في هذا الشعر إفحاشاً شديداً لم نعهده من قبل فهو وليد عصبية قوية أحدثت في النفوس ميلاً غريباً إلى النكاية والتشفي.

كان هجو حسان على مراراته صادقاً لا تكلف فيه، لم يندفع الشاعر إليه حباً للتكسب والاستجداء بل ذوداً عن دين يؤمن به وبرسوله وأمثلاً بالشواب في الدنيا الباقية، فترى فيه ارتياحاً إلى حسن المصير لم يكن في عباد الأوثان من شعراء الجاهلية بل حمله إليهم الإسلام فأصبحوا وفي نفوسهم أمل كبير يجاهدون في سبيل نبيهم ودينه، لا بغية لهم غير الجنة التي وعدوا بنعيمها. نجد في شعر حسان ألفاظاً جديدة لم نعتاد عليها من قبل كقوله: جبريل أمين الله، روح القدس، أرسلت عبداً، شهدت رسول الله. هذه الألفاظ وغيرها أحدث القرآن معانيها الجديدة في الإسلام.

اتبع حسان في مدح النبي أسلوباً جديداً يختلف عن الذي اتبعه في الجاهلية فهو لم يشبه النبي بالأسد كما فعل كعب بن زهير ولا أمعن في وصف جوده وسخائه كمن يريد الاستجداء، بل شدد على وصف شمائله ورسائله والتصديق بها والنتيجة التي وصلت إليها من نور وهداية وأمل للعرب. وحسان في شعره الجاهلي كما في شعره الإسلامي لا يتسع له الخيال فأكثر قصائده قصيرة وأطولها لا يزيد عن الأربعين بيتاً. ولعل ضعف مخيلته يعود إلى العناية في ذكر الحوادث التاريخية أو إلى كبر سنه. وامتاز شعر حسان بالاقتضاب والقطع بما يشبه التخلص فهو لا يمعن في وصفه بل ينتقل بسرعة إلى غيره كمن ضاق صدره فطلب التنفس.

إن ضعف خياله حمل الأصمعي على الزعم أن شعر حسان في الجاهلية أجود منه في الإسلام وعلل ذلك بقوله: «الشعر نكد يقوى في الشر ويسهل فإذا دخل في الخير ضعف ولان، هذا حسان فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الإسلام سقط شعره». وقيل لحسان: «لان شعرك أو هرم في الإسلام يا أبا الحسام». فقال: «يا ابن أخي ان الإسلام يمنع في الكذب وان الشعر يزينه الكذب». يريد بذلك أن التجويد في الشعر هو انطلاق الخيال والإفراط في الوصف والتزيين وذلك كله كذب.

امتاز شعر حسان باللين فهو ناتج عن نشأته فهو من شعراء القرى، والشعراء القرويون معروفون برقة شعرهم ولتعمهم وأخذهم بأسباب الحضارة بخلاف شعراء البادية. قال أبو عبيدة: «فضل حسان على الشعراء بثلاث:

كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي في النبوة وشاعر اليمن كلها في الإسلام». قال الحطيثة: «أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب حيث يقول:

يفغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

وكان النبي يقول لحسان: «اهجهم فوالله لشعرك أشد عليهم من نضح النبل في غلس الظلام». أما نحن فنرى أن حسان في شعره الجاهلي مجيد لكنه لم يبلغ شأن فحول الشعراء، أما في شعره الإسلامي فمجيد في بعضه، خاصة الهجو والفخر، وضعيف في أكثره لا سيما في مدحه وراثته للرسول فحسان في الإسلام شاعر مؤرخ وشاعر مجدد وهو في دفاعه عن النبي طليعة الشعراء السياسيين.

الغزل الأموي

كان انتشار الغزل في الشعر الجاهلي ضعيفاً نسبة إلى الأغراض الشعرية الأخرى وكان الجاهليون يبدأون به قصائدهم خاصة في الوصف والمدح والفخر وسوى ذلك. وقوي الغزل في العصر الأموي مع تطور الحياة واختلاط العرب بالشعوب الأعجمية فرقت الأمزجة وتهذبت الأذواق. وكان لبني أمية من السلطان ما منع الغزو مما جعلهم يتطلعون إلى نواح أخرى فاهتموا بذواتهم وعبروا عن مشاعرهم، وكان الغزل من ثمار الاهتمام بما عندهم من فرح وحزن وقلق وأمل وبأس.

نشأ الغزل في منطقة الحجاز بسبب بعدها عن سياسة الأحزاب في الشام والعراق، وكان على نوعين: بدوي وحضري. البدوي غلبت عليه العفة والرصانة لسذاجته وقربه من الفطرة وبعده عن ملاهي الحضارة وعرف أصحابه بالشعراء العذريين نسبة إلى قبيلة بني عذرة الذين اشتهروا بالحب الصادق العفيف؛ وأشهر العذريين جميل بن معمر وقيس بن ذريح وقيس بن الملوحة أو مجنون ليلى. أما الغزل الحضري فلا يقتصر على وصف امرأة واحدة بعكس الغزل البدوي فالشاعر يتغزل بالمرأة ويهتم بسرد المغامرات الغرامية ويعمد فيه الشاعر إلى التملق ويتكلف الشوق والحرمان.

من أبرز شعراء الغزل في العصر الأموي

١ - جميل بن معمر: ولد جميل بن عبدالله بن معمر في وادي القرى بالحجاز ولا يعرف تاريخ مولده. أحب ابنة عمه بثينة فنسب إليها وقيل جميل بثينة. قيل إن الحب جمعهما عندما كانا صغيرين. فقد أطلق جميل إبله ترعى في وادي «بغيض» فاقبلت بثينة وضربت فصيلاً له عابثة فسبها وسبته وحلا

سبابها في أذنه وشكلها في عينيه وأحبها. انشغل جميل ببثينة ابنة عمه عن سائر النساء فكان شعره موجهاً إليها حتى تحدثت الناس عنهما ولقب بجميل بثينة. لكن والد بثينة زوجها إلى فتى من عذرة يقال له نبيه بن الأسود وفيه يقول جميل:

لقد انكحوا جهلاً نبيهاً ظعينة لطيفة طي الكشح ذات شوى خدل

زاد عشق جميل لبثينة بعد زواجها ولم يمنع ذلك من لقاءها. وكان اخواتها يساعدونها على الاجتماع به. ولم يبق الأمر سرّاً بل علم به الجميع فهجاه الشعراء خاصة جواس زوج أم الحسين أخت بثينة. غضب قوم جميل بنو سفيان فجاؤوا إلى جواس ليلاً وهو في بيته فضربوه وأذوا امرأته أم الحسين فقال جميل:

هما جردا أم الحسين وأوقعا أمر وأدهى من وقيعه سالم

استاءت بثينة من جميل لهجائه أهلها فما كان من جميل إلا أن اعتذر لها. وقدم أهل بثينة شكوى إلى عشيرة جميل مهددين متوعدين حتى إذا أعياهم أمره وأباح لهم دمه إن وجدوه قد غشي دورهم فخدرهم مدة ثم وجدوه عندها فتوعدوا وكرهوا أن ينشب بينهم وبين قومه حرب فتقدموا بشكوى إلى مروان بن هشام الحضرمي والي تيماء، فهرب جميل إلى اليمن وأقام هناك مدة إلى أن عزل مروان فعاد إلى دياره.

روى صاحب «الأغاني» أن رهط بثينة أخذوا يذيعون أن جميلاً يتبع أمه وأن بثينة لا علاقة لها به ويريدون إذلاله وتبرئة فتاتهم، فاحتدم جميل غيظاً وأراد تكذيبهم صوناً لسمعته وإن ساء إلى سمعة حبيبته، وهو صنيع لا يحمد عليه العاشق العذري. لكن خلق البداوة يغلب أحياناً عليه فواعد بثينة ببرقاء ذي خال فتحدثا ليلاً طويلاً ثم قال لها: هل لك أن ترقدي؟ قالت: ما شئت وأنا خائفة إن أصبحنا فوسدها إلى جانبه ثم اضطجع ولما نامت انسل وذهب وأفاقت صباحاً من مضجعها والحي يراها راقدة عند مبرك ناقه جميل فعلمت ما أرادها جميل فهجرته مدة.

هاجر جميل إلى مصر هرباً من مروان بن الحكم والي المدينة وقد
أهدر دمه فمرض هناك ومات في حدود سنة ٧٠١م. وقبل موته دعا برجل
وقال له: بعد موتي خذ حلتي هذه وكل شيء سواها لك وارجل إلى بثينة
على ناقتي هذه حتى إذا وصلت البس حلتي وأنشد هذه الأبيات:

صدع النعي وما كنى بجميل وثوى بمصر ثواء غير قفول
لقد أجز الذيل من وادي القرى نشوان بين مزارع ونخيل
بكر النعي بفارس ذي همة بطل إذا هم اللقاء مذيّل
قومي بثينة فاندبني بعويل وابكي خليلك دون كل خليل

ولما أتى الرجل وأنشد هذه الأبيات صاحبت بثينة واجتمع نساء الحي
وبكين معها.

إن حب جميل لبثينة لم يخالطه هوى آخر على كثرة الفتيات اللواتي
كن يتعرضن له وهن من عشيرته ليصرفنه عنها، فما هفا قلبه إلى سواها
ولا استملح حديثاً غير حديثها ولا استعذب ثغراً سوى ثغرها. لم يقل
الشعر بعدما أحبها إلا فيها، مات وذكرها في قلبه ولسانه. لم يقتصر
شعره على وصف محاسن المرأة بل دخل إلى النفس ومشاعرها وآلامها
وآمالها. هو صادق اللوعة عف الضمير واللسان، رصين التعبير، قلما
قرأت له من الشعر ما يبعث الشك في عفته وعفة صاحبتة إلا أبياتاً قليلة
قد يكون الدافع إليها سخطه منه على بثينة إذا هجرته أو مالت إلى غيره.
من أبياته يقول:

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها ويحيا إذا فارقتها فيعود

ما أجمل الالتفات في شعره من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى
الغيبة وما أشد وقعه في النفس فإنه في كل التفاتة ينبه السامع ويبعث فيه
نشاطاً جديداً للإصغاء إليه. وهو على تهالكه في حبها شجاع حمي الانف
يهدد قومها: «فليت الرجال الموعدين لقومي»، وفخور معجب بنفسه:
«يقولون من هذا وقد عرفوني»، وأنف يأبى الضيم ولو كان الحبيب الفاعل.
يشكو في شعره إلى بثينة وما يعاني من حبها وما تصنع العواذل للتفريق

بينهما. اختلفت المصادر والأقاويل التي تروي عفة حبهما من جهة ومن جهة أخرى الريبة في خلواته مع بثينة.

ما يمكن قوله هو أن شعر جميل بن معمر أحلى من أخباره بصيانة وجه الجمال العذري الذي يحفظ للمرأة مقاماً رفيعاً ولا ينحدر بها إلى الفسق كالغزل الحضري ولا يستبدل بها غيرها. فإذا كان الحب العذري ينافي الطبيعة البشرية، فالغزل العذري أرفع شيء وصل إليه الشاعر في شرح هواه وبث عواطفه، وكان جميل يمثل أشرف تمثيل.

٢ - عمر بن أبي ربيعة: هو أبو الخطاب عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة المغيري المخزومي القرشي، ولد في المدينة سنة ٢٣هـ (٦٤٤م) ووقعت ولادته يوم مقتل الخليفة عمر بن الخطاب فسمي باسم الخليفة وكُني بكنيته. كان والده عبدالله من سادة مكة وكان تاجراً غنياً وقريش تلقبه بالعدل لأنها كانت تكسو الكعبة في الجاهلية من أموالها سنة ويكسو هو من ماله سنة. فكان بذلك وحده عدلاً لهم. ومع ظهور الإسلام كان عبدالله مناهضاً للنبي فأنفق من أمواله في بدر وساهم في موقعة أحد. وعندما فتح النبي مكة أراد علي أن يقتله ثم وفد على النبي وأعلن تقبله الإسلام. وأقام النبي عبدالله والياً على اليمن. مات عبدالله قتلاً إثر سقوطه عن ناقته سنة ٣٥هـ. أما أم عمر فيمنية واسمها مجد. وكان لعمر إخوة من غير أمه، منهم عبد الرحمن والحارث عامل الزبير.

نشأ عمر في المدينة محاطاً بأسباب الترفيه والثراء وكان وسيم الطلعة نحيفاً أسمر طويل القامة، ما جلس في قوم إلا فرعهم طولاً وجهرهم جمالاً وبهرهم بياناً وكان هو يشعر بوسامته ويدل بها في شعره من حين إلى آخر. تلقن كل وسائل التعليم المعروفة في عصره من كتابة وقراءة وحفظ القرآن الكريم. عرف بلهوه وحبه للنساء فكان وهو في المدينة يتردد إلى القيان والمغنين، وكان وهو في مكة إذا دنا موسم الحج تزين بأحسن هندام وسار مع نفر من حشمه وغلمانهم وانطلق يستعرض الجميلات ويتصفح الوجوه وينعم فيبدو موكلاً بالجمال يتبعه أينما وجد. تمنى عمر لو كان دهره حجباً واعتماداً:

من يكن قلبه صحيحاً سليماً فؤادي بالخيف أمسى معاراً
ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجة واعتماراً

عرف عمر بدمث الأخلاق ولطف المعشر، وكان محبوباً من عشرائه ومن بعض الوجهاء والصحابة الأجلاء، يحسن التحدث إلى المرأة والاستماع إليها ولا ينقطع عن طلب غرضه حتى يظفر به. لم يمض حياته كلها في اللهو، فقد أقلع عن هذه الحياة عندما أطل على الشيخوخة، ومات في ظروف مبهمة؛ منهم من قال إن الخليفة عمر بن عبد العزيز نفاه إلى جزيرة وهلك في البحر الأحمر. ومنهم من قال إنه نظر إلى امرأة جميلة في الطواف فكلّمها فلم تجبه فقال لها:

الريح تسحب أذيالاً وتنشرها يا ليتني كنت فيمن تسحب الريح

فلما بلغها شعره قالت «لا أشكوه إلا إلى الله» ثم قالت «اللهم إن كان نوّه باسمي ظلماً فاجعله طعاماً للريح». ثم سافر على فرس له فهبت الريح فنزل ليستتر بشجرة فخدشته شوكة منها فمرض ومات. ومنهم من قال إنه مرض في آخر حياته ومات. هناك اختلاف حول سبب موته لكن المؤرخين متفقون على أن موته كان في حدود سنة ٩٣هـ (٧١٢م).

نرى في شعر عمر بن أبي ربيعة أنه لم يعرف الحب الصادق، فهو لم يحب بقلبه بل بعقله ولسانه، والدليل على ذلك تعدد محبوباته وقد ذكر في أشعاره ما يزيد عن عشرين امرأة، منهن نساء معروفات كالثريا بنت عبد الله وعائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين. ومنهن كتم أسماءهن فذكرهن بأسماء مستعارة، كأم زيد وأم عمرو. ومنهم جوار ومغنيات كحميدة والبغوم. يمكن القول إن عمر عرف الحب في أشكاله المتنوعة وكان أحياناً إباحياً يروقه الجمال وتغريه المتعة، وأحياناً أخرى يقنع بالنظرة والحديث. يتميز شعره بالركة والسهولة والجزالة وصدق العاطفة، ومن شعره ما نظم للمغنين وراعى فيه مقومات الاستساغة في مجالس اللهو فجعله على أوزان قصيرة لكي يسهل تلحينه. جاء شعر عمر مسرحاً لعرض مراحل حياته وصوراً لعواطفه والحوادث التي حدثت معه. ولعل أبرز خصائص شعره أنه

يقتصر على موضوع واحد هو المرأة، وقد ذكر أن سليمان بن عبد الملك لقيه مرة وقال له: «لماذا لا تمدحنا؟» فقال: «أنا لا أمدح الرجال إنما أمدح النساء». توصل عمر في شعره إلى معرفة أمور دقيقة في الحب وأطواره وحياة النساء فأصبح عمر صاحب مدرسة في الغزل وخير مصدر لدرس أحوال المرأة الحجازية وعاداتها وأخلاقها ومكانتها وتفكيرها.

نلاحظ في شعر عمر السرد القصصي الذي امتاز به حتى جعل أشخاص قصصه حية متحركة يحاورها كأنها ماثلة أمامه. ما يمكن قوله إن عمر بن أبي ربيعة هو شاعر محبب إلى الناس خفيف الظل يرتاح القارئ لشعره لما فيه من تمثيل صحيح لنفس صاحبه ولنفسية المرأة في عصره وفي كل عصر. وقد جمع بين سذاجة الحياة العربية وما فيها من طابع البداوة وظرف الحضارة الجديدة وطلاوتها.

الشعر السياسي

نشأت الأحزاب السياسية في أواخر صدر الإسلام وأوائل العصر الأموي فكنا أمام حزب أموي وحزب الشيعة وحزب الخوارج والحزب الزبيري كلها تدعو إلى حقها في الحكم. لم تكن الخلافات القائمة بينها مقتصرة فقط على الآراء والمواقف والحروب بل تعدت إلى الشعر فكان لكل حزب عدد من الشعراء يدافعون عن مبادئه ويهاجمون الخصوم.

من أبرز الشعراء السياسيين:

١ - الأخطل: هو غياث بن غوث بن الصلت التغلبي وأمه ليلى من بني إباد. ولد في الحيرة في حدود سنة ٦٤٠م، كان يُكنى أبا مالك ومالك هو ابنه البكر ويلقب بذي الصليب لأنه كان نصرانياً يعلق الصليب على صدره. لقب بالأخطل، واختلف المؤرخون حول تحديد معنى الأخطل، قال ابن قتيبة: «الأخطل هو الخطل وهو استرخاء الأذن»، وقال أبو عبيدة إن الشاعر هجا رجلاً من قومه وهو يافع فقيل له: «يا غلام إنك لأخطل»، والخطل هنا هو الالتواء في الكلام والسفه والبذاء وسلطة اللسان. اتصل الأخطل ببني أمية وغدا شاعرهم بعد مهاجمته الأنصار، وكان الخلاف بين الأمويين والأنصار قد بلغ ذروته في معركة صفين، إذ كانوا إلى جانب علي يحاربون معاوية. وعندما قتل الإمام علي استأثر بنو أمية بالسلطة وخضع لهم أهل المدينة. لكن، بقيت بعض الألسن تهجو الأمويين. وقد تجاوز الشاعر عبد الرحمن بن حسان بن ثابت مظاهر الهجاء السياسي إلى التشبيب برملة بنت معاوية فغضب أخوها يزيد وراح يبحث عن شاعر من حزب الأمويين يهجو الأنصار فلم يجد سوى كعب بن عجيل خصم الأخطل، فدله كعب

على الأخطل قائلاً: «أدلك على غلام منا نصراني كأن لسانه ثور». وقد أراد كعب بذلك أن يرمي الأخطل بداهية، ولم يدر في خلد أنه يمهد له بذلك طريق الشهرة. وسرعان ما وضع الأخطل قصيدته اللاذعة في هجو الأنصار ومطلعها:

لعن الإله من اليهود عصابة بالجزع بين جلاجل وصرار
وإذا نسبت ابن الفريعة خلته كالجحش بين حمارة وحمار
ذهبت قريش بالمكارم والعلی واللؤم تحت عمائم الأنصار

رضي الأمويون، خاصة يزيد، بالخط من أعدائهم السياسيين ما يرضي البدو من العرب. وأوفد الأنصار شاعرهم النعمان بن بشير إلى معاوية وكان النعمان موالياً للأمويين فدخل عليه غاضباً وقال له: «ألؤما ترى يا أمير المؤمنين؟ فقال: «لا بل أرى كرماً وخيراً» قال: «زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائمنا» فسكن معاوية من غضبه ووعد به بأن يهبه لسان الأخطل، فاحتفى الشاعر بيزيد الذي حماه، فراح شعراء الأنصار يهجون الأخطل، وفي مقدمهم النعمان بن بشير وحسان وابنه حتى وصل حسان إلى تهديد معاوية بالثورة، فجهاهم الأخطل بأبيات مؤلمة واتصل الأخطل بالأمويين وأصبح شاعرهم الخاص.

احتل الأخطل منزلة خاصة ومتميزة عن غيره من الشعراء الأمويين، فقد كان يرافق يزيداً في أسفاره ويقيم في حاشيته حتى مماته فرثاه الشاعر. دب الخلاف على أثر خلافة معاوية الثانية فأدى إلى معركة مرج راهط، وكان من نتائجها أن انتقلت الخلافة إلى مروان بن الحكم. ثم توالى المعارك بين القيسيين من جهة واليمنيين والتغلبيين من جهة أخرى. وكان لهذه المعارك نتائج سياسية بارزة أهمها الإقرار بالخلافة للأمويين، وكان قوم الشاعر التغالبة قد ساهموا بسيوفهم في إقرار سلطة الأمويين. كذلك، ساهم الأخطل بلسانه في تأييد هذه السلطة، وأعطاه الخليفة عبد الملك منزلة خاصة فقال «لكل قوم شاعر وشاعر بني أمية الأخطل» حتى غدا الأخطل يدخل عليه متى شاء.

وفي سنة ٧٠٥م توفي عبد الملك وتسلم ابنه الوليد الخلافة، وكان

أكثر تقيداً بالدين وبغيرته على الإسلام وأقل ثقافة وولعاً بالأدب والشعر من أبيه. وبدأ نفوذ التغلبيين يتضاءل، خاصة النصارى منهم، فأقام الخليفة الأخطل ووضع مكانه عدي بن الرقاع شاعراً رسمياً. توفي الأخطل في خلافة الوليد سنة ٧١٠م بعد عمر ناهز السبعين، وظل مهتماً في مدح الوليد وهجاء جرير. وهو على فراش الموت، ودع أصحابه وتحدى أعداءه بقوله:

وزار القبور أبو مالك برغم العدة وأوتارها

كان الأخطل أشهب اللحية يجدل شعره المتدلي ضفيرتين على زي البدو، وظل متخلفاً بأخلاق البداوة حتى إذا نزل دمشق لا يستقر فيها إلا في بعض الحانات. أخلص لبني أمية على الرغم من سخط العلويين والأنصار عليه وعلى قبيلته. تعلق وتفاخر بنصرانيته وخضع لرجال دينه. بعد وفاته تداولت أشعاره من المدح والهجاء بين كبار الخلفاء الأمويين والعباسيين.

اتبع الأخطل في شعره طريقة القدماء وجدد في بعضها حتى كاد يصنع منها فناً حديثاً. أما الفن الذي تفوق به دون شك فهو المدح، وقد كان هذا الموضوع لا يتجاوز مظاهر البيئة الفردية أو القبيلة من كرم وشجاعة وإغاثة ملهوف. انتقل من المدح القديم إلى ابتدائيات الشعر السياسي. فمع اتساع رقعة الدولة العربية بعد الإسلام واجتماع القبائل المتنافرة فتح مجال أمام الشعر السياسي الصحيح، فكان لكل حزب شاعر يؤيد فضائله ونضاله وخصائص زعمائه. هكذا كان حال الأخطل يمدح الخلفاء الأمويين خاصة يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان وابنه الوليد، ومن كبار قومه مدح جدار بن عتاب التغلبي وهمام بن مطرف التغلبي.

من خصائص الشعر السياسي نشر الدعوة لحزبه ولأبنائه فهو لا يتعارض مع الدولة بل يعمل على إظهار فضلها وصحة أعمالها، وهذا ما قام به الأخطل حتى أصبح شاعر بني أمية الخاص. كان مر اللسان يهجو أعداء الأمويين، ومن المتفق أن أعداء بني أمية هم أيضاً أعداء الشاعر. فكانت مصلحة بني تغلب، قوم الشاعر، ومصلحة الدولة واحدة. إن شعر الأخطل يمتاز بطول النفس وسلامة التعبير وحسن السبك، وقد أجمع القدماء أن

الأخطل كان ينقح شعره، فكان إذا اجتمع له تسعون بيتاً اختار منها ثلاثين . كان له اطلاع واسع على شعر القدماء وميل خاص إلى شعر النابغة، فجمع في ذلك قوة في التصوير ووضع استدارات تشبيهية تظهر فيها الموصوفات جليلة، وإذا كان مديناً بشيء للنابغة ففي قوة المخيلة ورهافة الحس، كما يلتقي مع النابغة بطول النفس وحسن وقع المعاني التي فاق بها الأخطل عدداً كبيراً من المتأخرين والمتقدمين .

٢ - الفرزدق: هو أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة بن دارم من بني تميم . كان جده من أشرف قومه في الجاهلية اشتهر بمأثرة بالغ فيها الرواة وافتخر بها الفرزدق . اشتد الجذب وفشا الجوع بين الناس وعمد بعضهم إلى دفن بناتهم حياً ساعة ولادتهن، فقام صعصعة يفتدي المؤثودات . وكان والد الفرزدق من أشرف قومه واشتهر بالكرم .

ولد الفرزدق في حدود السنة العشرين للهجرة (٦٤٠م) في البصرة وكان في جهامة وجهه وضخامة قسماته وآثار الجدري فيه ما لفت نظر الناس فلقبوه بالفرزدق، ومعناه الرغيف المتفخ . كان مزواجاً مطلقاً لا يكاد يخلص لامرأة ولا تكاد امرأة تصبر على أخلاقه . تعصب لقبيلته وافتخر بمآثرها وتنبه إلى حقوقها وكان مستعداً للدفاع عنها عند ذوي السلطان .

مارس الفرزدق الشعر منذ صباه ومال إلى الهجاء ثم ألقع عنه وأصبح يعالج الآيات القرآنية . وقد جاءته يوماً نساء بني مجاشع شاقيات من هجاء جرير لهن، فعاد إلى الشعر مجدداً يهجو جريراً . وقد سأل بشر بن مروان الأخطل عنهما فقال: «الفرزدق ينحت الصخر وجرير يغرف من بحر»، فلم يرض جرير بهذا الحكم وبدأ عهد الهجاء بينه وبين الأخطل . أما الفرزدق فشكر الأخطل . وبعد وفاة الأخير أقام نفسه شاعراً للتغليبين . هجا الفرزدق من الشعراء مسكين الدارمي والطرماس الطائي . وعاش طويلاً فقارب المئة وتوفي سنة ١١٤ هـ (٧٣٢م) .

حفظ الفرزدق الكثير من الشعر الجاهلي وحاول حفظ القرآن الكريم لكنه اكتفى بحفظ قصصه ورددها في شعره . كان كثير الأحاديث . حلو

القصص عذب الأسلوب، سريع الجواب، حاضر النكتة، كثير الدعابات وتتداخل دعاباته أحياناً بذاءة اللفظ وفحش القول.

مارس الفرزدق جميع أنواع فنون الشعر التقليدية، لكن الفخر عنده برز أكثر من غيره. حتى في الهجاء كان الفخر بارزاً، أما الرثاء عنده فنوعان: شخصي يرثي فيه أباه وأقرباءه وهو رثاء أقرب إلى الفخر، ورسمي يرثي فيه أرباب السلطان كسليمان بن عبد الملك وبشر بن مروان والحجاج بن يوسف. ومدح الفرزدق يفتقر إلى الإخلاص. تعطي مدائحه صورة عن شؤون الإدارة والاجتماع، فشعره مصدر للتاريخ الأموي جدير بالاهتمام.

يمتاز شعر الفرزدق بطابع السرد القصصي والسرد من مواهب الشاعر، ولو كان للقصة الفنية مقومات معروفة لكان شاعرنا في طليعة أربابها، فله لمحات مختصرة حول قصة آدم وحواء وغرق فرعون في البحر الأحمر. الواقع أن قصائد الفرزدق تمتاز بجزالة تأخذ من قلب السامع بجمال خاص يستند إلى عناصر الكثرة والقوة، لكن الفرزدق أهمل بالمقابل شروط التعبير الصحيح أحياناً وقواعد الصناعة التي تنبه النحاة إلى إهمالها. وكان يستعمل مفردات مهجورة وتعابير قديمة جافة وقد سر أرباب اللغة بذلك فقال بعضهم: «لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب».

٣ - ابن قيس الرقيات: هو عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة المعروف بابن قيس الرقيات. لقب بالرقيات لأنه شبيب بثلاث نسوة سمين جميعاً رقية، وهن: رقية بنت عبد الواحد بن أبي سعد من أنسباء الشاعر، وابنة عم لها يقال لها رقية، وامرأة من بني أمية اسمها رقية.

هو شاعر قرشي مشهور نبغ في العهد الأموي وأدى دوراً سياسياً أثناء الثورة الزبيرية. هرب الشاعر إلى الكوفة بعد مقتل مصعب بن الزبير في معركة مسكن على نهر دجيل سنة ٧٣هـ (٦٩٢م) والتجأ إلى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب فخص به كثيراً من مدائحه. عندما التقى ابن الرقيات عبدالله بن جعفر قال له: ما نفعني أمانتي؟ تركت حياً كميّ لا آخذ مع الناس عطاء أبداً. فقال له عبدالله: كم بلغت من السن؟ قال: ستين سنة. قال: فعمر

نفسك قال: عشرين سنة لأبلغ الثمانين. قال: كم عطاؤك؟ قال: ألفا درهم فأمر له بأربعين ألف درهم. وقال: ذلك علي لك إلى أن تموت عند ذلك نظم عبيد الله بن قيس الرقيات مقطوعة يمدح بها عبد الله بن جعفر:

تقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلها ونهارها
تزور امرأ قد يعلم الله أنه تجود له كف قليل غرارها
أتيناك نشني بالذي أنت أهله عليك كما يشني على الروض جارها

ولابن قيس الرقيات فضلاً عن الممدح شعر في الفخر والحماسة وخاصة الغزل. فقد حدث أن التقى قيس برقية بنت عبد الواحد في الطواف تهم بتقبيل الحجر، وكان قد قصد الطواف مع فند مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص. فأهوى ليستلم الركن ويقبله فصادفها قد سبقت إليه فنفتحته بردنها فعلق به أثر الطيب، فقال في ذلك:

سائلاً فنداً خليلي كيف أردان رقية؟
إنني علقت خودا ذات دل بسختريه

توفي الشاعر في حدود عام ٧٠٥م (٨٦هـ) وقد تنثر شعره في «رسالة الغفران» للمعري و«الأغاني» للأصفهاني و«خزانة الأدب» للبغدادي، ويعد شعره من المصادر المهمة في تاريخ النصف الأول من العهد الأموي إذ يصور أحداث تلك الحقبة بدقة، وكان في انتقال الشاعر من حزب إلى آخر مادة لتصوير الآخذين بالنزعات المتعددة في ذلك العصر.

٤ - كثير عزة: هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن ربيعة من بني عامر، توفي في ولاية يزيد بن عبد الملك سنة (١٠٥هـ). هو من غلاة الشيعة وأحد عشاق العرب المشهورين وصاحب عزة بنت جميل بن حفص، وله معها حكايات ونوادر مشهورة. كان كثير يزعم أن محمد بن الحنفية لم يمت وأنه سيعود يوماً، وفي ذلك يقول:

ألا قل للوصي فدتك نفسي أطلت بذلك الجبل المقام
أضر بمعشر والوك منا وسموك الخليفة والإماما

للشاعر الكثير من الأبيات تتكلم عن عزة التي التصق اسمها باسمه
وأول علاقته بها أنه خرج من منزله يسوق غنمه فالتقى نسوة وسألهن ماء
فقلن لعزة: ارشديه إلى الماء. فأرشدته وأعجبته ثم جاءت عزة بدراهم
وقالت: يقلن لك النسوة، بعنا بهذه الدراهم كبشاً من ضأنك. فأمر الغلام
فدفع إليها كبشاً، وقال: ردي الدراهم وقولي لهن: إذا رحت بكن اقتضيت
حقي. فلما مر بهن قلن له: هذا حقك فخذ، فقال: عزة غريمي ولست
أقتضي حقي إلا منها. ومضى لوجهه ثم رجع إليهن حين فرغ من بيع غنمه
وأنشدهن في عزة:

نظرت إليها نظرة وهي عاتق	على حين أن شبت وبان نهودها
وقد درعوها وهي ذات مؤصد	محبوب ولما يلبس الدرع ريدها
من الخفرات البيض ود جليها	إذا ما انتقضت أحدى لو تعيدها

الخطابة في العصر الإسلامي

الخطابة كلام نثري فني يلقي شفاهاً في جمهور من الناس لحملهم على اتخاذ موقف معين أو اعتناق مبدأ ما أو رفض حالة قائمة. ومن أجل الإقناع يعتمد هذا الفن على العاطفة والخيال أكثر من اعتماده على التحليل المنطقي وعلى الإيجاز البليغ. انتشر فن الخطابة في العصر الجاهلي انتشاراً واسعاً لكنه لم يبلغ ذروته كما حدث في العصر الإسلامي. فقد كان الجاهليون يستخدمون الخطابة في منافراتهم ومفاخراتهم وفي النصيح والإرشاد وفي الحث على القتال والدعوة إلى السلم وغير ذلك. من أبرز خطباء العصر الجاهلي عتبة بن ربيعة، خطيب قريش يوم بدر، وسهيل بن عمرو الإعلم في مكة، وقيس بن الشماس وابنه ثابت خطيب الرسول، وربيعة بن حذار خطيب بني أسد، وسواهم.

أحب العرب هذا النوع من الفن خاصة مع قيس بن ساعده الأيادي الذي يعتبر نموذجاً للخطابة الجاهلية فهي تقوم على السجع والجمال القصيرة المتقطعة واستعمال التعابير المؤثرة. وقد سمع الرسول بعضهم يخطب أمامه فقال: «إن من البيان لسحراً».

الخطابة في صدر الإسلام

كان الرسول يخطب العرب ويدعوهم إلى دينه الحنيف والدخول في طاعة الله ومحبه. ولما هاجر إلى المدينة أصبحت الخطابة فريضة مكتوبة في صلاة الجمعة والعيدين. وبذلك عرف العرب تنظيماً للخطابة لم يكن معروفاً، وقد ترك الرسول تراثاً ضخماً من الخطب لم يصلنا منه إلا القليل. فمن الخطب القصيرة قوله: «إن المؤمن بين مخافتين: بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض به».

اتبع الخلفاء الراشدون خطى الرسول في الخطابة فابتعدوا عن السجع وافتتحوا بحمد الله وتمجيده والصلاة على رسوله، وكانوا يستعينون بآيات قرآنية وبيعض أحاديث النبي. جاء في خطبة للخليفة الراشدي أبي بكر الصديق:

«إلا أن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك، إلا أن الفقراء هم المرحومون، إلا أنكم اليوم على خلافة النبوة ومفرق المحجة وأنكم سترون بعدي ملكاً عضوضاً وملكاً عنوداً وأمة شعاعاً ودماً مفاحاً. فإن كانت للباطل نزوة ولأهل الحق جولة يعفو لها الأثر وتحيا بها الفتن وتموت لها السنون فالزموا المساجد واستثيروا القرآن واعتصموا بالطاعة ولا تفارقوا الجماعة».

من أبرز خطباء العصر الإسلامي:

١ - علي بن أبي طالب: هو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي. ولد في مكة المكرمة في حدود سنة ٦١٠م. توفي والده وهو في السادسة من العمر فتكفله ابن عمه النبي، وتولى تربيته فنشأ على حبه وتبعه في دعوته، فكان أول من أسلم بعد خديجة. وقد أظهر غيره على الدين والتضحية في سبيله. بعد وفاة الرسول كثر أعداؤه وكانت معركة الجمل وصفين الحد الفاصل لحياته، فقد قتل الإمام علي في ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ (٦٦١م) على يد الخارجي عبد الرحمن بن ملجم المرادي.

يعتبر علي بن أبي طالب من أركان الخطابة في العصر الإسلامي، وقد تداولت أقواله من جيل إلى جيل. كان متواضعاً قنوعاً ميالاً إلى الزهد، أظهر في خلافته غيره على مصلحة المسلمين وشجاعة نادرة في الحروب. ترك الكثير من المؤلفات جمعت في كتاب «نهج البلاغة» وتعتبر الخطب التي ألقاها من أكثر الخطب بلاغة وصدقاً. كان اتباعه ينظرون إليه نظرة تقديس اشتدت وتضاعفت بعد مقتله والتنكيل بأبنائه وأحفاده. كان يخطب في المقاتلين وفي المؤمنين فيظهر روح الفروسية والبطولة والتكشف والورع والتفقه بأمور الدين. هو شخصية غنية جذابة حامت حولها الأقلام ووضعت في نتائجها المؤلفات، تميز بإيمانه الراسخ بحقه هو الذي حمل على الغضب

الشديد والإخلاص، وخير دليل على ذلك الخطبة التي ألقاها الإمام عندما أغار سفيان بن عوف الأسدي بجيش معاوية على الأنبار وقتل عامل علي عليها. بعض ما جاء فيها:

«يا أشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة والله جرت ندماً وأعقبت سدماً. قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان. حتى قالت قريش: أن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراساً وأقدم فيها مقاماً مني؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها أنا قد ذرفت على الستين لكن لا رأي لمن لا يطاع».

٢ - زياد بن أبيه: هو زياد بن أبيه أو زياد بن سمية أحد دهاة العرب وقادتها ومن الخطباء المشهورين. كانت أمه أمة للحارث بن كلدة الثقفي الطيب العربي. ولد زياد في السنة الأولى للهجرة. عينه الإمام علي بن أبي طالب والياً على خراسان فاستطاع بذكائه أن يقضي على الفتن والثورات. أدرك معاوية فطنة زياد فوضعه والياً على البصرة وخراسان وسجستان والسند والبحرين وعمان والكوفة وعرف باسم زياد بن أبي سفيان. أشهر خطب زياد عرفت باسم «البتراء»، أو خطبة الولاية، وقد سميت بالبتراء لأن صاحبها لم يبدأ بالتحميد فبدت بذلك كأنها مبتورة. تمتاز خطبه بالفاظ مختارة لها وقع شديد في الأذن والقلب، فيها ضروب من الصور البيانية كالتشبيهات والاستعارات. غير أنه لا يعتمد السجع، وهي محكمة التنسيق على تسلسل في الأفكار وتكامل في المعاني.

«أما بعد فإن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والفي الموفي بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام التي ينبث فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول».

٣ - الحجاج بن يوسف: هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم من قبيلة ثقيف. ولد في الطائف سنة ٤٢هـ وبدأ حياته يعلم الصبية، ثم انتقل إلى الشام واتصل بوزير عبد الملك روح بن زنباع فجعله في شرطته. وذكر ابن عبد ربه أن الخليفة عبد الملك رأى انحلال عسكره فشكا ذلك إلى روح بن زنباع فقال له: «إن في شرطتي رجلاً لو قلده أمير المؤمنين أمر عسكره لأرحل الناس برحيله وأنزلهم بنزوله، ويقال له الحجاج بن يوسف. قال: فإننا قد قلدناه ذلك. فتسلم الحجاج أمر العسكر وتشدد عليهم وأكراههم على الطاعة. يقول ابن خلكان: «وكان للحجاج في القتل وسفك الدماء والعقوبات غرائب لم يسمح بمثلها ويقال: إن زياد بن أبيه أراد أن يتشبه بأمر المؤمنين عمر بن الخطاب في ضبط الأمور والحزم والصرامة إلا أنه أسرف وتجاوز الحد وأراد الحجاج أن يتشبه بزياد فأهلك ودمر».

مات الحجاج في وسط عن عمر يقارب أربع وخمسين سنة بسبب أكلة في بطنه وإصابته بالزهمير، فكانت الكوائن تجعل حوله مملوءة ناراً وتدنّى منه حتى تحرق جلده وهو لا يحسّ بها. وشكا ما يشعر به إلى الحسن البصري فقال له: قد كنت نهيتك ألا تتعرض للصالحين فلججت، فقال له: يا حسن لا أسألك أن تسأل الله أن يفرج عني بل أن يعجل قبض روعي ولا يطيل عذابي.

قيل إن عدد الذين قتلهم الحجاج كان عشرين ألفاً ومئة ألف وكان في سجنه بعد موته خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة. ومن أبرز الخطب التي كان يلقيها الحجاج خطبة الولاية المشهورة عندما عينه الخليفة عبد الملك والياً على العراقيين، وبعض ما جاء فيها:

«أنا ابن جلا وطلاع الشنايا متى أضع العمامة تعرفوني

والله يا أهل العراق يا معدن الشقاق والنفاق ومساوىء الأخلاق لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإنني لصاحبها. وكأني أنظر إلى الدماء بين العمام واللحم. إن أمير المؤمنين نثر كنانته فعجم عيدانها فوجدني أمرها عوداً وأصلبها مكسراً فوجهني إليكم ورماكم بي».

اشتهر الحجاج بسياسة العنف الشديد، وأيضاً بفصاحته وبلاغته وحفظ الشعر الغريب. ويقول المبرد عنه: «كان إذا صعد المنبر تكلم رويداً فلا يكاد يسمع ثم يتزيد في الكلام حتى يخرج يده من مطرفه ويزجر الزجرة فيفزع بها أقصى من في المسجد».

النثر الفني في العصر الإسلامي

١ - في صدر الإسلام: أثر القرآن الكريم تأثيراً واضحاً في ازدهار النثر وانتشاره لا سيما في الخطابة ورسائل الدواوين. وشجع النبي الكتابة، فقد كان يرسل الملوك والأمراء ويدعوهم إلى الإسلام ويتوخى إيصال فكرته وتبليغ دعوته دون تكلف. سار الخلفاء الراشدون على طريقته فكان همهم الوضوح ومثانة اللغة.

٢ - في العصر الأموي: تطور النثر الفني في العصر الأموي بسبب ازدهار الحياة العامة وتحضر العرب والتبادل بين الدولة الإسلامية والأجانب، فضلاً عن الدين الذي يتضمن قواعد روحية ومدنية. ومع تقدم العصر الأموي رأى العرب حاجة إلى تدوين كل المعارف على أنواعها، وظهرت مؤلفات دينية وتاريخية تتكلم عن تاريخ الإسلام والنبوة ومؤلفات تتكلم عن ملوك وأمراء وشعراء أيام العصر الجاهلي. كما اهتموا بإتقان كتابة الرسائل من حيث تنظيم الأفكار وتنميق اللفظ واختيار ما يروق منه للقارئ. ويروى أن المهلب بن أبي صفرة أراد أن يخبر الحجاج عن بعض حروبه فاستقدم كاتبه يحيى بن يعمر ووجه إلى الحجاج هذه الرسالة القصيرة:

«إنا لقينا العدو فمئنا الله أكتافهم مقتلنا طائفة وأسرنا طائفة ولحقنا طائفة برؤوس الجبال وأسافل الأودية ومداخل الكهوف وبتنا بأعالي الجبل وبات العدو بحضيضه».

ومن أبرز النثرين في العصر الأموي:

عبد الحميد الكاتب: هو عبد الحميد يحيى بن سعد مولى بني عامر بن لؤي بن غالب القرشي. بدأ حياته معلماً للصبية في الكتاتيب. التحق

بديوان الرسائل أيام هشام بن عبد الملك ثم بمروان بن محمد . لازم أميره وبقي معه حتى بعد أن انتصرت عليه الجيوش العباسية ، ففر معه إلى مصر حيث قتل في موقعة بوصير سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) . ويروي المسعودي أن مروان قال له حين أيقن بزوال ملكه : « قد احتجت أن تصير مع عدوي وتظهر الغدر بي فإن أعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك يحوجهم إلى حسن الظن بك » فقال له عبد الحميد : « إن الذي أشرب به علي أنفع الأمرين لك وأقبحها بي وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله تعالى أو أقتل معك » .

ترك عبد الحميد عدداً من الرسائل لم يصلنا إلا بعضها وهي رسالة ولي العهد ورسالة الكتاب ورسالة الشطرنج فضلاً عن أقوال متناثرة تناقلتها الكتب .



إن فن الكتابة تطور في العصر الأموي بفضل كتابات ورسائل عبد الحميد ، فاتصف أسلوبه بالوضوح وبالألفاظ والمعاني الغريبة وسرد الفكرة الواحدة بعبارات متنوعة ليفهمها القارئ ويرتاح لسماعها . ويعتبر عبد الحميد مدرسة نثرية قائمة بحد ذاتها .

نماذج من العصرين الإسلامي

والأموي

كعب بن زهير

بانت سعاد، فقلبي مثبول
وما سعاد، غداة البين، إذ رحلوا
تجلو عوارض ذي ظلم، إذا ابتسمت
كائنات مواعيد عرقوب لها مثلاً
أمست سعاد بأرض لا يبلغها
تسعى الوشاة جنابها، وقولهم:
وقال كل خليل كنت أمله:
فقلت: خلوا سبيلي، لا أبا لكم،
كل ابن أنثى، وإن طالت سلامته،
نبئت أن رسول الله أوعدني
مهلاً، هداك الذي أعطاك نافلة
لا تأخذني بأقوال الوشاة، ولم
لقد أقوم مقاماً لو يقوم به
لظل يزعد، إلا أن يكون له
حتى وضعت يميني، لا أنازعها،
لذاك أهيب عندي، إذ أكلمه
من خادر من ليوث الأسد مسكنه،
إن الرسول لنور يستضاء به
في غصبة من قریش قال قائلهم
زالوا، فما زال أنكاس ولا كشف

مقيم إثرها، لم يفد، مكبول^(١)
إلا أعز، غصض الطرب، مكحول^(٢)
كأنه منهل بالراح، مغلول^(٣)
وما مواعيدها إلا الأباطيل^(٤)
إلا العتاق النجيات المراسيل^(٥)
إني، يا ابن أبي سلمى، لمقتول^(٦)
لا ألهيئك، إني عنك مشغول
فكل ما قذر الرخمن مفعول
يوماً على آلة حذباء مخمول
والعفو عند رسول الله مأمول^(٧)
القرآن فيه مواعيد وتفصيل^(٨)
أذنب، وإن كثرت في الأقاويل
أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
من الرسول، بإذن الله، تنويل^(٩)
في كف ذي نقات قيله القيل
وقيل: إنك منسوب ومسؤول^(١٠)
من بطن عثر، غيل دونه غيل...
مهتد، من سيوف الله، مسلول^(١١)
بطن مكة، لما أسلموا: زولوا
عند اللقاء ولا ميل معازيل^(١٢)

شُمُ العَرَانِينَ، أَبْطَالًا، لَبَّوْهُمْ
لا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالَتْ رِمَاخُهُمْ
لا يَقَعُ الطُّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ
مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ، فِي الْهَيْجَا، سَرَابِيلُ^(١٣)
قَوْمًا، وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا
وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ^(١٤)

هوامش

- (١) بانث : بعدت - تبول، من التبل : الهيام حتى الضعف والسقم - متيم : مدلل - مكبول : مقيد .
- (٢) البين : البعد - أغن : صفة لمحدوف تقديره الطربي الذي في صوته غنة أي بُحّة مستحبة - غضيض الطرف : منكسر النظر .
- (٣) تجلو : تكشف - العوارض : الأسنان - الظلم : الريق - منهل : مُسقى أول مرة - معلول : مُسقى ثانية .
- (٤) عرقوب : رجل من يقرب يضرب به المثل في إخلافه الوعد .
- (٥) العتاق : صفة لمحدوف تقديره النوق - العتاق : الأصلية الكريمة - المراسيل : السهلة في السير .
- (٦) جنابها : حوالها، حوالي الناقة .
- (٧) أوعد : هدد، يلاحظ الشبه بين اعتذاره واعتذار النابغة .
- (٨) النافلة : الزيادة .
- (٩) معنى البيت والبيت السابق : قمت مقاماً لو قامه الفيل وسمع ما سمعت لظل يرتجف خوفاً إلى أن يصله العفو والأمان .
- (١٠) لذلك : أي محمد .
- (١١) لسيف : وردت أحياناً : لنور . وهذا البيت نال شهرة واسعة .
- (١٢) أنكاس، جمع نكس : ضعيف، جبان - كشف، جمع أكشف : الذي لا ترس معه - الميل، جمع أميل : الذي لا يثبت على السرج - معازيل، جمع معزال : الخالي من السلاح .
- (١٣) شم العرانيين : مرتفعو الأنوف، أصحاب - سرابيل : لابسو الدروع - نسج داود : الدروع المنسوبة إلى النبي داود لمتانتها .
- (١٤) صدر البيت يعني أنهم لا يديرون ظهورهم ولا يهربون فيقع الطعن في صدورهم - حياض الموت : ساحة الحرب - تهليل : هرب .

الأخطال

- خَفَّ الْقَطِيطُ فَرَاخُوا مِنْكَ، أَوْ بَكَرُوا
كَأَنِّي شَارِبٌ يَوْمَ اسْتَبِيدَ بِهِمْ
إِلَى أَمْرِي لَا تُعَدِّينَا نَوَافِلَهُ
وَتَسْتَبِينِ لَأَقْرَامِ ضَلَالَتِهِمْ
ثُمَّ اسْتَقْلَ بِأَثْقَالِ الْعِرَاقِ، وَقَدْ
فِي تَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعَصِبُونَ بِهَا
تَعْلُو الْهَضَابَ، وَحَلُّوا فِي أَرْوَمَتِهَا
خُشِدٌ عَلَى الْحَقِّ، عَيَّافُو الْخَنَا، أَثْفُ،
وَلَا تَدَجَّتْ عَلَى الْآفَاقِ مُظْلِمَةٌ
أَعْطَاهُمُ اللَّهُ جَدًّا يُنْصَرُونَ بِهِ
لَمْ يَأْشُرُوا فِيهِ، إِذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ،
شُمُسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ
لَا يَسْتَقِيلُ ذُو الْأَضْغَانِ حَرَبَهُمْ
هُمُ الَّذِينَ يُبَارُونَ الرِّيحَ إِذَا
بَنِي أُمَيَّةَ! نَعْمَاكُمْ مُجَلَّلَةٌ،
بَنِي أُمَيَّةَ! قَدْ نَاضَلْتُ دُونَكُمْ
أَفْحَمْتُ عَنْكُمْ بَنِي النَّجَارِ، قَدْ عَلِمْتُ
حَتَّى اسْتَكَاثُوا، وَهُمْ مَنِي عَلَى مَضْبُضٍ،
بَنِي أُمَيَّةَ! إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ،
وَاتَّخِذُوا عَدُوًّا، إِنْ شَاهِدَهُ،
إِنَّ الضَّعِينَةَ تَلْقَاهَا، وَإِنْ قَدُمْتُ،
- وَأَزَعَجَتْهُمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا غَيْرُ^(١)
مَنْ قَرَقَبَ ضُمْنَتَهَا جِنَصُ أَوْ جَدَرُ^(٢)
أَظْفَرَهُ اللَّهُ فَلْيَهْنِئْ لَهُ الظَّقَرُ^(٣)
وَيَسْتَقِيمَ الَّذِي فِي خَدِّهِ صَعَرُ^(٤)
كَانَتْ لَهُ نَقْمَةٌ فِيهِمْ، وَمُدَّخَرُ^(٥)
مَا إِنْ يُوَازِي بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّجَرُ^(٦)
أَهْلُ الرِّبَاءِ، وَأَهْلُ الْفَخْرِ، إِنْ فَخَرُوا^(٧)
إِذَا أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا^(٨)
كَانَ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنْهَا وَمُعْتَصِرُ^(٩)
لَا جَدًّا إِلَّا صَغِيرٌ، بَعْدُ مُحْتَقِرُ^(١٠)
وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ أَثَرُوا^(١١)
وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدِرُوا^(١٢)
وَلَا يُبَيِّنُ فِي عِيدَانِهِمْ خَوَرُ^(١٣)
قُلْ الطَّعَامُ عَلَى الْعَافِينَ أَوْ قَتَرُوا^(١٤)
تَمَّتْ فَلَا مِئَّةَ فِيهَا، وَلَا كَدَرُ^(١٥)
أَبْنَاءُ قَوْمٍ هُمْ آوُوا وَهُمْ نَصَرُوا^(١٦)
عُلْيَا مَعَدٍّ، وَكَانُوا طَالَمَا هَدَرُوا^(١٧)
وَالْقَوْلُ يَنْفُقُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْرُ
فَلَا يَبْيِثَنَّ فَكِيمَ آمِنًا زُقَرُ^(١٨)
وَمَا تَغْيِبُ مِنْ أَخْلَاقِهِ دَعَرُ^(١٩)
كَالْعَرِّ يَكْمُنُ حِينًا ثُمَّ يَنْتَشِرُ^(٢٠)

وقد نُصِرْتَ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بِنَا
يُعرِّفونكَ رَأْسَ ابْنِ الْحُبَابِ، وقد
والْحَارِثُ بْنُ أَبِي عَوْفٍ لَعِبْنَ بِهِ
وَقَيْسُ عَيْلَانَ، حَتَّى أَقْبَلُوا رَقَصاً
فَلَا هَدَى اللَّهُ قَيْساً مِنْ ضَلَالَتِهِمْ!
ضَجُّوا مِنَ الْحَرْبِ، إِذْ غَضَّتْ غَوَارِبُهُمْ،
وَقَدْ أَصَابَتْ كِلَاباً مِنْ عَدَوَاتِنَا
أَمَّا كَلِيبُ بْنُ يَرْبُوعٍ فَلَيْسَ لَهُمْ
قَوْمٌ أَنَابَتْ إِلَيْهِمْ كُلُّ مُخْزِيَةٍ
الْأَكْلُونَ خَبِيثَ الزَّادِ وَحَدَّهُمْ
وَأَقْسَمَ الْمَجْدُ حَقّاً لَا يَحَالِفُهُمْ

لَمَّا أَتَاكَ بِبَطْنِ الْغُوطَةِ الْخَبِيرُ^(٢١)
أَضْحَى وَلِلْسَيْفِ فِي خَيْشُومِهِ أَثَرُ^(٢٢)
حَتَّى تَعَاوَزَهُ الْعَقْبَانِ وَالسُّبُرُ^(٢٣)
فَبَايَعُوكَ جِهَاراً، بَعْدَمَا كَفَرُوا^(٢٤)
وَلَا لَعاً لِبَنِي ذَكْوَانَ، إِذْ عَثَرُوا^(٢٥)
وَقَيْسُ عَيْلَانَ مِنْ أَخْلَاقِهَا الضَّجَرُ^(٢٦)
إِحْدَى الدَّوَامِي الَّتِي تُخْشَى وَتُنْتَظَرُ^(٢٧)
عِنْدَ التَّفَارُطِ إِيرَادُ وَلَا صَدْرُ^(٢٨)
وَكُلُّ فَاحِشَةٍ سُبَّتْ بِهَا مُضَرُّ^(٢٩)
وَالسَّائِلُونَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَا الْخَبِيرُ
حَتَّى يُحَالِفَ بَطْنَ الرَّاحَةِ الشُّعْرُ

هوامش

- (١) خف: أسرع وتحول. القطين: جماعة المقيمين والمجاورين. واحوا: في المساء. بكروا: ساروا في الصباح. أزعجتهم: حملتهم على الرحيل. النوى: البعد والتحول. الصرف: نواب الدهر. غير: تبدل وتغير. المعنى: لقد ارتحل جيراننا، يدفعهم إلى ذلك تقلب الدهر وحداثته التي تغير الناس من حال إلى حال.
- (٢) استبد بهم: غلب عليهم. قرقف: خمرة حادة ترقف صاحبها أي ترعده. حمص وجدر: بلدان. المعنى: إن ارتحال الأحبة قد أفقدني وعيي، فشعرت كأنني شربت خمرة حادة من خمر حمص أو جدر. فأفقدتني كل صواب.
- (٣) لا تعدينا: لا تفوتنا. نوافله: عطاياه. أظفر الله: إشارة إلى أن خلافة الأمويين من عند الله، وفي هذا تكريس للحق الإلهي بالحكم.
- (٤) الصعر: إمالة الوجوه والشموخ بالأنف كبراً. يقول: إن هؤلاء قد تبين لهم ضلالهم، وبعد أن كانوا يشمخون بأنوفهم ويصعرون خدودهم تكبراً بأنهم آل البيت وأفضل الناس، أصبحوا خاضعين للأمويين واستنامت وجوههم ونظراتهم وهدأت ثوراتهم.
- (٥) استقل بأثقال العراق: تغلب عليه وحمل أعباءه. النعمة: البلاء الحسن. المدخر: ما يخبأ للعدو من بطش وخطة. تمكن عبد الملك من السيطرة على العراق بما أظهر من بلاء حسن ويطش وقوة.
- (٦) النبعة: نوع من الشجر الصلب الذي يكبر ويرتفع. يعصبون بها: يلتفون حولها. شبه الأسرة الأموية بشجرة النبع العالية التي تعطي أجود الرماح والنبال كما يخرج الأمويون الأشراف، قواد الدولة وعظماءها.
- (٧) أرومتها: أصلها. أهل الرباء: أهل العظمة. وفي أرومة شجرة النبع هذه بنو مروان أهل الفخر والعظمة.
- (٨) عيافو الخنا: كارهون الذل. أنف: أصحاب رفعة، إذا أصابهم مكروه صبروا عليه.
- (٩) تدجت: خيمت. مظلمة: يقصد بها الأمر الخطير أو الأزمة الكبرى. المعتصر: طريق النجاة. وإن خيمت عليهم أزمة كبرى أو ثورة، خرجوا منها منتصرين.
- (١٠) الجد: الحظ. في هذا البيت تنويه بما كان الأمويون يريدون إقراره في أذهان الناس وهو أن خلافتهم من الله وحقهم فيها مقدس، وشأنهم عظيم وكل شأن سوى ذلك حقير.
- (١١) لم يأشروا: لم يبطروا فتغرمهم النعمة. مواليه: أصحابه وأهله. فهم لا تبطروهم النعمة كسواهم.
- (١٢) شمس العداوة: أشداء على العدو. يستقاد لهم: يقدم لهم الخضوع ويسلم بقيادتهم ورياستهم. الأحلام: جمع حلم وللحلم معان كثيرة منها الصبر، ومنها العقل الراجح، والتسامح. ولعل هذا المعنى الأخير هو المقصود: عداوتهم شديدة على أعدائهم الذين

يعانون منها حتى يسلّموا لبني أمية بالأمر فإذا فعلوا فإن الأمويين لا ينتقمون وإنما يعفون عند المقدرة.

(١٣) ذوو الأضغان: الأعداء الذين يحملون في نفوسهم ضغينة أي بغضاً. يبين: يظهر. في عيدانهم: في قواهم ورماحهم. الخور: الضعف. فأعداؤهم لا يستقلون حريهم، وهم لا يظهر في قواهم ضعف أو خور.

(١٤) يبارون الرياح: يسبقونها. العافين: المحتاجين. قترّوا: بخلوا على أنفسهم من ضيق ذات اليد. عندما تحلّ الأزمات الاقتصادية نرى الأمويين يسابقون الرياح إلى مساعدة المحتاجين.

(١٥) نعماكم: فضلكم وإحسانكم. مجللة: مغطّية. أي عامة لجميع الناس. المنة: التقريع بالإحسان. الكدر: ما يعكر الشيء ويزيل عنه الصفو والبهجة. إن فضلكم يعم جميع الناس ولا يكدره من.

(١٦) ناضلت دونكم: حاربت من أجلكم. هم آووا وهم نصرّوا: يقصد بهم الأنصار إذا آووا النبي ونصرّوه. ينوء بفضلته على بني أمية وهجائه الأنصار من أجلهم.

(١٧) أفحمت عنكم: أسكت. بنو النجار: جماعة من زعماء الأنصار وذوي النفوذ فيهم وهم قوم حسان بن ثابت. عليا معد: قريش. هدرّوا: ردّدوا الكلام الذي فيه تهديد وتوعد. لقد أسكت عنكم بني النجار بعد أن كانوا يهجونكم ويؤذونكم.

(١٨) زفر: هو زفر بن الحارث الكلّابي، زعيم القيسية في معركة مرج راهط ضد الأمويين. وهنا يشير الأخطل إلى حادثة مؤداها أنه دخل على عبد الملك فوجده جالساً مع زفر بن الحارث جلسة ودية فغضب الأخطل لأن قوم زفر أعداء لتغلب وصعب عليه أن يقرب الأمويين أعداء قبيلته. فعرض به وأغرى عبد الملك بطرده من مجلسه. قائلاً: نصيحتي لكم يا بني أمية ألا تأمنوا جانب زفر.

(١٩) شاهده: حاضره وتعني أيضاً لسانه. الدعر: الفساد. فحاضره وغائبه أي علانيته وسره لؤم وفساد.

(٢٠) العر: الجرب. وهنا يشير إلى أن عداوة زفر وقومه لبني أمية كمرض الجرب يحتفي حيناً ثم يظهر وهو يعرض أيضاً بقول لزفر قاله من قبل وهو:

وقد ينبت المرعى على دمن الشرى وتبقى حزازات الصدور كما هيّا
ومعناها الأيام تمر، وقد تحدث مصالحات، ولكن حزازات القلوب أي بغضاءها تظل كما هي.

(٢١) في هذا البيت يقول للخليفة بأن بني تغلب حلفاء له، وأن لهم فضلاً عنده ومآثره كثيرة.

(٢٢) ابن الحباب: سيد من قيس عيلان قتله بنو تغلب انتصاراً لأمية. الخيشوم: أقصى الأنف. من هذه المآثر قتل ابن الحباب وحمل رأسه إليك في عوطة دمشق على رأس رمح.

(٢٣) تعاوره: تداول نهشه. العقبان والسبر: طيور جارحة. وقتلنا الحارث بن أبي عوف وتركنا جثته طعمة للطيور الجوارح.

- (٢٤) رقصاً مسرعين . بايعوك : أقروا بولايتك وحكمك . كما جعلنا قيس عيلان تسرع إليك وتخضع لك وتبايعك .
- (٢٥) لالماً دعوة يقال عند تمني الشر زنسان ، ومعناها : لا أعانه الله . عثروا : سقطوا على الأرض .
- (٢٦) عضت غواربهم : كناية عن أنها أزعجتهم ، ومعناها الأصلي : عقرت أكتافهم . وتقال للإبل ولكل دابة : أزعجتهم الحرب عندما عضت أكتافهم فناءوا بها وانهزموا ، وهذا شأنهم دائماً .
- (٢٧) الدواهي : المصائب : وأنزلنا ببني كلاب مصيبة عظيمة يحسب لها كل حساب .
- (٢٨) كليب بن يربوع : قوم جرير . التفارط : التزاحم ، وقوم جرير خاملون لا شأن لهم عند تفاخر القبائل .
- (٢٩) أنابت إليهم : اتجهت نحوهم . المخزية : الأمر المعيب . أي أن كل عيب اتجه نحوهم ، وكل فاحشة سبت بها مضر الحمراء إنما سببها بنو كليب بن يربوع .

الفرزدق

هذا الذي تعرفُ البطحاءَ وطأتهُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كلُّهمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ، إن كنتَ جاهلَه
وليس قولك: من هذا؟ بضائره



كلتا يديه غياثٌ عمٌ نفعُهما
سهلُ الخليقةِ، لا تُخشى بوادِرةُ
حَمَالُ أثقالِ أقوامٍ إذا افتدَحوا،
ما قال: لا، قَطُّ إلَّا في تشهُدِهِ
عمُّ البريةِ بالإحسان، فأنقشِعتْ
إذا رآتهُ قريشٌ قال قائلُها
يُغضي حياءً، ويُغضي من مهابتِه،
يَكادُ يُمسيكُه، عرفانٌ راحتهِ،



الله شرفه قدماً، وعظَّمه،
أيُّ الخلائق ليست في رقابهم
من يَشْكُرُ اللهَ، يَشْكُرُ أوليَّةَ ذا
يُنمي إلى ذروة الدين التي قَصُرَتْ
مَنْ جَدُّه دَانَ فَضْلُ الأنبياءِ له
مُشتَقَّةٌ من رسولِ اللهِ نَبَعَتْهُ

جَرى بذاك له في لوحِ القَلَمِ^(١١)
لأوليَّةِ هذا، أولُّه، نَعَمُ
فالدينُ من بيت هذا، نالَه الأُممُ
عنها الأكفُ، وعن إدراكها القَدَمُ^(١٢)
وفضلُ أُمِّيهِ، دانت له الأُممُ
طابت مغارِسُه والخِيَمُ والشَّيَمُ^(١٣)

يَنْشَقُّ ثَوْبُ الدُّجَى عَنْ نَوْرِ غُرَّتِهِ
مِنْ مَغْشَرِ جِبِّهِمْ دِينَ، وَيُغْضُّهُمْ
مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
إِنْ عُدَّ أَهْلُ الثُّقَى كَانُوا أَيْمَنَهُمْ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بَعْدَ غَايَتِهِمْ،
هُمْ الْغِيُوثُ، إِذَا مَا أَزْمَةُ أَزْمَتْ،
لَا يُنْقِصُ الْعُسْرُ بَسْطاً مِنْ أَكْفِهِمْ
يُسْتَدْفَعُ الشَّرُّ وَالْبَلَاةُ بِحَبِّهِمْ

كالشمس تنجأ عن إشراقها الظلم
كفر، وقريتهم منجى ومغتصم^(١٤)
في كل بدء، ومختوم به الكلم^(١٥)
أو قيل: من خير أهل الأرض؟ قيل هم
ولا يُدانيهم قوم، وإن كرموا
والأسد، أسد الشرى، والبأس محتدم
سيان ذلك، إن أئروا وإن عديموا
ويسترب به الإحسان والتنعيم

هوامش

- (١) البطحاء: أرض منبسطة ومسيل واسع في وسطها مكة. الرطاة: موضع القدم. البيت: الكعبة. الحل: ما جاوزه الحرم من الأرض. والحرم: ما لا يحل انتهاكه، ويراد به مكة وما جاورها من أرض. يقول: إن الممدوح يعرفه أهل الدنيا قاطبة.
- (٢) فاطمة: بنت الرسول وزوج الإمام علي جد زين العابدين، أي أنه ابن بنت محمد خاتم النبيين.
- (٣) ضائره: مضر به أي محط من قدره.
- (٤) غياث: غوث وعون ومطر. استوكف: استقطر الماء واستدعى جريانه. عراه: ألم به. العدم: الفقر وفقدان الشيء.
- (٥) الخليفة: الطبع. البادرة: الحدة، أو ما يبدو من الإنسان عند غضبه. الشيم: الأخلاف. يقول: هو حليم لا يخشى غضبه.
- (٦) افتدح وفدح: أثقل. الشمائل: الطباع، الخصال. أي أنه يساعد من تحل بهم المصائب ويجد لذة في الإجابة بنعم على كل طلب معونة.
- (٧) التشهد: قول المسلم: أشهد أن لا إله إلا الله.
- (٨) انقضت: انجلت. الغياهب: الظلمات. الإملاق: الفقر.
- (٩) يغضي: يخفض الطرف. أي أنه يغض طرة حياة، لكن الناس لعظم هيبتة لا يرفعون إليه أبصارهم إلا إذا ابتسم لهم إيناساً.
- (١٠) الراحة: الكف. الركن: الجانب الأقوى. الحطيم: ما بين ركن الكعبة والباب، وقيل جدار الكعبة، يستلم: يلمس للتبرك. أي أن حجر الكعبة نفسه يعرف كف زين العابدين فيكاد يمسكه أي يحبسه عنده شغفاً به.
- (١١) اللوح: الكتاب الذي يسطر فيه القضاء والقدر لكل إنسان، أي أنه كتب له التعظيم منذ القدم.
- (١٢) ينمي: ينسب. وقد ورد الشطر الثاني في بعض الروايات: عن نيلها عرب الإسلام والعجم.
- (١٣) نبعته: شجرته، أي أصله الكريم. الخيم: السجية والطبيعة. يقول إن شجرته من أصل شجرة النبي وقد طالبت مغارسه وطابت سجاياء وأخلاقه.
- (١٤) معشر: قوم. معتصم: ملجأ.
- (١٥) أي إن المسلم بعد أن يذكر الله في بدء الكلام وختامه يصلي ويسلم على النبي محمد وآله. فلذلك قال: ذكرهم بعد ذلك الله.

جميل بن معمر

فرح الوشاة

لقد فرَحَ الوَاشُونَ أَنْ صَرَمْتَ حَبْلِي
يَقُولُونَ: مَهْلًا يَا جَمِيلُ، وَإِنِّي
أَجْلَمًا؟ فَقَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ أَوَانُهُ
لَقَدْ أَنْكَحُوا جَهْلًا نُبَيْهَا ظَمِينَةً
إِذَا مَا تَرَا جَعْنَا الَّذِي كَانَ بَيْتِنَا،
وَلَوْ تَرَكْتَ عَقْلِي مَعِي مَا طَلَبْتُهَا،
أَرَانِي لَا أَلْقَى بُثَيْنَةَ مَرَّةً،
خَلِيلِي، فِيمَا عِشْتُمَا، هَلْ رَأَيْتُمَا
كِلَانَا بَكَى، أَوْ كَادَ يَبْكِي صَبَابَةً
فَإِنْ وَجِدْتَ نَغْلًا بِأَرْضٍ مُضِلَّةً

بُثَيْنَةٌ أَوْ أَبَدْتَ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ^(١)
لَأُقْسِمُ مَا لِي عَنْ بُثَيْنَةَ مِنْ مَهْلٍ
أَمْ أَخْشَى؟ فَقَبْلَ الْيَوْمِ أَوْعِدْتَ بِالْقَتْلِ
لَطِيفَةَ طَيِّ الْكَشْحِ، ذَاتِ شَوَى خَدَلٍ^(٢)
جَرَى الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي بِثِيْنَةٍ بِالْكُخْلِ
وَلَكِنْ طَلَابِيهَا لَمَّا فَاتَ مِنْ عَقْلِي^(٣)
مِنَ الدُّهْرِ، إِلَّا خَائِفًا، أَوْ عَلَى رَحْلِ
قَتِيلًا بَكَى، مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ، قَبْلِي
إِلَى الْفِيهِ، وَاسْتَفْجَلْتَ عِبْرَةً قَبْلِي
مِنَ الْأَرْضِ، يَوْمًا فَاغْلَمِي أَنَّهَا نَغْلِي



ريعان الشباب

أَلَا لَيْتَ رِيْعَانَ الشَّبَابِ جَدِيدُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً
وَقَدْ تَلْتَقِي الْأَشْتَاتُ بَعْدَ تَفَرُّقٍ

ودهرًا تَوَلَّى، يَا بُثَيْنَ، يَغُودُ
بِوَادِي الْقُرَى؟ إِنِّي إِذَا لَسَعِيدُ
وَقَدْ تُدْرِكُ الْحَاجَاتُ وَهِيَ بَعِيدُ



(١) صرمت حبلي: قطعت مودتي .

(٢) نبه: زوج بثينة - ظمينة: امرأة، كناية عن بثينة - الشوى: الأطراف - الخدل: الممثلة .

(٣) طلابيها: طلبها إياها .

عمر بن أبي ربيعة

وهل يخفى القمر

- هَيَّجَ الْقَلْبَ مَغَانٍ وَصَيْرَ
وَرِيَاخَ الصَّيْفِ قَدْ أَزْرَتْ بِهَا،
ظَلْتُ فِيهَا، ذَاتَ يَوْمٍ، واقفًا
لِلَّتِي قَالَتْ لِأَثْرَابٍ لَهَا
إِذْ تَمَشُّنَ بِجَوْ مُوْنِقٍ،
بِدِمَائِ سَهْلَةٍ، زَيْنَهَا
فَعَرَفَنَ الشُّوقَ فِي مُقْلَتِهَا
قَلْنِ، يَسْتَرْضِيئُهَا: مُنِيئُنَا
بَيْنَمَا يَذْكُرُنِي أَبْصَرْتَنِي
قَالَتْ الْكُبْرَى: أَتَعْرِفَنَ الْفَتَى؟
قَالَتْ الصُّغْرَى، وَقَدْ تَيَّمَّتُهَا
ذَا حَبِيبٍ لَمْ يُعَرِّجْ دُونَنَا،
فَأَتَانَا حِينَ أَلْقَى بَرْكَهُ
وَرَضَابُ الْمُسْكَ مِنْ أَثْوَابِهِ
قَدْ أَتَانَا مَا تَمْنِيْنَا، وَقَدْ
- دراسات قد علاهِنَّ الشَّجَرُ^(١)
تَنْسِجُ الثَّرَبَ فُنُونًا، وَالْمَطَرُ^(٢)
أَسْأَلَ الْمَنْزَلَ: هَلْ فِيهِ خَبِرٌ؟^(٣)
قُطِفَ، فِيهِنَّ أَنْسٌ وَخَفَرُ^(٤)
نَيْرِ النَّبْتِ، تَغْشَاهُ الزَّهَرُ^(٥)
يَوْمٌ غَنِيمٌ لَمْ يَخَالِطُهُ قَتَرُ^(٦)
وَحَبَابُ الشُّوقِ يُبْذِيهِ النَّظَرُ^(٧)
لَوْ أَتَانَا الْيَوْمَ، فِي سَرٍّ، عَمْرُ
دُونَ قَيْدِ الْمَيْلِ، يَعْدُو بِي الْأَغْرُ^(٨)
قَالَتْ الْوَسْطَى: نَعَمْ هَذَا عَمْرُ
قَدْ عَرَفْنَاهُ، وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ؟
سَاقَهُ الْحَيْنُ إِلَيْنَا، وَالْقَدَرُ^(٩)
جَمَلُ اللَّيْلِ عَلَيْهِ، وَاسْبَطُرُ^(١٠)
مَزْمَرُ الْمَاءِ عَلَيْهِ، فَتَنْصُرُ^(١١)
غُيَّبَ الْإِبْرَامِ عَنَّا، وَالْكَدَرُ^(١٢)

هوامش

- (١) مغان: منازل - صير، جمع صيرة: حظيرة للماشية.
- (٢) أزرت بها: عبثت بها - والمطر: أي أن المطر كذلك ينسج الترب فنوناً.
- (٣) ظلت: ظللت.
- (٤) أتراب: رفيقات، اللواتي هن من عمر واحد - قطف: رشقات الخطى - خفر: حياء.
- (٥) جو مونق: جو جميل.
- (٦) دماث: أرض سهلة ليّنة - قتر: غبار.
- (٧) حباب الشوق: علاماته.
- (٨) الأغر: الجواد الذي في جبينه بياض.
- (٩) أي أن هذا الحبيب لم يكن يقصدنا، إنما الظروف ساقته إلينا.
- (١٠) البرك: صدر البعير، والمعنى: حين امتدت ظلمة الليل - اسبطر: انتشر.
- (١١) مرمر الماء: نثر الماء.
- (١٢) الإبرام: الضجر - الكدر: ما يحزن وينغص.

الفصل الثالث

المحضر الحباشي

شعراء العصر العباسي

١ - بشار بن برد

هو بشار بن برد بن يرجوخ، فارسي الأصل، وينتمي بولائه إلى بني عقيل، وهي قبيلة من بني عامر، وعامر من قيس عيلان. قال ابن خلكان: «ذكر له أبو الفرج الأصفهاني ستة وعشرين جداً أسماؤهم أعجمية، فأضربت عن ذكرها لطولها واستعجامها، وربما يقع فيها التصحيف والتحريف، فإنه لم يضبط شيئاً منها، فلا حاجة إلى الإطالة فيها بلا فائدة».

وينتهي نسبه عند أحد ملوك الفرس القدماء هو يُستاسب بن لهراسف الذي ذكره الطبري في تاريخه. ولد بشار سنة ٩٦هـ أي ٧١٤م.

كان بشار بن برد شديد الافتخار بنسبه فيقول:

رب زي تاج كريم الجد كآل كسرى أو كآل برد

لكنه على الرغم من افتخاره هذا، لم يكن يجهل حقيقة وضعه. لقد كان يدرك أن جده من سبي طخارستان، سباه المهلب بن أبي صفرة الذي تولى خراسان من قبل الحجاج، وأن أباه برد نشأ على الرق في البصرة عند «خيرة» القريشية امرأة المهلب، فوهبته لامرأة من بني عقيل بعد أن زوجته، وأعتقته في ما بعد فانتسب إلى بني عقيل بالولاء. وولد بشار مكفوفاً، ولم يبصر النور في كنف والد فقير يحترف الطيانة. هكذا نشأ بشار مظلم النظر وطيب العرق ومهين المنبت. تجول في خاطره ذكريات الأجداد والماضي، وما كانوا عليه من مجد، فتطير نفسه إليهم لتعيش معهم وتشاطرهم ولو لبرهة من الوقت عز القصور ومتعة

الملك. ثم لا تلبث أن تهبط من سماء الخيال إلى دنيا الحقيقة، فإذا به الضرير العاجز، والمولى المستهان، وابن برد الطيان.

وبسبب عماء، كني بشار أبا معاذ، أي المدعو له بالحفظ والعناية. كما لقب بالمرعث، أي المحلى بالرعاث وهي حلى تعلّق بالأذنين. وقال أبو العلاء المعري: «إن أم بشار تزوجت ثلاثة، فولدت منهم ثلاثة فبشار أكمه، والآخر أصم، والثالث أعرج» وسخر الكثيرون من أخويه ومن عماء، فكان يقابلهم بالكبرياء، والهجو والسخر، ويفخر بعماء، ويحمد الله عليه فلا يرى من يبغيض.

واتخذ عدد كبير من الشعراء مثل حماد عجرد وأبي هاشم الباهلي من عاهته مادة لهجائهم، وكان هو ينتهز الفرصة ليثأر من المبصرين. وجاءه مرة رجل وسأله عن منزل رجل يريده، فراح يدله وهو لا يفهم. فأخذه بيده وقاده وهو يقول:

أعمى يقود بصيراً، لا أبا لكم قد ضلّ من كانت العميان تهديه
حتى إذا وصل إلى منزل الرجل قال: هذا هو منزله يا أعمى.

واستطاع بفضل ذكائه جعل عماء مصدر نبوغه وقوة شعره فقال:

كأن مشار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا، ليل تهاوى كواكبه
ف قيل له: «ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط؟». فقال: «إن عدم النظر يقوي ذكاء القلب، ويقطع عني الانشغال بما يُنظر إليه من الأشياء، فيتوفر حسه وتزكو قريحته». وأنشد:

عميت جنيناً، والذكاء من العمى، فجئت عجيب الظن للعلم مَوئلاً
وغاض ضياء العلم للعين رافداً لقلب، إذا ما أحزن الشعر، أسهلاً

نظم بشار الشعر باكراً ومال به إلى الهجاء. وكان يقول: «هجوت جريراً فأعرض عني واستصغرني، ولو أجابني لكنت أشعر الناس». وكان وهو صغير، إذا هجا أحداً يتعرض للضرب الشديد، فقالت أمه يوماً لوالده:

«كم تضرب هذا الصبي الضرير، أما ترحمه؟»، فيجيب: «بلى والله إني لأرحمه، ولكنه يتعرض للناس فيشكونه إلي». ولما سمع بشار جواب أبيه قال: «يا أبت إن هذا الذي يشكونه مني إليك هو قول الشعر، وإني إن ألممت عليه أغنيتك وسائر أهلي، فإن شكوني إليك، قل لهم: أليس الله يقول ليس على الأعمى حرج».

وقيل إن سليمان بن هشام بن عبد الملك كان مقيماً بحران، فذهب بشار إليه ومدحه بقصيدة مطلعها:

نأتك على طول التجاور زينب وما شعرت أن النوى سوف تشعب

فأعطاه سليمان خمسين ألف درهم، فلم يرض بها وانصرف عائداً إلى العراق حيث استقدمه يزيد بن هبيرة وأجازه. وقد جاء في الأغاني: «كان في البصرة ستة من أصحاب الكلام: عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وبشار الأعمى، وصالح بن عبدالقدوس وعبدالكريم بن أبي العوجاء، ورجل من الأزد هو جرير بن حازم».

ويبدو أن بشار صادق أصحاب الكلام من شيوخ المعتزلة أمثال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد. ثم مال عنهم وقال بالرجعة، أي الإيمان بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت، فجافاه واصل وشهره في المجامع، فهجاه بشار قائلاً:

مالي أشايح غزالاً له عنق كنفنق الدوان ولى وإن مثلاً
عنق الزرافة ما بالي وبالكفم تكفرون رجالاً كفروا رجلاً

ولما انتقلت الخلافة إلى بني عباس، لم يتصل بالخليفة الأول، وعندما آلت الخلافة إلى المنصور ثار عليه العلويون بقيادة محمد وإبراهيم ابني عبدالله بن حسن بن الحسين بن علي، فتضامن معهم بشار ونظم قصيدة في هجاء المنصور ومدح إبراهيم، مطلعها.

أبا جعفر ما طول عيشي بدائم ولا سالم عما قليل بسالم

غير أن الثورة فشلت، وقتل الأخوان، فما كان من بشار إلا أن حور القصيدة وجعلها في هجاء أبي مسلم الخرساني.

وتردد إلى الخليفة المهدي ومدحه في عدة قصائد فأجازه المهدي لكنه منع عنه العطاء في ما بعد بسبب إصراره على التغزل بالنساء في شعر فاحش. فغضب بشار ورحل إلى البصرة وهجا المهدي وذكر زوجته الخيزران. وألقي القبض على بشار وهو سكران وجلد حتى الموت سنة ١٦٨هـ / ٧٨٤م بتهمة الزندقة.

كان بشار «ضخم الجثة، مجدور الوجه، جاحظ المقلتين، قد تغشاهما لحم أحمر، فكان أقبح الناس عَمى، وكان أشد الناس تبرماً بالناس».

ومن أقوال بشار في هجاء حماد عجرد الذي يتهمة فيه بالزندقة:

يا ابن نهيا، رأس علي ثقیل،	واحتمال الرأسین خطب جلیل
أدعُ غیري إلى عبادة الاثنین	فلأني بواحد مشغولُ
يا ابن نهيا برئتُ منك إلى الله	جَهَاراً، وذاك مني قليلُ

ومن أشعاره المدحية، القصيدة التي مدح فيها عمر بن هبيرة ومما جاء فيها:

وجیش کجنح اللیل یزحف بالحصا	وبالشکوک والخطی حمراً ثعالبه
عَدُوْنَا له والشمسُ فی خدرِ أمها	تُطالعنا والطلُّ لم یجرِ ذائبه
کأن مُشارَ النقع فوق رؤوسنا	وأسیافنا لیل تهاوی کواکبه
إذا الملك الجبار صغر خذّه	مشینا إلیه بالسيف نعاتبه
إذا كنت فی کل الأمور معاتباً	صديقك لم تلقَ الذی لم تعاتبه
فِعِش واحداً أوصل أخاک فإنه	مقارفُ ذنبِ مرّةٍ ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً علی القذى	ظمئتُ وأیّ الناسِ تصفو مشاربه

حال عَمى بشار دون رؤيته للجمال الأنثوي، لذلك جاء غزله حسیاً مادياً یصف فيه لوعة اللذة. وأظهر وصفه لغناء القیان أن حاسة العَمى قد عوض عنها حس مرهف وسمع دقیق وذوق رفیع. وجاء في «الأغاني»: «كانت في البصرة قينة لبعض ولد سليمان بن علي وكانت محسنة بارعة

الظرف، وكان بشار صديقاً لسيدها ومداحاً له. فحضر مجلسه يوماً والجارية تغني، فسر بحضوره وسكر ونام.

«ونهض بشار، فقالت: يا أبا معاذ، أحب أن تذكر يومنا هذا في قصيدة ولا تذكر فيها اسمي ولا اسم سيدي، وتكتب بها إليه. فانصرف بشار وكتب قصيدة وجه أبياتها إليها، فبعث إليه سيدها بألفي دينار...».

وذا دل كأن البدرَ صورُثها	باتت تغني عميدَ القلبِ سكرانا
«إن العيون التي في طرفها حورُ	قتلنا ثم لم يحيينَ قتلانا»
فقلت أحسنتِ يا سؤلي ويا أملي	فاسمعيني جازاك اللُّهُ إحسانا
قالت مهلاً، فدتك النفسُ، أحسنُ من	هذا لِمَن كان صبَّ القلبِ حيرانا
يا قوم أذني لبعض الحي عاشقةُ	والأذن تعشقُ قبل القلبِ أحياناً
فقلت أحسنت أنت الشمس طالعةُ	أضرمت في القلبِ والأحشاء نيرانا...
فحركت عودها ثم انثنت طرباً	تشدو به ثم لا تخفيه كتماناً...
لو كنتُ أعلمُ أن الحبَّ يقتلني	أعددتُ لي قبل أن ألقاك أكفاناً...

٢ - أبو نواس

المعروف عنه أنه الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح، وأن جده كان مولى الجراح بن عبدالله الحكمي والي خراسان، وأن أباه كان من جند مروان بن محمد وهو من الشام وأمه جلبان وهي فارسية من الأهواز. كُني بأبي نواس لذؤابتين (الدؤابة: الضفيرة من الشعر إذا كانت غير ملوية) كانتا تنوسان على عاتقه وهو صغير. وكان نسبه غير العريق يسبب له الإحراج لذلك كان يخفيه لئلا يهجي.

ولد أبو نواس حوالي سنة ٧٥٧م في الأهواز في فارس حيث بقي إلى أن مات والده وهو في الثانية عشرة من عمره، فتوجه مع أمه إلى البصرة. وعندما شب جعلته أمه يعمل عند عطار كبار لعود البخور. غير أن نفسه كانت ميالة إلى الأدب، فراح يخالط المسجدين ومجان الأدب وأبي عمرو بن العلاء. فاكسب ثقافة واسعة وأديباً وعلماً، لكن هذا الأمر أضرب بأخلاقه، فمال إلى التهلك باكراً.

ثم اتصل بوالبة بن الحباب الأسدي الشاعر الكوفي الخليع، واختلفت الروايات حول لقائه به. فمنهم من قال إنه التقى به عند العطار، فخرج به إلى الأهواز ومن ثم إلى الكوفة. وعني ابن الحباب بتخريج أبي نواس في الشعر، وعلمه أدبه وشعره وطبعه بأخلاقه وعرفه بأصحاب المجان. وبقي أبو نواس لفترة من الزمن يعاشر مجموعة من أصحاب الخلاعة أمثال حماد عجرد ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد. واعتبر أبو نواس أن أفضل وسيلة لاتقان اللغة العربية الفصحى هي العيش في وسط العرب ومخالطتهم في حياتهم اليومية. فطلب من أستاذه أن يسمح له بالتوجه إلى البادية مع وفد بني أسد. وافق والبة على طلبه، وعاش في البادية سنة كاملة عرف خلالها حياة الخيام وخشونة العيش... أكسبت حياة البادية هذا الشاعر فصاحة ولسناً، لكنها جعلته يهجوها وأثارت غضبه على القبائل العربية.

وبعد أن غادر البادية، عاد أبو نواس إلى الكوفة حيث بقي مع أستاذه والبة، ومن ثم عاد إلى البصرة حيث تعرف إلى أبي زيد الأنصاري الذي علمه الغريب من الألفاظ، وعبد الواحد بن زياد العبدى الذي درسه الحديث، ويحيى القطان وأزهر السمان، وغيرهم من كبار محدثي البصرة.

وبعدما أصبح أبو نواس ضليعاً في رواية الشعر وفي علوم اللغة والحديث وبعلم الكلام وبالحكمة الهندية والفلسفة اليونانية، توجه إلى بغداد حيث كان هارون الرشيد يتربع على عرش الحكم. وتمكن من الاتصال به، فأعجب الرشيد بشعره، وقربه منه وأنعم عليه. غير أن هارون الرشيد، رأى أنه ليس من الحكمة أن يجعل الشاعر الخليع مختصاً بقصره، لا سيما وأنه شديد الحرص على وقار الخلافة وعلى تقاليد الدين، فتشدد مع أبي نواس. فعاد إلى معاشرة مجان بغداد أمثال داود بن رزين الواسطي، والحسين بن الضحاك، وعمرو الوراق، وعنان الجارية. وكانوا يجتمعون على ضفة نهر أو في منزل فيشربون الخمرة وينظمون الشعر. ومن ثم غادر بغداد متوجهاً إلى مصر حيث امتدح الخصيب واليها الذي أغدق عليه بالهدايا. ويقول بعض الرواة أن الخصيب أعطاه في ما بعد ثلاث جوائز تتألف كل واحدة منها من

١٠٠٠ دينار وقال له: «ارتحل فما لك مقام عندنا». فعاد أبو نواس إلى بغداد وهجا الخصيب واتهمه بالبخل.

وكان أبو نواس قد عرف الأمين لمدة من الزمن، فلما بويغ له بالخلافة قربه مدة خلافته التي دامت خمس سنوات. ولما قتل الأمين ووصل المأمون إلى الحكم، أصيب أبو نواس بالخوف وتوقف عن الشرب والمجون واللهو ومات تائباً سنة ٨١٤م ودفن في مقابر الشونيزي.

وصف ابن منظور أبي نواس، فقال: «كان حسن الوجه، رقيق اللون، حلو السمائل، ناعم الجسم، عظيم الرأس. شعره منسدل على وجهه وقفاه دائماً. وكان ألثغ بالراء يجعلها غيناً. وكان نحيفاً وفي حلقه بحة لا تفارقه».

كان أبو نواس شديد التعصب للفرس ولحضارتهم ومآثرهم. وكان يفضلهم على العرب، وقد ظهر ذلك في وضوح في هجائه للعرب أكانوا يمينين أم عدنانيين، ومن أقواله في هذا الخصوص:

ألا كل بصري يرى أنما العلى	ملهمة سحق لهن جرين
فإن تغرسوا نخلاً فإن غراسنا	ضرباً وطعن في النحور سخين
وإن أك بصرياً فإن مهاجري	دمشق، ولكن الحديث شجون
مجاور قوم ليس بيني وبينهم	أواصر إلا دعوة وظنون
إذا ما دعا بأسمي العريف أجبته	إلى دعوة مما علي تهون
لأزد عمان بالمهلب نزوة،	إذا افتخر الأقوام ثم تلين
وبكر ترى أن النبوة أنزلت	على مسمع في الرحم، وهو جنين
وقالت تميم لا نرى أن واحداً	كأحتفنا حتى الممات يكون
فما لمث قيساً بعدها في قتيبة	وفخر به، إن الفخار فنون

لكنه على الرغم من كرهه للعرب، رأى أنه من الأفضل له أن ينتمي إلى قبيلة عربية ليصحح بها نسبه. فادعى أولاً أنه من ولد عبید الله بن زياد بن ظبيان، من بكر بن وائل، فقليل له: «إن الرجل الذي تدعي إليه لا عقب له، لأنه فُلج ومات ولا ولد له. فلو قلت من ولد أبان بن زياد أخي عبید

الله لقبنا معك». فادعى أنه تميمي وتعصب للنزارية وهجا اليمانية. ومن ثم ترك النزارية وانتسب إلى اليمانية، وعلى الرغم من ذلك ظل يميل إلى الشعبية الفارسية.

ترك أبو نواس ديواناً ضخماً نجد فيه أخباره مع القيان فضلاً عن قصائد المدح والهجاء والرثاء والعتاب والخمر والمجون والغزل. وقال أبو عبيدة: «أبو نواس في المحدثين مثل امرئ القيس في المتقدمين، فتح لهم هذه الفطن، ودلهم على المعاني، وأرشدهم إلى طريق الأدب والتصرف في فنونه» وقال أبو حاتم السجستاني: «كانت المعاني مدفونة حتى أثارها أبو نواس».

٣ - أبو العتاهية

هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء، كنيته أبو إسحاق، وغلبت عليه كنية أخرى فدعي أبو العتاهية. ولد سنة ٧٤٧م ونشأ في الكوفة من أم مولاة لبني زهرة ووالد يعمل كحجام. عمل أول الأمر مع أخيه في صناعة الجرار. ومنهم من قال إن أخاه فقط كان يعمل في صنع الجرار، ولما سئل عن ذلك قال: أنا جرار القوافي وأخي جرار التجارة.

إتصل بالمهدي وأخذ منه جوائز كثيرة. وبعد وصول ابنه موسى الهادي إلى الحكم مدحه في قصيدة، فرضي عنه وأغدق عليه بالمال. وفي عهد هارون الرشيد، أصبح أبو العتاهية من أقرب المقربين إلى الخليفة، فحصل منه على الكثير من المال، وروى مخارق المغني: «لما تنسك أبو العتاهية ولبس الصوف أمره الرشيد أن يقول شعراً في الغزل، فامتنع، فضربه الرشيد ستين عصاً، وحلف ألا يخرج من حبسه حتى يقول شعراً في الغزل. فلما رفعت المقارع عنه قال أبو العتاهية: كل مملوك حر والمرأة طالق إن كان الكلام سنة إلا بالقرآن أو بلا إله إلا الله محمد رسول الله. فتحزن الرشيد وأمر أن يحبس في دار ويوسع عليه، ولا يمنع من دخول من يريد إليه. قال مخارق: كانت الحال بينه وبين إبراهيم الموصلي لطيفة، فكان يبعثني إليه أتعرف خبره. فإذا دخلت وجدت بين يديه ظهراً ودواة، فيكتب إلي ما يريد وأكلمه، فمكثت هكذا سنة.

«واتفق أن إبراهيم الموصلي صنع صوتاً، وقال لي: اذهب إلى أبي العتاهية حتى تغنيه هذا الصوت. فأتيته في اليوم الذي انقضت فيه يمينة، فغنيتها إياه. فكتب إلي بعد أن غنيتها: هذا اليوم تنقضي فيه يميني، فأحب أن تقيم عندي إلى الليل. فأقمت عنده نهاري كله، حتى إذا أذن الناس المغرب، كلمني فقال: يا مخارق، قل لصاحبك أما والله لقر أبقيت للناس فتنة إلى يوم القيامة، فانظر أين أنت من الله غداً. قال مخارق: فكنت أول من أفطر على كلامه، فقلت: دعني من هذا، هل قلت شيئاً للتخلص من هذا الموضوع؟ فقال: نعم قد قلت في امرأتي شعراً، قلت: هاته، فأنشدني:

من لقلب متيسم مشتاق شقّه شوقه وطول الفراق

فكتبتها وصرت إلى إبراهيم، فصنع فيها لحناً، ودخل بها على الرشيد، فكان أول صوت غناه، إياه في ذلك المجلس. وسأله لمن الشعر والغناء، فقال إبراهيم: أما الغناء فلي، وأما الشعر فلا سيرك أبي العتاهية. فقال: أوقد فعل؟ قال: نعم، فدعا به وقال للخادم: كم ضربنا أبا العتاهية؟ قال: ستين عصا. فأمر له بستين ألف درهم، وخلع عليه وأطلقه».

وبعد موت هارون الرشيد مدح أبو العتاهية ابنه محمد الأمين، وبعد مقتل الأمين طلبت زبيدة أم الأمين أن ينظم لها أبو العتاهية شعراً في المأمون، فنظم شعراً على لسانها، وأمرت له بعشرين ألف درهم. وتوفي أبو العتاهية في بغداد سنة ٨٢٥م.

يقال عن أبي العتاهية أنه كان ضعيف البنية، ودقيق العظم وقليل اللحم وأبيض اللون وحسن الهيئة. وكان مولعاً بالنساء، واشتهر بحب عتبة جارية زوجة المهدي، فلما صدته ورفضت أن تتزوجه ارتدى الصوف وتزهد وودع اللهو والشرب، غير أن الناس اتهموه بالزندقة.

كان أبو العتاهية يقول: «لو شئت أن أجعل كلامي كله شعراً لفعلت»، وهذا دليل واضح على قدرته الفائقة في الشعر. وهجا عدداً من الشعراء منهم والبة بن الحباب الأسدي وسلم الخاسر وعبدالله بن معن بن زائدة الشيباني الذي قال فيه:

لقد بلغت ما قالوا فما باليت ما قالوا
ولو كان من الأسد لما صال ولا جالا
فصغ ما كنت حللت به سيفك خلخالا
ما تصنع بالسيف إذا لم تك فتالا
أرى قومك أبطالا وقد أصبحت بطالا

وتناول أبو العتاهية الغزل أيضاً في شعره، لكن الكثيرين اعتبروه ضعيفاً إجمالاً. وجاء في الأغاني: «قال مسلم بن الوليد: كنت مستخفاً بشعر أبي العتاهية، فلقيني يوماً وسألني أن أصير إليه، فجاءني بلون واحد فأكلنا، وأحضر لي ثمرأ فأكلنا، وجلسنا نتحدث، وأنشدته أشعاراً في الغزل، وسألته أن ينشدني، فقال:

بالله يا قرة العينين زوريني قبل الممات، وإلا فاستزيريني
ثم أنشدني:

رأيت الهوى جمر الغضا، غير أنه على حره في صدر صاحبه حلو
ثم أنشدني:

يصاب فؤادي حين أرمى، ورميتي تعود إلى نحري، ويسلم من أرمي
فقلت: لا والله، يا أبا إسحاق، ما يبالي من أحسن أن يقول مثل هذا الشعر ما فاته من الدنيا».

وأكثر ما اشتهر به أبو العتاهية، شعره الزهدي الذي وصلنا منه اليوم حوالي ٥٠ بيتاً. وهو يركز على الوعظ ودعوة الناس إلى الابتعاد عن ملذات الدنيا والتوبة والعمل الصالح. وعالج أيضاً القضايا الاجتماعية داعياً إلى إصلاح الأخلاق وحسن المعاشرة. ومن أقواله في المال:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتماعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل
وقال الأصمعي عنه: «شعر أبي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجواهر والذهب والتراب والخزف والنوى».

٤ - أبو تمام

هو حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام. ولد سنة ٧٨٨م في قرية جاسم من إقليم حوران في جنوب سوريا. كان أبوه مسيحياً اسمه تدوس العطار، ولما أسلم أبو تمام حول اسم أبيه إلى أوس. وأورد ابن خلكان أن حبيب نشأ في دمشق وعمل عند أحد الحاكة، ثم سافر إلى فسطاط مصر حيث راح يتردد على مسجدها الجامع حيث عمل كساقٍ للماء، واستمع إلى كل المباحثات العلمية والأدبية واللغوية التي كانت تجري فيه.

بدأ حياته الشعرية التكبسية في مصر حيث مدح عياش بن لهيعة الحضرمي، ومن ثم هجاه لأنه لم يعطه ما أراده وبقي في مصر لمدة خمس سنوات، ومن ثم عاد إلى الشام ومن بعدها إلى حمص حيث التقى بالبحثري وأعجب به وقلده في بعض شعره. وبعد أن سمع بعودة المأمون ظافراً إلى العراق، توجه إليه ومدحه، لكنه لم يحفل به. فانصرف الشاعر عن البلاط حتى وصول المعتصم إلى الحكم، فامتدحه بعدة قصائد وأشهرها البائية.

ومن ثم اتصل بالوائق ومدحه في قصيدتين، كما مدح كبار القوم كآل سهل، وآل وهب، وآل طاهر. وكان أبو تمام يقوم برحلات طويلة، حبس أثناء واحدة منها في همذان حيث أقام في ضيافة أبي الوفاء بن سلمة. وانتقل بعد ذلك إلى الموصل حيث توفي سنة ٨٤٦م، في أواخر خلافة الواثق.

كان أبو تمام مديد القامة، أسمر اللون، وكان يحرص على أن يبدو بمظهر الأعراب العريقين، وقد عابه النقاد أمثال الأمدي والجرجاني والعسكري على ذلك. وكان شديد الاعتداد والزهو بالنفس، ومسرفاً في الإنفاق وفي طلب اللذة. لقد مال إلى اللهو والغناء وشرب الخمرة، لكنه لم يجاهر بالفحش في أقواله وشعره. ومن أبرز ما تميز به أبو تمام ذاكرته القوية، ونقل عنه قوله: «لم أنظم الشعر حتى حفظت سبعة عشرة ديواناً للنساء خاصة دون الرجال».

امتاز شعر أبو تمام بالجزالة وقوة السبك وحسن الإخراج والتأنق في البيان والبديع والشغف بالإغراب لفظاً ومعنى، مما قسم النقاد إلى فريقين:

فريق يزري به ويشهر غرائب وأخطائه، وفريق يرى فيه مثال الشاعر العبقري، فيدافع عنه ويبين محاسنه. ونقل صاحب الأغاني خبراً عن محمد بن جابر الأزدي، وكان يتعصب لأبي تمام، قال: «أنشدت دعبل بن علي شعراً لأبي تمام ولم أعلمه أنه له، ثم قلت له: كيف تراه؟ قال: أحسن من عافية بعد يأس، فقلت: إنه لأبي تمام، فقال: لعله سرقه».

ونجد في شعر أبي تمام الكثير من الإشارات التاريخية لعلاقات الأمراء مع بعضهم البعض، وخلافاتهم....

وافتخر بعروبه المستحدثة، وبقبيلته، وبشعره الذي كان يتظاهر البعض بعدم فهمه، فيرد عليهم فازدراء، كما جرى له في مجلس عبدالله بن طاهر في خراسان حيث قال:

أهّن عوادي يوسف وصاحبه فعزماً، فقد ما أدرك السؤل طالبه
فقال له أحدهم: «لم لا تقول ما يفهم؟» فأجابه: «ولم لا تفهم ما يقال؟».

٥ - البحتري

هو الوليد بن عبيد، لقب بالبحتري نسبة إلى جده بحتري من قبيلة طيء. ولد سنة ٨٢١م في بلدة منبج من أعمال حلب حيث نشأ وترعرع وتلقى دروسه الأولى. بدأ بالوصف وهو حديث السن، ثم وقع في غرام زرقية الحلبية فمدحها. ومن حلب انتقل إلى حمص حيث لقي أبا تمام وتلمذ على يده في الشعر. وتوجه في ما بعد إلى بغداد حيث امتدح الوراق ووزيره ابن الزيات والحسن بن وهب. ولم يقيم في العراق إلا بعد أن بويع للمتوكل بن المعتصم فمدحه هو ووزيره الفتح بن خاقان حتى قتلا معاً على مرأى من ناظريه. فآب إلى منبج ومدح المعتز، وظل يتنقل بين العراق والشام حتى حوالي سنة ٨٩٢. وأثناء ولاية المعتضد سكن في منبج وبقي فيها حتى وفاته.

وقال صاحب الأغاني عنه: «كان البحتري من أوسخ خلق الله ثوباً

وآلة، وأبخلهم على كل شيء. وكان له أخ و غلام معه في داره فكان يقتلها جوعاً، فإذا بلغ منهما الجوع أتياه يكيان، فيرمي إليهما بثمرن أقواتهما مضيقاً مقترأ ويقول: كلا! أجاج الله أكبادكما، وأطال جهادكما!.

ويتميز شعر البحتري الذي جمع القديم والحديث بوضوح الصور واتساق التأليف، وموسيقى التعبير، وسلامة الديباجة ودقة الصياغة. لذلك شبه النقاد شعره بسلاسل الذهب بسبب تماسكه وانسجامه، مما دفع ابن رشيق إلى القول: «إنه شيخ الصناعة الشعرية».

وقال ابن الأثير: «وأما أبو عبادة البحتري فإنه أحسن في سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعر فغنى. ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الإطلاق... أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء، في اللفظ المصدغ من سلاسة الماء». أما شوقي ضيف فقال عنه: «هو يحافظ على التراث الفني في مادته وصورته ولا ينزع به منزع ثقافي إلى العدول عن الطريق المألوف... فهو يحافظ على أساليب الشعر الموروثة، وهو شاعر بدوي لا يستطيع أن ينهض بما ينهض به أبو تمام من التعبير عن الرقي العقلي الذي صادف العقل الحضري».

٦ - ابن الرومي

هو ابن الحسن علي بن العباس بن جريج، رومي الأصل من ناحية أبيه، فارسي من ناحية أمه، ولد في بغداد سنة ٨٦٣م حيث أمضى حياته، وكان شديد الخوف من السفر عامة. تعلم ابن الرومي اللغة والأدب والعلوم وأعجب بالأخطل، لكنه لم يقلده، ومال إلى المعتزلة في مبادئه وتصرفاته.

اتصل ببني العباس وبعبدالله بن عيسى بن جعفر بن المنصور، لكنه لم يتصل بالخلفاء العباسيين، على الرغم من أنه مدح بعضهم كالمستعين والمعتضد. وأدت قلة عطائهم إلى تحول مدحه إلى عتاب ومن ثم إلى هجاء.

لم ينل ابن الرومي من مدحه على ما كان يتوقعه، فأصيب بضيق بخلقه

واضطراب في أعصابه وخلل في مقاييسه العقلية وراح يميل إلى التشاؤم والتطير. وأصيب بالشيب ومن ثم بالصلع واصفر وجهه وضعف سمعه وبصره وتقوس ظهره. وقد قال في وصف نفسه:

* سلبت سواد العارضين، وقبله بياضهما المحمود، إذ أنا أمرد

* وأضحت قناة الظهر قوس متنها

وقد كان معدولاً، وإن عشت فخفا

وأحدث نقصان القوى بين ناظري

وسمعي، وبين الشخص والصوت، برزخا

* أنا من خف واستدق فما يثقل أرضاً، ولا يسد فضاء

* شغفت بالخرّد الحسان وما يصلح وجهي إلا لذي ورع،

كي يعبد الله في الفلاة، ولا يشهد فيه مساجد الجمع

وكتب صاحب معاهد التنصيص عن تشاؤم ابن الرومي: «إن أصحابه كانوا يرسلون إليه من يتطير من اسمه فلا يخرج من بيته أصلاً، ويمتنع من التصرف سائر يومه. وأرسل إليه بعض أصحابه غلاماً حسن الصورة اسمه حسن، فطرق الباب عليه، فقال: من؟ قال: حسن. فتفاءل به وخرج، وإذا على باب داره حانوت خياط قد صلب عليها درفتين كهيئة اللام ألف. ورأى تحتها نوى تمر، فتطير وقال: هذا يشير بألا تمر. ورجع ولم يذهب معه. وكان الأخفش الأصغر علي بن سليمان يقرع عليه الباب إذا أصبح. فإذا قال: من القارع؟، قال: مرة بن حنظلة، ونحو ذلك من الألفاظ التي يتطير بذكرها. فيحبس نفسه في بيته، ولا يخرج يومه أجمع».

عانى ابن الرومي من حرمان من الحنان بسبب موت أمه وأخيه الأكبر وزوجته وأولاده الثلاثة. وعلى الرغم من ذلك، ظل شديد الذكاء، ومرهف الحس، ودائم التنبه لمواضع النقص عند البشر.

ظل ابن الرومي على هذا النحو حتى لاقته المنية سنة ٨٩٦م عن ٦٠ عاماً. وقد ذكر بن خلكان أنه مات مسموماً، إذ أن أبا الحسين القاسم بن

عبيد الله بن وهب، وزير المعتضد، كان يخاف هجاء الشاعر، فدعاه إلى مأثدته، ودس السم في طعامه. فلما أحس بالسم قام، فقال الوزير: إلى أين؟ فقال: إلى حيث أرسلتني. فقال له: سلم على والدي، فقال ابن الرومي: ليست طريقي إلى النار.

قال ابن رشيق في ابن الرومي: «وكان ابن الرومي ضنيناً بالمعاني حريصاً عليها، يأخذ المعنى الواحد ويولده. فلا يزال يقلبه ظهراً بطن، ويصرفه في كل وجه، حتى يميته ويعلم أنه لا مطمع فيه لأحد... وهو أولى الناس باسم شاعر». وقال ابن خلكان: «صاحب النظم العجيب، والتوليد الغريب، يغوص على المعاني النادرة، فيستخرجها من مكانها، ويبرزها في أحسن صورة ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره، ولا يبقى فيه بقية». وقال العميدي صاحب الإبانة في كلامه على المتنبي: «لا أقيسه في امتداد النفس، وعلم اللغة، والاقتدار على ضروب الكلام، وتصوير المعاني العجيبة، والتشبيهات الغريبة، والحكم البارة، والآداب الواسعة بابن الرومي».

كان شعر ابن الرومي تعبيراً صادقاً عن شخصيته، ورفيقه الدائم، وحاجة يومية كالماء والهواء، لا غنى له عنها. حتى ليصح القول أن شعر ابن الرومي هو شخصية منظومة بإخلاص وصراحة وطبيعة.

واستحدث ابن الرومي في فن الوصف التصوير الهزلي، فبالغ في رسم خطوط المصوّر البارزة ويمد حدودها على غير نسبة، مما يثير الضحك. من ذلك وصف اللحي الطويلة والأنوف البارزة، والوجوه الطويلة كوجه عمرو، والأحذب، وجاحظ العينين.

٧ - أبو الطيب المتنبي

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي، المعروف بالمتنبي. كان والده يعمل سقاء في الكوفة، في محلة كندة ويعرف باسم عبدان السقاء. وولد المتنبي في تلك المنطقة فنسب إليها سنة ٩١٥م.

وكان منذ صغره محباً للعلم والثقافة، فقرأ وحفظ كل ما وقعت عليه يده. ثم انتقل مع والده إلى الشام حيث جالس الزجاج وابن السراج والأخفش وابن دريد وأبي علي الفارسي وتعلم منهم الكثير.

ونشأ المتنبي في عصر كثرت فيه الدعوات السياسية والدينية، وشهدت الخلافة تفسخاً في رقعتها بعد إعلان عدد من الأمراء استقلالهم عن بغداد، فأراد أن يدعو هو أيضاً إلى بدعة جديدة في الدين، لارواء غليله المتعطش إلى السيادة، ومكنته من ذلك فصاحة لسانه وثقافته. فدعا إلى بيعته قوماً من الشباب، وأخذت منهم دعواه أنه علوي. وعظم أمره حتى وصلت أخباره إلى والي البلدة الذي أمر بسجنه. فاستعطفه المتنبي قائلاً:

دعوتك لما براني البلاء وأوهنَ رجلي ثقل الحديد
وقد كان مشيهمما في النعال فقد صار مشيهمما في القيود
تعجل في وجوب الحدود وحدي قبيل وجوب السجود

فأطلق الوالي سراحه، وتوجه إلى بادية السماوة حيث ادعى النبوة وجمع حوله قوماً من قبائل كلب وكناب وعبس. فما كان من الأخشيديين إلا أن اشتكوه إلى لؤلؤ أمير حمص، ففرق أتباعه وسجنه، ومن ثم حرره بعد توبته. ومن بعد هذه الحادثة راح ينظم الشعر ويمدح الأمراء.

وفي سنة ٩٤٤م كان سيف الدولة بن حمدان أميراً على حلب، وهو من محبي الشعر والنثر، فجمع في بلاطه عدداً من الشعراء، من بينهم أبو فراس الحمداني والسري الرفاء وابن خالويه النحوي. وقدم سيف الدولة إلى أنطاكية وزار أبو العشائر الحمداني والتقى في داره بالمتنبي الذي مدحه، ومن ثم ذهب معه إلى حلب. وكان أبو فراس الحمداني من ألد أعدائه وقد قال يوماً إلى سيف الدولة: «إن هذا المستشرق كثير الإدلال عليك، وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد، ويمكن أن تفرق ٢٠٠ دينار على ٢٠ شاعراً يأتون بما هو خير من شعره». وجرت في ما بعد مناظرة لغوية بين المتنبي وابن خالويه النحوي، فقام ابن خالويه وضرب وجه المتنبي بمفتاح فشجه. ولما لم يحرك سيف الدول أي ساكن، غضب المتنبي وتركه متوجهاً

إلى دمشق ومن ثم إلى مصر حيث كان يحكم كافور الأخشيدي سنة ٩٥٧م.

كان رجل يهودي يدعى ابن ملك، والياً على دمشق في ذلك الوقت فطلب من المتنبي أن يمدحه، فرفض. وتوجه إلى الرملة حيث أحسن استقباله أميرها الحسن بن طغج، ووجه كافور رسالة إلى أمير الرملة يطلب فيها من المتنبي أن يتوجه إلى مصر.

كان كافور الأخشيدي عبداً أسود اللون، مخصي، ومثقوب الشفة السفلى، وعظيم البطن، ومشقق القدمين. كان أول الأمر عبداً لأبي بكر محمد بن ملفج، فتوفي سيده عن ولد صغير، فانفرد كافور بخدمته حتى استبد بالملك دونه. وقبل المتنبي بمدحه، لأنه وعده بالحصول على ولاية يكون هو سيدها وولي أمرها. ولقد لمح المتنبي في أكثر من مرة إلى سيف الدولة في أشعاره. وفي سنة ٩٦٢م خرج خفية من مصر، ونظم قصائد في هجاء كافور الذي وعد ولم يف بوعوده.

وتوجه إلى الكوفة حيث مدح أبا الفوارس. وفي سنة ٩٦٥م أرسل عضد الدولة إلى المتنبي يستزيره، فسار إلى شيراز ومدحه وحظي عنده بما كان يأمل. ثم ودعه بقصيدة مدحية سنة ٩٦٥م وتوجه إلى بغداد.

كان برفقة المتنبي أثناء توجهه إلى بغداد ابنه محسّد وبعض غلمانة. وقبل وصوله إلى المكان المنشود هاجمه فاتك بن أبي جهل الأسدي مع رجاله. فقتل المتنبي وابنه و غلام له اسمه مفلح. كان ذلك في شهر أيلول من سنة ٩٦٥م. أما سبب هذا الهجوم فهو كما ذكر يوسف البديعي في «الصبح المنبي عن حيثية المتنبي» أن المتنبي كان قد هجا أم رجل اسمه ضبة، فأقسم خاله فاتك على أن ينتقم له.

كان المتنبي متميزاً بشهامته، وصبره، وحميته، وعفته، وبعده عن حياة اللهو والمجون وكرهه للخمرة. حتى أنه كان يشترط على ممدوحيه ألا ينشدهم إلا جالساً، وألا يقبل الأرض بين أيديهم، فيرضون رغبة في شعره. ومن غريب صفات المتنبي بخله وحرصه، وقد يكون السبب في ذلك الفقر الذي عانى منه في صغره.

أما إذا أردنا معرفة سر شهرة شعر المتنبي، فيتبين لنا أنه يكمن في قوته ومثانة أسلوبه وكثرة الأبيات الحكمية فيه، أضف إلى ذلك أن الحساد ساهموا في ذلك من دون أن يدروا. وانقسم الأدباء في ثلاثة فرق حول شعر المتنبي فمنهم من يعتقد أن لا أهمية له وأنه مسروق بجملته، وعلى رأس هذا الفريق الساحب بن عباد. وقسم آخر يفضل على سائر الشعراء، وفي طليعته أبو العلاء المعري. أما الفريق الثالث، فهو يعتقد أنه لو لم يكن المتنبي عظيماً لما قامت حوله ضجة، بدأت في حياته ولما تخدم بعد.

تناول المتنبي في شعره المدح، وكانت طريقته في ذلك بين التقليد والابتكار، إذ كان يبدأ قصيدته أحياناً بالغزل، لينتقل في ما بعد إلى المدح. وفي مرات أخرى كان يستخدم طريقة أخرى فيها الكثير من الابتكار والخلق. أما الهجاء، فلم يكن يعرف فيه للسخرية معنى، بل كان جارحاً لا ذعاً، يمس في العمق. فهو إذا هجا أظهر كل حقه للمهجو، لدرجة أنه لو أراد مدحه في ما بعد لما استطاع أن يمحو وصمات العار التي ألحقها به. ومن أشهر الذين هجاهم كافور الأخشيدي وابن كبغلغ وضبة.

وعالج المتنبي في قصائده الرثاء، لكنه كان يترفع عن المصيبة ويقابل حوادث الدهر بالصبر، فهو شاعر الأفكار والحكم، لا تتملكه الإحساسات الرقيقة، ولا تضل عقله شوارد القلب المختلفة. ومن الذين رثاهم جدته وأبي شجاع فاتك.

أما في ما يتعلق بالفخر، فهو لم ينظم قصائد مستقلة بل جاءت أبياته الفخرية موزعة في قصائده، وجعل نفسه فوق غيره من البشر وهو مصدر كل فخر وشرف:

لا بقومي شرفت، بل شرفوا بي وينفسي فخرت لا بجودودي
وبهم فخر كل من نطق الضاد وعوذ الجاني وغوث الطريد

وقسم الناس إلى فئتين، تضم الأولى الشجعان والكرام والأحرار وبعض الملوك. أما الفئة الثانية فهي تشمل اللئام والعبيد أمثال كافور وبعض الشعراء الحساد.

وقال ابن الأثير في المتنبي: «إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها وأشجع من أبطالها، وقامت أقواله مقام أفعالها، حتى تظن الفريقين قد تقابلا، والسلاحين قد تواصلًا».

٨ - أبو فراس الحمداني

هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني التغلبي، شاعر معروف وبطل بارز، وهو ينتمي إلى أسرة أمراء معروفين. ولد في العراق، وقيل في منبج، في سنة ٩٣٢م، والده هو أبو العلاء سعيد عم سيف الدولة، غير أنه قتل سنة ٩٣٥ على يد ابن أخيه ناصر الدولة بسبب المزاحمة على إمارة الموصل.

نشأ أبو فراس في بلاط سيف الدولة ابن عمه في حلب، وكبر على الفخر بجده وأبيه وأعمامه وابن عمه سيف الدولة. وما إن شب أبو فراس حتى دخل إلى صفوف الجيش ليدافع عن البلاد ضد هجمات الروم. وكان عندما ينتهي القتال يعود إلى البلاط ليدرس الشعر وينافس الأدباء، وكانت له شجارات عديدة مع المتنبي. ووثق فيه ابن عمه وولاه على إمارة منبج وهو دون العشرين من عمره. وكانت هذه الإمارة أخطر ثغر من ثغور الدولة الحمدانية وأسهل طريق ينفذ منه البيزنطيون إلى بلاد الشام، فسهر على حمايتها ودافع عنها ضد الروم، ورد عنها غارات القبائل التي ثارت على الحمدانيين.

واستمر أبو فراس على هذا النحو إلى أن وقع في الأسر في مغارة الكحل سنة ٩٥٩م، وحمل بعدها إلى خرشنة. وسرعان ما نجى من هذا الحصن، ومنهم من يقول أنه فر، ومنهم من يقول أن سيف الدولة فداه. وقال ابن خلكان: «يقال إنه ركب فرسه وركض به، فأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات، والله أعلم».

وفي سنة ٩٦٢، وقع في الأسر مرة ثانية، مع سبعين من رجاله ونقل إلى القسطنطينية حيث بقي أربع سنوات، ولم تكن تصله في تلك الفترة أخبار

ابن عمه والمشاكل التي كانت تواجهه، فراح ينظم الأشعار التي عرفت «بالروميات»، يشكو فيها من إبطاء سيف الدولة بافتدائه، ويتألم من انصرافه عنه، ويبث حنينه إلى أمه العجوز وأهله وأصدقائه وإلى منبج. وفي سنة ٩٦٦ دفع ابن عمه فديته وأطلق سراحه. ولم تمض أشهر قليلة حتى توفي سيف الدولة وكان لأبي المعالي، ابن أخت أبي فراس مولى اسمه قرغويه وكان محباً للسلطة، فنادى بسيدته ملكاً على حلب ودخل أبو فراس إلى حمص وولى نفسه عليها. غير أن قرغويه قاد جيشه ضده وقتله في سنة ٩٦٨م. ويقول ابن خلكان: «بلغني أن أبا فراس أصبح، يوم مقتله، حزيناً كثيباً، وكان قد قلق في تلك الليلة قلقاً عظيماً. فرأته ابنته امرأة أبي العشائر كذلك، فأحزنها حزناً شديداً وبكت. فقال هذه الأبيات ورجله في الركاب، وإنما قال ذلك كالذي ينعي نفسه».

أبني تي لا تجزعي	كل الأنام إلى ذهاب
نوحني علي بحسرة	من خلف سترك والحجاب
قولي، إذا كلمتني	وعيت عن رد الجواب:
زين الشباب أبو فراس	لم يمتع بالشباب

لم يكن أبو فراس يحب أن يطلق عليه اسم الشاعر، لأنه كان يقدم الفروسية والشجاعة على أية صفة أخرى وكان شديد الفخر والاعتداد بنفسه وبإبائه، على الرغم من الأسر الذي وقع فيه. وكان محباً للهو والمرح وشرب الخمر. لذلك ورد في قصائده وصف دقيق لمجالس الأنس. وتمتاز الروميات برقعة العاطفة وصدق الطبيعة.

٩ - أبو العلاء المعري

هو أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي المعري. ولد سنة ٩٧٣ في بلدة معرة النعمان وأصيب بمرض الجدري وهو في الرابعة من عمره، فأصيب بالعمى.

لقنه والده مبادئ اللغة العربية، ثم تتلمذ على يد بعض علماء بلدته،

ومن ثم اعتكف في منزله يطالع الكتب ويحفظ الشعر حتى بلغ العشرين من عمره. وبين سنتي ٩٨٨ و ٩٩٤ توجه إلى حلب حيث التقى بعلماء اللغة وتعلم عندهم الكثير وذهب إلى المكتبات والجوامع لتلقي العلوم والمعارف. وفي سنة ١٠٠١ ذهب إلى طرابلس ومر باللاذقية حيث تعلم على يد بعض الرهبان على الديانة المسيحية واليهودية.

ثم رجع إلى المعرة واستقر في منزله وسمى نفسه «رهبين المحبسين» وراح يؤلف حول اللغة والشعر والفقه. عاش المعري ناعم البال من غير ترف. وكان سريع الاستيعاب، كثير الحفظ، يكاد يجمع في جعبته مفردات العربية بكاملها، فيتين صحيحها من زائفها وأصيلها من منحولها.

توفي أبو العلاء في ٢٠ أيار ١٠٥٧م بعد أن اشتد عليه المرض، وطلب أن يكتب على قبره:

هذا ما جناه أبي علي وما جنيت على أحد

طالع أبو العلاء المعري الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى يومه، فصنف الشعراء والكتاب وأظهر نقاط ضعفهم ومواضع إجادتهم. وقد استند في ذلك على ثقافته اللغوية العميقة، وصفاته الخلقية والأدبية وتلمذ على المدرسة الشامية. فاختصر ديوان أبي تمام وشرحه وسماه «ذكرى حبيب»، وديوان البحتري وسماه «عبث الوليد»، وديوان المتنبي وسماه «معجز أحمد».

وكانت له محاولات شعرية في قصائد «سقط الزند» التي دار فيها حول الفنون الشائعة وتصرف بالمعاني المعروفة ونحت بالعبارة الموشاة بصور البديع،

يعتقد أبو العلاء أن الإنسان ضعيف الإرادة وميال إلى الشرّ وشديد الانقياد إلى هواه. وبما أن الحياة حافلة بالمغريات والفساد، يجب أن يستمع إلى عقله لتفادي شرورها وإلا تلوث بأفذارها. أما في ما يتعلق بشرب الخمرة والاستسلام للملذات الدنيوية، فلقد نبذها أبو العلاء لأن الدين يحرمها. ووقف من المرأة موقفاً قاسياً، وطلب من الرجال أن يمنعوا المرأة

من التبرج وأن يصونوها في البيت وأن يمنعوها من ارتياد المجتمعات العامة، لأنها أخطر سبل الإغواء. وكذلك رفض الزواج تفادياً للمتاعب وإشفاقاً على الذرية من شقاء الدنيا، وقال في هذا الصدد:

إذا شئت يوماً وصلة بقرينة فخير نساء العالمين عقيمها
واعبر أن الفساد العام يبدأ في الحكم وأصحابه لذلك قال:

* مل المقام فكم أعاش أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها وعدوا مصالحها وهم أجراؤها
* يسوسون الأمور بغير عقل فينفذ أمرهم ويقال ساسة
فأف من الحياة وأف مني ومن زمن رئاسته خساسة

أما في ما يتعلق بالدين والإيمان، فاعتبر أن لا قيمة للفروض الدينية إن لم تقرن بالعمل الصالح والنهي عن الشر:

* سُبْح وصلّ وطف بمكة زائراً سبعين، لا سبعاً، فلست بناسك
جهل الديانة من إذا عرضت له أطماعه، لم يلف بالمتماسك
* ما الخير صومٌ يذوب الصائمون له ولا صلاة ولا صوف على الأجساد
وإنما هو ترك الشر مطرحاً ونفضك الصدر من غل ومن حسد

وأهم المؤلفات التي تركها أبو العلاء المعري: «لزوم ما لا يلزم»، ديوان «سقط الزند»، و «رسالة الغفران» و «رسالة الملائكة»، و «رسائل أبي العلاء».

أعلام النثر العباسي

١ - ابن المقفع

هو روزبه بن داذويه، أصله من جور في بلاد فارس، وهي فيروزباد الحالية، حيث ولد سنة ٧٢٤م. كان والده يعمل للحجاج بن يوسف الذي ولاه خراج خراسان، فامتدت يده إلى أموال الجبائية، فعذبه الحجاج في البصرة حتى تقفعت يده، أي تقبضت وتشجنجت أصابعها، فعرف بالمقفع.

نشأ ابن المقفع في البصرة، ودفعه والده إلى الدراسة. فأتقن العربية على أبي جاموس ثور بن يزيد، وأبي الغول الأعرابي، حتى تفوق فيها. وأسلم روزبه في ما بعد، فعرف باسم عبدالله وكني أبا عمرو ثم أبا محمد ثم انتقل إلى كرمان واتصل بدادود بن يزيد بن عمر بن هبيرة، فكتب له، على ما جاء في «الفهرست».

وعند انهيار الدولة الأموية، تقرب من العباسيين واتصل بابناء علي أعمام السفاح والمنصور وهم عيسى واسماعيل وسليمان، وانتقل معهم إلى البصرة.

كان دين ابن المقفع الأساسي هو المجوسية الملقحة بالمزدكية والماتوية. وذكر ابن خلكان، أنه بعد قدومه إلى البصرة أسلم على يد عيسى بن علي. غير أن الكثيرين ظلوا يشكون في إسلامه، واتهموه بالزندقة. وقال الخليفة المهدي: «ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع» وكان يضم مجلسه في البصرة كبار القوم أمثال معن بن زائدة، ومسلم بن قتيبة، وعبد الحميد الكاتب...

وعندما أصبح سفيان بن معاوية المهلبى والياً على البصرة، عامله ابن المقفع بازدياء، لأنه عدو قديم له. فكان إذا دخل عليه يوماً قال: «السلام عليكما»، ويعني بذلك نفسه وأنفه الطويل.

وفي سنة ٧٥٩م، أوعز المنصور إلى سفيان بقتل ابن المقفع. ويروى أن سفيان قال له: «ليس علي في هذه المثلة بك حرج لأنك زنديق وقد أفسدت الناس»، وقتله شر قتلة.

من كتبه: الأدب الكبير، والأدب الصغير، ورسالة الصحابة، وكميلة ودمنة.

يعد ابن المقفع من أئمة البلاغة العربية، وهو صاحب «السهل الممتنع»، ولقد شرح ذلك بقوله: «البلاغة المثلى هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها. إياك والتتبع لوحشي الكلام طمعاً في نيل البلاغة، فإن ذلك هو العي الأكبر». وقال الراغب الأصبهاني: «كان ابن المقفع كثيراً ما يقف إذا كتب. فقليل له في ذلك فقال: إن الكلام يزدحم في صدري فأقف لتخيره». وقال فيه أبو عيناء: «كلامه صريح، ولسانه فصيح، وطبعه صحيح. كأن بيانه لؤلؤ مشور، وروض ممطور».

٢ - الجاحظ

هو إمام الأدباء وحجة المفكرين في العصر العباسي الثاني وهو عمرو بن بحر بن محبوب، من موالى كنانة، وكان جده أسود اللون ويعمل جمالاً لعمر بن قلع الكناني. ولد في البصرة سنة ٧٧٥م.

كان دميم الهيئة، بشع المنظر، قصير القامة، ناتئ العينين، لذلك لقب بالجاحظ. وقال على سبيل التفكهة أخباراً كثيرة عن قبح صورته منها: «ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده، فلما رأي استبشع منظري، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني». وقال أيضاً: «رأيت في سامراء، امرأة طويلة، وكنت على طعام. فاردت أن أمارحها، فقلت: انزلي كلي معنا، فقالت: اصعد أنت حتى ترى الدنيا».

جالس الجاحظ المسجدين وعاشرهم، وطلب العلم في الكتاتيب
واكترى دكاكين الوراقين ليطالع ليلاً ما يقدر عليه. فألم بثقافة واسعة وبكثير
من مجاري الحياة العقلية والأدبية.

وانتقل في ما بعد إلى بغداد وجالس الأصمعي وأبا زيد الأنصاري،
فأتقن اللغة ودرس النحو على الأخفش، وتلمذ لأبي اسحق إبراهيم بن سيار
البلخي المشهور باسم «النظام».

وبعد أن اكتملت شخصيته الأدبية بدأ بالتأليف، وأعجب الخليفة
المأمون بكتابه «الإمامة»، فاستقدمه إلى حاشيته وولاه ديوان الرسائل، لكنه
استقال منه بعد ثلاثة أيام.

في سنة ٨٣٥م اختار الخليفة المعتصم محمد بن عبد الملك المعروف
بابن الزيات وزيراً له، ثم صار وزيراً لخلفه الواثق، وكان من أصدقاء
الجاحظ، فراح يمتدحه ويكتب له الرسائل. وعندما بويع المتوكل، عين
القاضي أحمد بن أبي دؤاد، وزيراً له. فألقي القبض على ابن الزيات وقتله
تعذيباً في تنور. حاول الجاحظ الهرب، لكن رجال ابن أبي دؤاد سرعان ما
القوا عليه القبض وأدخلوه على القاضي الذي قال له: «والله ما علمتك إلا
متناسياً للنعمة، كفوراً للصنعة، معدناً للمساوىء، والأيام لا تصلح منك
لفساد طويتك ورداءة دخلتك». فأجابه الجاحظ: «خفض عليك، أيدك الله،
فوالله لأن يكون لك الأمر علي خير من أن يكون لي عليك، ولأن أسيء
أحسن في الأحداث عنك من أن أحسن مشيء، ولأن تعفو عني في حال
قدرتك أجمل بك من الانتقام مني». فقال ابن أبي دؤاد: «قبحك الله، ما
علمتك إلا كثير تزويق الكلام...». ثم جلبوا الحداد وأمروه بتعنيف ساق
الجاحظ وتطويل أمرها قليلاً، ففعل. فقال الجاحظ: «اعمل عمل شهر في
يوم، وعمل يوم في ساعة، وعمل ساعة في لحظة. فإن الضرر على ساق
وليس بجذع ولا ساجة». وقال القاضي لمحمد بن منصور: «أنا أثق بظرفه
ولا أثق بدينه. يا غلام صر به إلى الحمام، واحمل إليه تخت ثياب».

وانقطع الجاحظ إلى القاضي سنة كاملة وقدم له كتاب «البيان والتبيين» فأجازه. واتصل من بعده بابنه الوليد وبالفتح بن خاقان.

ولما تقدم به العمر، أصيب بطرف فالج، فعاد إلى البصرة حيث أمضى بقية حياته. وقال المبرد: «دخلت على الجاحظ في آخر أيامه، فقلت له: كيف أنت؟ فقال: كيف يكون من نصفه مفلوج لو نشر بالمنشير لما أحس به، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآلمه». وتوفي سنة ٨٦٨م، ويقول البعض أن مجلدات الكتب سقطت عليه وقتلته.

ومن مؤلفات الجاحظ كتاب «البيان والتبيين» وكتاب «البخلاء» و «العشق والنساء» و «طبقات المغنيين» و «الرد على الأنصاري» و «القيان» و «كتاب العثمانية» وكتاب «الحيوان»...

فلاسفة العصر العباسي

١ - الكندي

نشأ أبو يعقوب الكندي (القرن التاسع للميلاد) نشأة علمية ودرس في الكوفة حيث كان والده والياً للعباسيين، ثم تابع تعليمه في البصرة، وسافر في ما بعد إلى بغداد حيث اتصل بكبار علمائها ومنهم المأمون. وأطلع في بغداد على آراء المعتزلة وأسهم في نشاطهم الفكري، لكنه حافظ على استقلال آرائه.

وكان الكندي أول فيلسوف حاول التوفيق بين الفلسفة والدين. فنظر أولاً في مدلول الفلسفة، ثم بحث في مضمونها، وتطرق إلى الكون والجوهر والعرض، وماهية النفس ومآلها، وقوة العقل وأنواع الإدراك.

ومن أهم انجازات الكندي، أنه قلص الفرق بين الشريعة والفلسفة، إذ جعل التقريب بين التعليم الديني والمبدأ الفلسفي نقطة انطلاق لتفكيره. ثم قال إن القضايا الكلامية والفلسفية هي فروع من أصل وأجزاء من كل. وعمد الكندي إلى تبني بعض مقررات الفلسفة ومن ثم ألف منها ومما يقابلها في الشريعة مذهباً يوفق في نظره بين الفلسفة والشريعة. واعتبر أن الهدف من الفلسفة والشريعة واحد. فالفلسفة هي علم الأشياء بحقائقها، فالغاية منها إدراك الحقيقة، والشريعة تعلم الإنسان ما هو حق. غير أنه فرق ما بين الفلسفة والشريعة في ما يتعلق بالوسيلة التي تؤدي إلى إدراك هذه الحقيقة. فمصدر الحق في الشريعة هو الوحي، أما الحقيقة الفلسفية فهي وليدة الجهد الفكري، لذلك هي معرضة للخطأ. واعتقد أن الشريعة تساعد على توضيح الغامض من الفلسفة، كما تساعد تفاصيل الفلسفة على فهم غوامض الشريعة.

٢ - الفارابي

الفارابي هو أبو نصر محمد بن طرفان، ولد سنة ٨٧٠م في فاراب من بلاد الترك وراء النهر وإليها نسب. وعندما بلغ سن الشباب توجه إلى بغداد حيث درس الفلسفة عند أبي بشر متى بن يونس والمنطق على يد يوحنا بن حيلان، واللغة عند ابن السراح. وكان ضليعاً بالعلوم والفلسفة والطب والرياضيات والكيمياء والموسيقى واضطر في ما بعد إلى الانتقال إلى حلب، بعد وقوع فتنة في بغداد، والتحق ببلاط سيف الدولة واحتل مركز الصدارة في مجلس أمير حلب يناقش وينظر، ثم مال إلى التقشف والزهد والعزلة ونبذ أمور الدنيا. وقيل أنه توفي سنة ٩٥٠م.

وفق الفارابي في كتابه «الجمع بين رأيي الحكيمين» بين آراء أفلاطون وأرسطو، واعتبر أن الخلاف ظاهري وحسب وانهما على اتفاق في أصول الفلسفة ومقاصدها وأغراضها وحاول في كتابه «آراء أهل المدينة الفاضلة» التوفيق بين الحكمة والشرعية واعتبر أنه على الملك أن يكون فيلسوفاً ونبياً في الوقت نفسه.

اعتمد الفارابي في التوفيق بين الدين والفلسفة على مبدئين أساسيين هما:

١ - الأصل الواحد للفلسفة والدين وهو الله. فمرد الشريعة إلى الوحي، والوحي من عند الله، ومرد الفلسفة إلى الطبيعة، والطبيعة من صنع الله.

٢ - تلقى النبي والفيلسوف المعرفة من ينبوع العلم الإلهي: غير أن النبي يتلقاه بواسطة جبريل حامل الوحي، ويتلقاه الفيلسوف من العقل الفعال وهو أسمى العقول. والفرق بين النبي والفيلسوف هو أن النبي يتلقى الحقائق متجلية بصورها وأشكالها فتبدو له مماثلاتها الحسية كما تبدو ماثلة في عالم الأجسام، أما الفيلسوف فيستخرج الحقائق من قرائنها بالاستنتاج والاستدلال، فيأخذها مجردة عن الملابس المادية.

واعتبر الفارابي أن للمدينة الفاضلة أساسين هما التعاون والسعادة. ويكون التعاون فكرياً فيؤدي إلى تفهم الله والوجود، وعملياً يؤدي إلى ممارسة الفضيلة وعمل الخير. ورأى أن المجتمع قد ينشأ إما عن طريق القهر، أو بواسطة القربى والمصاهرة، أو بالاشتراك في الإيمان أو نتيجة لمناخ جامع وجغرافيا واحدة. والمجتمعات اما كاملة تشمل المعمورة أو الأمة، أو ناقصة تشمل القرية أو المحلة أو السكة أو المنزل.

وشبه المدينة الفاضلة بالبدن الصحيح الذي تتعاون أعضاؤه في سبيل تميم الحياة، مع اختلاف عمل كل عضو منها، وعلى رأسها القلب. والرئيس في المدينة هو بمثابة القلب في البدن. وينبغي أن يتحلى الرئيس باثنتي عشرة خصلة: سليم البدن، وجيد الفهم، وجيد التصور، وحسن العبارة، ومحِب للتعليم، وغير شره، وصادق، وغير لجوج في العدل، وقوي العزيمة، وجسور، ومؤات لكل ما يراه حسناً وجميلاً. وإذا لم تتوفر هذه الصفات في شخص واحد، فتتوزع على مجموعة حاكمة، شرط أن تكون الحكمة في شخص، فإن خلت المدينة من الفلاسفة غمرها الجهل وأصبح مصيرها الانهيار.

أما مضادات المدينة الفاضلة فهي المدينة الجاهلة والمدينة الفاسقة والمدينة المتبدلة والمدينة الضالة.

٣ - ابن سينا

هو أبو علي الحسين بن علي بن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧)، الملقب بالشيخ الرئيس. ولد في قرية «أفشنة» الفارسية، ومن ثم انتقل مع أهله إلى بخارى حيث كانت الفارسية لغة البلاط، والعربية لغة الديوان والمراسلات. درس العلوم على أنواعها من الفقه إلى الفلسفة والطب، ثم انتقل إلى خوارزم حيث بقي حوالي ١٠ سنوات، ومنها ذهب إلى جرجان فالري، ثم إلى همذان حيث بقي ٩ سنوات، ومن ثم دخل في خدمة علاء الدولة بأصفهان، وتوفي في همذان.

عالج ابن سينا قضية النفس وعرفها بقوله: «هي كمال أول لجسم طبيعي آلي»، وبها تكون الكمالات الأولية في صدور الأفعال، وهي صورة الجسد وقوته وكماله، وهي خالدة لا تفنى بفناء الجسد.

ولإثبات وجود النفس، يعطي ابن سينا عدة أدلة، نذكر منها «دليل الحس» وفيه يقول: «إنك إذا رجعت إلى أنيتك ودخيلة أمرك لا تغفل عن وجود ذاتك... حتى أن النائم في نومه، والسكران في سكره، لا يغفل عن ذاته... وإنك لو عدت إلى ذلك لوجدت أنك قد غفلت عن كل شيء، إلا عن ثبوت أنيتها». وأعطى مثل «الرجل الطائر أو المعلق في الفضاء لإثبات أن إدراك الأنا» لا يكون بواسطة الجسد بل بقوة خارجة عنه: «ويجب أن يتوهم الواحد منا أنه خلق دفعة واحدة، وخلق كاملاً، ولكنه صعب بصره على مشاهدة الخارج، وخلق في هواء أو خلاء لا يصدمه فيه الهواء صدماً يشعر به، وفرق بين أعضائه فلا تتلاقى، ولا تتماس. هذا الرجل لا يشك في إثباته لذاته موجوداً، ولا يثبت طرفاً من أعضائه، ولا باطناً من أحشائه، ولا قلباً ولا دماغاً، بل هو يثبت ذاته ولا يثبت لها طولاً ولا عرضاً ولا عمقاً». وأعطى دليل «التذكر والاستمرار» للقول ان في الإنسان قوة غير الجسد تحفظ أعماله وتجمع الشتيت الزمني، وهذه القوة التي تجمع بين الماضي والحاضر هي النفس.

واعتبر أن النفس خالدة لأنها جوهر بسيط والبسيط لا ينحل ولا يفسد. والنفس أيضاً حياة وطبيعتها منافية للموت، وليس لها استعداد للفناء ولا هي تقبل الفساد وعليه فالنفس بسيطة، حية، خالدة. وليس الجسم علة النفس ولا قوامها، فهي التي تدبر أمره وتقوده إلى الفعل والإدراك.

٤ - الغزالي

ولد أبو حامد الغزالي في قرية غزاة التابعة لمنطقة طوس من أعمال خراسان سنة ١٠٥٩م. توفي والده وهو لا يزال صغيراً، فتولى تربيته صديق لوالده، ثم انتقل إلى جرجان ومن ثم إلى نيسابور حيث اتصل بأبي المعالي الجويني إمام الحرمين، فاستكمل درس الكلام والجدل والمنطق والفلسفة.

ثم تولى التدريس في مدرسة الوزير السلجوقي نظام الملك في بغداد حيث ذاع صيته. غير أنه أصيب بمرض فشل عن علاجه الأطباء، فاضطر إلى السفر إلى البيت الحرام حيث كرس وقته للصلاة والتأمل. ثم رجع إلى نيسابور وإلى مسقط رأسه حيث توفي سنة ١١١١م. ومن أهم مؤلفاته: «مقاصد الفلاسفة» و «تهافت الفلاسفة» و «إحياء علوم الدين» و «المنقذ من الضلال» ورسالة «أيها الولد».

اتخذ الغزالي نور الإيمان نقطة الانطلاق ومبدأ المعرفة للوصول إلى العلم اليقيني، وقد قال في ذلك: «العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم». وظل يبحث عن العلم اليقيني من دون أن يجده حتى قذف الله في صدره نوراً استطاع به أن يتخلص من شكه. وتبين له أن «الكشف» وحده كفيل بأن يدرك أكثر المعارف، إنه مفتاح المعرفة، ولن يؤدي هذا المفتاح إلا من آمن بالنبوة.

واعتبر الغزالي أن الإنسان هو على صورة الله وله وجود قائم بذاته له صفاته وجوهره وأعماله. والإنسان هو صورة مصغرة للكون وانعكاس لحقيقة العالم الأكبر. والنفس بنظره هي مركز الشهوات المؤدية إلى الهلاك، وموضع الترفع والتسامي المؤدي إلى السعادة الأبدية. وهي مرآة صدئة يجب أن تصقل، ومتى صقلت انعكست فيها صورة العالم الأعلى.

نماذج من العصر العباسي

بشار بن برد

هجاء أبي جعفر المنصور

كان بشار مبعداً عن البصرة عندما ثار فيها إبراهيم عبدالله العلوي يريد الخلافة لأخيه محمد الثائر في المدينة، فأرسل الشاعر إلى إبراهيم بهذه القصيدة من الكوفة يهجو بها أبا جعفر المنصور ويحرض على قتله ويضم إلى ذلك أبياتاً يمدح بها الثائر ويشير عليه:

أبا جعفر! ما طولُ عيشِ بدائمٍ؛	ولا سالمٌ، عما قليلٍ، بسالمٍ
على المليك الجبارِ يفتحُ الردى،	وتصرُّعُه في المأزقِ المتلاحمِ ^(١)
كأنك لم تسمعْ بقتلِ متوَّجٍ	عظيمٍ، ولم تسمعْ بقتكِ الأعاجمِ
تقسَّم كسرى زهطه بسيوفهم،	وأمسى أبو العباسِ أحلامَ نائمٍ ^(٢)
وقد كان لا يخشى انقلابَ مكيذةٍ	عليه، ولا جريِ الثُحوسِ الأشائمِ ^(٣)
مقيماً على اللذاتِ، حتى بدتْ له	وجوهُ المنايا حاسراتِ العمائمِ ^(٤)
وقد تَرَدُّ الأيامُ غرّاً، وربّما	ورَدَن كُلوْحاً، بادياتِ الشكائمِ ^(٥)

-
- (١) المأزق: المضيق. المتلاحم: المتلاصق بالمتحاربين.
(٢) تقسم: قطع. زهطه: قومه. أبو العباس: كنية الوليد بن يزيد. مات مقتولاً متهماً بالكفر والمجون.
(٢) الأشائم: جمع الأشام أي الكثير الشؤم.
(٤) حاسرات العمائم: كاشفات الرؤوس. كناية عن وقوع الشر.
(٥) غرّاً: بيضاً مشرقة، من غرة الجواد. كلوحاً أي كالحة: عابسة مكشرة بادية الأسنان. الشكائم: جمع الشكيمة وهي حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس. شبه الأيام بالخيول العابسة البقادية الشكائم لتكشيرها، وهي في حالة الضيق والشدة.

وَمَرَوَانٌ قَدْ دَارَتْ عَلَى رَأْسِهِ الرَّحَى،
فَأَصْبَحَتْ تَجْرِي سَادراً فِي طَرِيقِهِمْ،
تَجَرَّدَتْ لِلْإِسْلَامِ تَعْفُو طَرِيقَهُ،
فَمَا زِلْتُ، حَتَّى اسْتَنْصَرَ الدِّينُ أَهْلَهُ
فَرُمَ وَزْراً يُنْجِيكَ يَا ابْنَ سَلَامَةٍ،
لَحَا اللَّهْ قَوْماً رَأْسُوكَ عَلَيْهِمْ،
أَقُولُ لِبَسَّامٍ، عَلَيْهِ جَلَالَةٌ،
مَنْ الْفَاطِمِيَّيْنَ الدَّعَاةَ إِلَى الْهُدَى
سِرَاجٌ لَعَيْنِ الْمُسْتَضِيءِ، وَتَارَةً
إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ، فَاسْتَعِينَ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً،
وَمَا خَيْرٌ كَفَّ أَمْسَكَ الْغُلُّ أُخْتَهَا،
إِذَا كُنْتَ فَرِداً، هَرَّكَ النَّاسُ مُقْبِلًا؛
فَأَذِنَ، عَلَى الْقُرْبَى، الْمُقَرَّبَ نَفْسَهُ،
وَحَارِبٌ، إِذَا لَمْ تُعْطَ إِلَّا ظِلَامَةٌ،
وَحُلُّ الْهُوَيْنَا لِلضَّعِيفِ، وَلَا تَكُنْ

وَكَانَ، لِمَا أَجْرَمْتَ، نَزَرَ الْجَرَائِمُ^(١)
وَلَا تَثْقِي أَشْبَاهَ تِلْكَ النَّقَائِمِ^(٢)
وَتُعْرِي مَطَاهٍ لِلْيُوثِ الضَّرَاغِمِ^(٣)
عَلَيْكَ، فَعَاذُوا بِالسِّيُوفِ الصُّوَارِمِ^(٤)
فَلَسْتَ بِنَاجٍ مِنْ مَضِيمٍ وَضَائِمِ^(٥)
وَمَا زِلْتَ مَرُوءِساً خَبِيْثَ الْمَطَاعِمِ
عَبْدَا أَرِيْحِيّاً عَاشِقاً لِلْمَكَارِمِ
جِهَاراً، وَمَنْ يَهْدِيكَ مِثْلُ ابْنِ فَاطِمٍ؟
يَكُونُ ظِلَاماً لِلْعَدُوِّ الْمُزَاجِمِ:
بِرَأْيٍ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةٍ حَازِمِ
فَإِنَّ الْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمِ
وَلِنْ كُنْتَ أَدْنَى، لَمْ تَفُزْ بِالْعَزَائِمِ
وَلَا تُشْهِدِ الشُّورَى أَمراً غَيْرَ كَاتِمِ
شَبَا الْحَرْبِ خَيْرٌ مِنْ قَبُولِ الْمَظَالِمِ
نُؤُوماً، فَإِنَّ الْحَزْمَ لَيْسَ بِنَائِمِ

- (١) مروان بن محمد: آخر خلفاء بني أمية. قتله أبو العباس السفاح في مصر. الرحى: الطاحون ويكنى بها عن شدة الحرب وحومة الموت فيها.
- (٢) سادراً: غير مبال ولا يهتم بما يصنع. النقائم: جمع النقيمة وهي الانتقام.
- (٣) تعفو: تمحو. مطاه: ظهره. الليوث: الأسود. الضراغم جمع الضرغام وهو الأسد أو صفة له. يقول: أخذت تمحو طريق الإسلام، وتجعل ظهره مركباً لأعدائه.
- (٤) فما زلت: أي فما زلت تفعل ذلك. استنصر الدين أهله: أي أن الدين دعا العلويين أهل البيت إلى نصرته. عاذوا: لاذوا واعتصموا. الصوارم: السيوف القواطع.
- (٥) الوزر: الملجأ. سلامة: أم المنصور. وقد جعل بشار موضعها يا ابن وشيكة؛ وهي أم أبي مسلم الخراساني، عندما قلب القصيدة وحولها إلى مدح المنصور وهجاء أبي مسلم. مضيم وضائم: مظلوم وظالم. أي من مظلوم قهرته أو ظالم يقهره.

فإنك لا تستطرد الهَمُّ بالمُنَى،
فما قرعَ الأقوامَ مثلُ مُشَيِّعٍ

ترك الغزل

يا مَنْظَراً حَسَناً رَأَيْتُهُ،
بَعَثْتُ إِلَيَّ تَسْوِئَتِي
وَاللَّهُ رَبُّ مُحَقِّدٍ،
أَمْسَكَتُ عَنْكَ، وَرَبِّمَا
إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ أَبَى،
وَمُخَضَّبٍ رَخِصَ الْبَنَى
قَامَ الْخَلِيفَةُ دَوْنَهُ،
وَنَهَانِي الْمَلِكُ الْهُمَا
لَا بَلَّ وَقَيْتُ فَلَمْ أُضِغْ
وَأَنَا الْمُطِيلُ عَلَى الْعِدَا،
أُصْفِي الْخَلِيلَ، إِذَا دَنَا،
وَيَشْوِقُنِي بَيْتُ الْحَبِي

لم يطل ليلى

لَمْ يَطُلْ لَيْلِي، وَلَكِنْ لَمْ أَتُمْ أَنَّمْ،
وَإِذَا قُلْتُ لَهَا: جُودِي لَنَا،
نَفْسِي يَا عَبْدَ عَتِي، وَاعْلَمِي
إِنَّ فِي بُرْدِي جِسْماً نَاجِلاً،
خَتَمَ الْحُبُّ لَهَا فِي عُنُقِي،

الأذن العاشقة

يَا قَوْمُ، أَذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ،

وَلَا تَبْلُغُ الْعَلِيَا بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ
أَرِيْبٍ، وَلَا جَلَى الْعَمَى مِثْلُ عَالِمٍ

مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ فَدَيْتُهُ
بُرْدَ الشَّبَابِ، وَقَدْ طَوَيْتُهُ
مَا إِنْ غَدَرْتُ، وَلَا نَوَيْتُهُ
عَرْضَ الْبَلَاءِ، وَمَا ابْتَغَيْتُهُ
وَإِذَا أَبَى شَيْئاً أَبَيْتُهُ
نِ بَكِّي عَلَيَّ، وَمَا بَكَيْتُهُ
فَصَبَرْتُ عَنْهُ، وَمَا قَلَيْتُهُ
مُ عَنِ النَّسِيبِ، وَمَا عَصَيْتُهُ
عَهْداً، وَلَا أَيْباً وَأَيْتُهُ
وَإِذَا غَلَا عِلْقُ، شَرَيْتُهُ
وَإِذَا نَأَى عَنِّي، نَأَيْتُهُ
بِ، إِذَا أَذْكَرْتُ، وَأَيْنَ بَيْتُهُ؟

وَنَفَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفُ أَلَمٍ
خَرَجْتُ بِالضَّمَّتِ عَنْ لَا وَنَعَمٍ
أُنِّي، يَا عَبْدَ، مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ
لَوْ تَوَكَّاتِ عَلَيْهِ، لَانْهَدَمَ
مَوْضِعَ الْخَاتَمِ، مِنْ أَهْلِ الذَّمِّ

وَالْأَذُنُ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَاناً

قالوا: بَمَنْ لَا تَرَى تَهْذِي؟ فَقُلْتُ لَهُمْ: الْأَذُنُ كَالْعَيْنِ تُوفِي الْقَلْبَ مَا كَانَا^(١)
هَلْ مِنْ دَوَاءٍ لَمْ شَغُوفٍ بِجَارِيَةٍ، يَلْقَى بَلْقِيَانَهَا رَوْحاً وَرَزِيحَانَا^(٢)؟

يا رحمة الله حلّي!

قال هذه الأبيات في جارية اسمها رحمة الله:

يا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيقاً غَيْرَ مُخْتَبِرٍ، لَوْلَا شَهَادَةُ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ
قَدْ زُرْتَنَا مَرَّةً فِي الْعَامِ وَاجِدَةً، ثَنِي، وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيْضَةَ الدِّيكِ^(٣)
يا رَحْمَةَ اللَّهِ، حُلِّي فِي مَنَازِلِنَا، حَسْبِي بِرَائِحَةِ الْفَرْدُوسِ مِنْ فِيكِ

صفة حسناء

يَا لَيْلَتِي تَزْدَادُ نُكْرًا، مِنْ حُبِّ مَنْ أَحَبَّبَتْ بِكْرًا
حَوْرَاءُ إِنْ نَظَرْتَ إِلَيْنِي، لَكَ، سَقَّتَكَ بِالْعَيْنَيْنِ خَمْرًا^(٤)
وَكَأَنَّ رَجَعَ حَدِيثُهَا، قَطَعَ الرِّيَاضِ، كُوسِينَ زَهْرًا^(٥)

غضبة مضرية

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضَبَةً مُضَرِيَّةً، هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ، أَوْ ثَمَطَرَ الدِّمَاءَ^(٦)

(١) توفي: تبليغ.

(٢) الروح: الراحة والسرور.

(٣) على اعتقاد العامة أن الديك يبيض مرة في السنة.

(٤) الحوراء: أي حوراء العينين، من الحور وهو شدة البياض والسواد في العين مع استدارة الحديقة ورقة الجفون.

(٥) يقول: إن حديثها جميل فيه ألوان متنوعة كأزهار الرياض.

(٦) حجاب الشمس: شعاعها. هتكنا: فضحنا. أو: بمعنى إلى أن أو حتى. يقول: إذا ما غضبنا غضبة شريفة عرف بها أهل مضر، سللنا سيوفنا للقتال ففضحنا بلمعانها لمعان أشعة الشمس لأنها أشد بريقاً من الشمس. وتظل الشمس مفضوحة في نورها إلى أن تمطر دماء أعدائنا، فتكتسي بها سيوفنا، فيذهب لمعانها. وفي هذا البيت إيجاز حذف لا يظهر فيه المعنى إلا بشرح مسهب.

خَلَقْنَا سَمَاءَ فَوْقَنَا بِئُجُومِهَا سُيُوفًا، وَنَقَعًا يَقْبِضُ الطَّرْفَ، أَقْتَمًا^(١)
وَأَنَا لَقَوْمٌ مَا تَزَالُ جِيَاذُنَا تُسَاوِرُ مَلَكًا، أَوْ تُنَاصِبُ مَقْنَمًا^(٢)
إِذَا مَا أَعْرَنَّا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذُرَى مِنْبَرٍ، صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمًا^(٣)

آراؤه وعقائده

الجبرية

طَبِعْتُ عَلَى مَا فِي غَيْرِ مُخَيَّرٍ هَوَايَ، وَلَوْ خَيْرْتُ كُنْتُ الْمُهْذَبَا
أَرِيدُ فَلَا أُعْطَى، وَأُعْطَى وَلَمْ أُرِذْ، وَقَصَّرَ عِلْمِي أَنْ أَنَالَ الْمُعْغَيَّبَا
فَأَصْرَفُ عَنْ قَصْدِي، وَعِلْمِي مُقْصَرٌّ، وَأَمْسَى، وَمَا أَعْقَبْتُ إِلَّا الشَّعْجَبَا

البعث والحساب

كَيْفَ يَبْكِي لِمَحَبَسٍ فِي طُلُولٍ، مَنْ سَيُفْضَى لِحَبَسٍ يَوْمَ طَوِيلٍ^(٤)
إِنَّ فِي الْبَعَثِ وَالْحِسَابِ لَشُغْلًا عَنْ وَقُوفٍ بِرَسَمٍ دَارٍ مُحِيلٍ^(٥)

مجوسية

إِبْلِيسُ أَفْضَلُ مِنْ أَبِيكُمْ آدَمَ، فَتَبَصَّرُوا، يَا مَعْشَرَ الْفُجَّارِ
النَّارُ غَنْصُورُهُ، وَآدَمُ طِينُهُ، وَالطِّينُ لَا يَسْمُو سَمَوُ النَّارِ

(١) نقعاً: غباراً. يقبض: ضد ييسط. الطرف: البصر. أقتم: أسود.

(٢) تساور: تواثب. تناصب: تقاوم.

(٣) يقول: نحن أصحاب المنابر، وهي ملك لنا؛ فإذا أعرنا سيد قبيلة منبراً ليخطب عليه، بدأ بالصلاة والسلام على محمد وآله، ومحمد من مضر فكأنه صلى وسلم على مضر كلها. والشاعر ينتسب إلى بني عقيل بالولاء، وعقيل من بني عامر، وعامر قيسية مضرية.

(٤) المحبس: اسم مكان من الحبس أي الوقف ويريد به حبس الإبل على الطلول الدوارس للبكاء على الأحبة. سيفضي: سيصير. حبس يوم طويل: أي عذاب الآخرة.

(٥) محيل: من أحال الشيء أنت عليه أحوال أو تغير من حال إلى حال.

أبو العتاهية

إنه واحد:

ألا! إننا كلنا بائد،
وبدوهم كان من ربهم،
فيا عجباً! كيف يُعصى الإله
وفي كل شيء له آية،
وأني بني آدم خالِدُ؟
وكلُّ إلى ربِّه عائدُ
ه، أم كيف يجحده الجاحدُ؟
تذلُّ على أنه واحدُ

وخذ ما أنت محتاج إليه

أرى الدنيا، لمن هي في يديه،
تُهينُ المُكرمينَ لها بصغيرٍ
إذا استغثت عن شيء فدغته،
عذاباً كلما كثرت لديه
وتُكرِّمُ كلَّ من هانت عليه
وخذ ما أنت محتاج إليه

ذم الفقر

يُكرِّمُ الممرء، وإن أمـ
لو رأى الناسُ نبياً
لا تراني آخر الدهر
أنت ما استغثت عن صا
فلماذا احتجت إليه
لَقَّ أقصاه بنوهُ^(١)
سائلاً ما وصلوهُ
ربَّتْ سألِ أقوهُ^(٢)
حبك الذخر أخوهُ
ساعةً مجك فوهُ^(٣)

(١) أملق: افتقر واحتاج.

(٢) آخر الدهر: أبد الدهر.

(٣) مجك: لفظك وبصقك.

وقفه على القبور

بِالْأَرْضِ كَيْفَ وَجَدْتُمْ طَعْمَ النَّزَى
أَهْلَ الْقُبُورِ تَغَيَّرَتْ تِلْكَ الْجِلَى
مَا كَانَ أَطْعَمَكَ الطَّبِيبُ وَمَا سَقَى
قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُهُ عَلَيْكَ وَلَا الرُّقَى^(١)
مَأْوَى وَكَيْفَ وَجَدْتُ ضَيْقَ الْمُتَكَا

يَا مَعْشَرَ الْأَمْوَاتِ، يَا ضَيْفَانِ ثَرِ
أَهْلَ الْقُبُورِ مَحَا التُّرَابُ وَجُوهَكُمْ
أَخِي لَمْ يَقِكِ الْمَنِيَّةَ إِذْ أَتَتْ
أَخِي لَمْ تُغْنِ التَّمَائِمُ عَنْكَ مَا
أَخِي، كَيْفَ وَجَدْتُ مَسَّ خُشُونِهِ الدَّ

خانك الطرف

أَيْهَا الْقَلْبُ الْجَمُوحُ!
رَ، دُنُورٌ وَتُزُوحُ
تَوْبَةً مِنْهُ نَصُوحُ؟
إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحُ؟
نَّ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
بَيْنَ تَوْبِيهِ فُضُوحُ
طَوِيَتْ مِنْهُ الْكُشُوحُ^(٢)
صَائِخُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ
ضِ، عَلَى قَوْمٍ قُتُوحُ
جَسَّادٌ مَا فِيهِ رُوحُ
عَلِمُ الْمَمُوتِ يَلُوحُ
مُوتٌ يَغْدُو وَيَرُوحُ
يَا، غُبُوتٌ وَصَبُوحُ^(٣)
نَ عَلَيْهِنَ الْمُسُوحُ

خَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ،
لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ،
كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبٍ،
أَحْسَنَ اللَّوْءِ بِنَا، إِ
فَإِذَا الْمَسْتُورُ مِثْنَا،
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ،
صَاحٍ مِنْهُ بِرَحِيلٍ،
مُوتٌ بَعْضِ النَّاسِ، فِي الْأَرِ
سَيَصِيرُ الْمَرَّةَ، يَوْمًا،
بَيْنَ عَيْنَيَّ كُلِّ حَيٍّ،
كُلَّنَا فِي غَفْلَةٍ، وَالْ
لَبَنِي الدُّنْيَا، مِنَ الدُّنْ
رُحْنٌ فِي الْوُشْيِ، وَأَصْبَحَ

- (١) التمائم: جمع التميمة وهي العوداة تعلق في العنق ليتوقى بها من الجن. الرقى: جمع الرقية: العوداة التي ينفث فيها الرقاء لاستجلاب النفع أو الضرر في زعمهم.
(٢) الكشوح: جمع الكشخ: وهو ما بين السرة ووسط الظهر.
(٣) الغبوت: شراب المساء. الصبوح: شراب الصباح.

كُلُّ نَظَّاحٍ، مِّنَ الدَّهْرِ	يَرَى، لَيْسَ يَوْمٌ نَّطُوحُ
نُحِ عَلَى نَفْسِكَ، يَا مَسَدَ	كَيْنُ، إِنَّ كُنْتَ تَنُوحُ
لَتَمُوتَنَّ، وَإِنْ غَا	مَزَتْ، مَا غَمَرُ نُوحُ!

أبو تمام

فتح عمورية

قال يمدح المعتصم، ويذكره انتصاره على الروم في واقعة عمورية سنة ٨٣٧م:
السِّيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ، فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ^(١)
يَبْضُ الصَّفَائِحُ، لَا سَوْدَ الصَّحَائِفِ، فِي مُتَوْنِهِنَّ جَلَاءَ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ^(٢)
وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ، لَا مِغَةَ، بَيْنَ الْخَمِيسِينَ، لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ^(٣)
أَيْنَ الرِّوَايَةِ، بَلْ أَيْنَ النُّجُومِ وَمَا صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا، وَمَنْ كَذِبِ؟
تَخْرُصاً، وَاحَادِيثاً مُلْفَقَةً لَيْسَتْ بِتَبَعٍ، إِذَا عُدَّتْ، وَلَا غَرَبِ^(٤)
عَجَائِباً، زَعَمُوا الْأَيَّامَ مُجْفَلَةً عَنْهُمْ، فِي صَفَرِ الْأَصْفَارِ، أَوْ رَجَبِ^(٥)

-
- (١) الكتب: أي كتب السحر والتنجيم. الحد: الفاصل.
(٢) الصفائح: جمع الصفيحة وهي السيف العريض. الصحائف: جمع الصحيفة وهي القرطاس المكتوب. المتون: جمع المتن، ومتن السيف: صحفته.
(٣) الشهب الأولى: أسنة الرماح لما فيها من البريق. الخميسين: الجيشين. الشهب الثانية: السيارات السبع، وهي عندهم: زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر.
(٤) تخرصاً: كذباً. النبع: شجر صلب تصنع منه القسي. الغرب: شجر هش أي رخو لين. يقول: أحاديث ملفقة ليس لها أصل قوي ولا ضعيف.
(٥) مجفلة: ذاهبة منقلعة. عنهم: الضمير يعود على عجائباً. والمراد ما تحدثه عجائب النجوم من تدمير العالم فتمضي معه الأيام. صفر ورجب: من الأشهر العربية. الأصفار: جمع صفر، يقال صفر الأصفار: وهو يدل على الخلو لأن الأصفار أيضاً =

وَحَوُّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءِ مُظْلِمَةٍ،
وَصَيَّرُوا الْأَبْرَجَ الْعُلْيَا مُرْتَبَةً،
يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا، وَهِيَ غَافِلَةٌ،
لَوْ بَيَّنْتُ قَطُّ أَمْرًا، قَبْلَ مَوْقِعِهِ،
فَتَحُ الْفُتُوحُ، تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ،
فَتُحْ، تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ،
يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَّةَ، انْصَرَفْتُ
أَبْقَيْتُ جَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صُعْدٍ،
إِذَا بَدَا الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ ذُو الذَّنْبِ
مَا كَانَ مُنْقَلِبًا، أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبٍ^(١)
مَا دَارَ فِي قَلْبِكَ، مِنْهَا، وَفِي قُطْبٍ^(٢)
لَمْ يَخَفْ مَا حَلَّ بِالْأَوْتَانِ وَالصُّلْبِ^(٣)
نَظَمَ مِنَ الشَّعْرِ، أَوْ نَثَرَ مِنَ الْخُطْبِ^(٤)
وَتَبَرَّزَ الْأَرْضَ فِي أَثَوَابِهَا الْقُشْبِ^(٥)
عَنْكَ الْمُنَى حَقْلًا، مَعْسُولَةَ الْحَلَبِ
وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشَّرِكِ فِي صَبَبٍ^(٦)

= جمع الصفر وهو الخالي. جعل المنجمون هذا الشهر ميقاتاً لتدمير العالم وخلوه من السكان، وجعلوا رجب كذلك لأن مادته تدل على الخوف والعظمة. يقال: رجب: فزع وهاب وعظم.

(١) الأبرج: جمع البرج. وبروج السماء اثناء عشر، وهي عند المنجمين مرتبة على ثلاثة أقسام: المنقلبة، وهي أربعة: الحمل والسرطان والميزان والجدي. والثابتة، وهي أربعة: الثور والأسد والعقرب والدلو. وذوات الجسدين، وهي أربعة أيضاً: الجوزاء والسنبلة والقوس والحوت.

(٢) ما، في قوله ما دار: مفعول به من يقضون. القطب: كوكب لا يبرح مكانه يدور عليه الفلك، وهو بين الجدي والفرقدين.

(٣) الصلب: جمع الصليب. يقول: لو صح أن الكواكب تبين الأمور قبل وقوعها، لما خفي على المنجمين مصير الروم يوم عمورية. وكان المعتصم قد استشار المنجمين قبل زحفه، فزعموا أن الزمان غير موافق للفتح، فلم يحفل بأقوالهم، وغزا عمورية، وافتتحها.

(٤) أن يحيط به: أي أن يحيط بوصفه.

(٥) القشب: الجدد. يقول: إنه فتح من الله تعيد له الأرض والسماء.

(٦) المنى: جمع المنية وهي الرغبة. حقلاً جمع حافل، مأخوذ من قولهم: ناقة حافل أي مجتمعة اللبن. معسولة: ممزوجة بالعسل. الحلب: اللبن المحلوب. يقول: ذهبنا إلى هذه الحرب، ونحن نتمنى الانتصار والفتح، فرجعنا وأمانينا حافلة بأطيب العواقب وأحلاها.

(٧) الجد: الحظ. المشركين: الذين يجعلون لله شريكاً ويريد بهم الروم. دار الشرك: أي عمورية. صبيب: ما انحدر من الأرض ضد صعد.

أُمُّ لَهُمْ، لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى، جَعَلُوا
وَيَرْزَةُ الْوَجْهِ، قَدْ أَعَيْتَ رِيَاضَتُهَا
مِنْ عَهْدِ إِسْكَندَرٍ، أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ، قَدْ
بَكَرَ، فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ،
حَتَّى إِذَا مَخَضَ اللَّهْ السَّنِينَ لَهَا،
أَتَتْهُمْ الْكُرْبَةُ السَّودَاءُ سَادِرَةً
جَرَى لَهَا الْفَالُ نَحْسًا، يَوْمَ أَنْقَرَةٍ،
لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ،
كَمْ بَيْنَ حَيْطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ،
فِدَاءُهَا كُلُّ أُمِّ بَرْزَةِ وَأَبٍ^(١)
كِسْرَى، وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرْبٍ^(٢)
شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي، وَهِيَ لَمْ تُشِبَّ^(٣)
وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ الشُّوبِ^(٤)
مَخَضَ الْبَخِيلَةِ، كَانَتْ زُبْدَةَ الْحَقَبِ^(٥)
مِنْهَا، وَكَانَ اسْمُهَا فَرَاجَةَ الْكُرْبِ^(٦)
إِذْ غُودِرَتْ وَحْشَةُ السَّاحَاتِ وَالرَّحَبِ^(٧)
كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ^(٨)
قَانِي الذَّوَائِبِ مِنْ أَنِّي دَمٍ سَرَبٍ^(٩)

- (١) برة: صادقة كثيرة البر. هذه رواية الديوان. ورواية الصولي في أخبار أبي تمام: كل أم منهم.
(٢) البرزة: الحية. وقيل هي: المرأة البارزة المحاسن التي تظهر للرجال. فعلى المعنى الأول يقول: إن عمورية كانت كالمرأة المتخففة تصد عن كل طالب وراغب. وعلى المعنى الثاني يقول: هي مع بروزها ممتنعة لا يقدر عليها، أعجزت كسرى فارتد عنها، وامتنعت على أبي كرب اليماني أحد الملوك التابعة.
(٣) وهي لم تشب: أي بقيت على جدتها، مع تقدم زمانها، لسلامتها من نكبات الغزو والفتح.
(٤) يقول: بقيت عذراء لم تنلها يد حادثة من حوادث الدهر، ولا سمت إليها همة النوايب.
(٥) مخض اللبن: حركة ليستخرج زبدته. مخض البخيلة: أي الحريصة على لبنها لا تفرط فيه. الحقب: الدهر.
(٦) الكربة: الحزن يأخذ في النفس. سادرة: لا تبالي ما تصنع. يقول: أتهم (أي الروم) الكربة السوداء القاسية من عمورية عندما سقطت بيد المسلمين، وكانوا لمناعتها يسمونها فراجة الكرب.
(٧) نحسًا: رواية الديوان، ورواية الصولي: برحاً. الرحب: جمع الرحبة وتسكن الحاء، وهي من المكان ساحته ومتسعه. غودرت: الضمير يعود إلى أنقرة. وكان المعتصم قد استولى عليها قبل بلوغه عمورية.
(٨) أختها: أي أنقرة.
(٩) القاني: الأحمر. الذوائب: الشعب المنسدل من وسط الرأس إلى الظهر. الآني: الذي انتهى حره. السرب: السائل.

- بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالْخَطِي، مِنْ دَمِهِ،
لَقَدْ تَرَكْتُ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بِهَا،
غَادَرْتُ فِيهَا بِهَيْمَ اللَّيْلِ، وَهُوَ ضُحَى
حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ الدَّجَى رَغَبَتْ
ضَوْءَ مِنَ النَّارِ، وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةً،
فَالشَّمْسُ طَالَعَةً مِنْ ذَا، وَقَدْ أَقْلَتْ،
تَصْرَحَ الدَّهْرُ، تَصْرِيحَ الْغَمَامِ، لَهَا،
لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ، يَوْمَ ذَاكَ،
مَا رُبِعُ مَيَّةً، مَعْمُورًا، يُطِيفُ بِهِ
- لَا سُنَّةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ، مُخْتَضِبٌ^(١)
لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ^(٢)
يَقْلُهُ، وَسَطَهَا، صُبْحَ مِنَ اللَّهَبِ^(٣)
عَنْ لَوْنِهَا، أَوْ كَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبْ^(٤)
وُظْلَمَتْ مِنْ دُخَانٍ، فِي ضُحَى شَحِبِ^(٥)
وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا، وَلَمْ تَجِبْ^(٦)
عَنْ يَوْمٍ هَيَّجَاءَ، مِنْهَا، طَاهِرٍ جُنُبِ^(٧)
عَلَى بَانَ بِأَهْلٍ، وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَزَبِ^(٨)
غِيلَانُ، أَبْهَى رُبَى مِنْ رَبْعِهَا الْخَرْبِ^(٩)

- (١) الخطي: الريح. يقول: هو مختضب من دمه بحكم السيف والريح، وهذه هي السنة التي أجريت عليه أحكامها لا سنة الدين الإسلامي لأنه نصراني.
- (٢) يوماً: مفعول به من تركت.
- (٣) بهيم الليل: ليل لا ضوء فيه. يقهل: يحمله. هذه رواية الديوان، ورواية أخبار أبي تمام للصولي: يشله: أي يطرده. وسطها: أي وسط عمورية.
- (٤) الجلابيب: الثياب الواسعة، ويريد بها كثافة الظلام وشدته. رغب عن الشيء: ضد رغب فيه.
- (٥) شحب: متغير اللون. يقول: ضوء النار ظهر ليلاً فصيره نهاراً، وتحول إلى دخان في الصباح فجعله شاحب اللون. الضحى: يغلب عليها التأنيث، وتذكر.
- (٦) طالعة من ذا: أي من ضوء النار. أقفلت: غابت. واجبة: غائبة. من ذا: أي من الدخان. لم تجب: لم تغب.
- (٧) تصرح: انكشف وانجلى. تصريح الغمام: انجلاؤه وظهور الشمس. جنب: نجس. يقول: انجلى الدهر لعمورية عن يوم حرب طاهر نجس منها. ويريد بذلك أنه طاهر لما فيه من جهاد ديني ظافر، نجس لما فيه من انتهاك الأعراض.
- (٨) بان بأهل: متزوج. يريد أنه قتل في هذا اليوم كل متزوج وعزب من الروم.
- (٩) مية: هي مي بنت مقاتل صاحبة ذي الرمة الشاعر. غيلان: اسم ذي الرمة، وهو من محسني شعراء صدر الإسلام، يتصور الشاعر دار مية عامرة تكتنفها البهجة والنضارة، وغيلان يطيف بها، يغني صاحبته بشعره، فيزيد الديار بهجة ورواء. ثم يقول: إن ديار مي على جمالها وبهجتها وهي في مثل هذه الحال، ليست أبهى عندي من ربع عمورية الخرب. جعل منظر الخراب أجمل من منظر العمران.

- ولا الخُدودُ، وإن أدمينَ من خَجَلٍ،
 سَمَاجَةٌ، غَزِيَتْ مِنَّا الْعُيُونُ بِهَا
 وَحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تَبْدُو عَوَاقِبُهُ،
 لَمْ يَعْلَمْ الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصُرٍ كَمَنْتَ
 تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ، مُنْتَقِمٍ
 وَمُطْعِمٍ النَّصْلِ، لَمْ تَكْهَمْ أَسِنَّتُهُمْ
 لَمْ يَغْزُ جَيْشًا، وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى بَلَدٍ،
 لَوْ لَمْ يَقْذُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَعَى، لَعَدَا
 رَمَى بِكَ اللَّهُ بُرْجِيهَا، فَهَدَمَهَا،
 أَشْهَى إِلَى نَاطِرِي مِنْ خَذَهَا التَّرِبِ^(١)
 عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَا، أَوْ مَنْظِرٍ عَجِبِ^(٢)
 جَاءَتْ بِشَاشَتُهُ عَنْ سُوءٍ مُنْقَلَبِ^(٣)
 لَهُ الْمَنِيَّةُ، بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقُضْبِ^(٤)
 لِلَّهِ، مُرْتَقِبٍ فِي اللَّهِ، مُرْتَهَبِ^(٥)
 يَوْمًا، وَلَا حُجْبَتْ عَنْ رُوحٍ مُحْتَجِبِ^(٦)
 إِلَّا تَقَدَّمَ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ^(٧)
 مِنْ نَفْسِهِ وَحَذَاهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ^(٨)
 وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللَّهِ، لَمْ تُصِبْ^(٩)

- (١) وإن أدمين: رواها الصولي ولو أدمين. الترب: الكثير التراب. يقول: وليست الحسان، إذا زادها احمرار الخجل جمالاً، أشهى إلى ناظري من أرض عمورية التي كثر فيها التراب بعد خرابها.
- (٢) السماجة: ضد الملاحة. يقول: إن الخراب قبيح بذاته، ولكن خراب عمورية أغنى عيوننا عن كل حسن يبدو لها، لأن فيه يتمثل ظفر المسلمين بأعدائهم.
- (٣) المنقلب: التحول والتغير من حال إلى حال. تبدو عواقبه: رواها الصولي تبقى عواقبه.
- (٤) لم يعلم: وتروى لو يعلم. السمر والقضب: الرماح والسيوف.
- (٥) منتقم لله: أي ينتقم له من أعداء دينه، ويريد به الإسلام. مرتقب في الله، مرتهب: أي أنه يراقب في الله العقاب فيخشاه ويحذره. ورواية الصولي: مرتغب بدلاً من مرتهب.
- وفي هذا البيت نوع من البديع يعرف بالتشطير، وهو أن يجعل كل شطر سبعة مخالفة لصاحبها في الشطر الآخر.
- (٦) لم تكهم: لم تكل. محتجب: أي مدرع ممتنع بسلاحه.
- (٧) لم يغز جيشاً: في رواية لم يغز قوماً. ورواها الصولي: لم يرم قوماً ولم ينهد إلى بلد. يقول: إن العدو إذا بلغه أن المعتصم خرج لقتاله استولى عليه الرعب قبل أن يصل إليه الخليفة.
- (٨) الجحفل: الجيش. لجب: كثير العدد، عظيم الجلبة. وقوله: في جحفل لجب: تجريد.
- (٩) كانت أسوار عمورية قد تهدم جانب منها بين برجين، قبل أن يهاجمها المعتصم. فبنى بطريقها ظاهره بالحجارة، وترك الخلل في باطنه. فلما جاءها المعتصم، خرج إليه رجل من المسلمين كان قد أسره الروم، فتنصر وتزوج فيهم، فدلّه على ثلثة السور، فسدد إليها المجانيق، فصدعها، واستولى على البرجين، ثم على المدينة فهدمها.

- مِنْ بَدِ مَا أَشْبَوْهَا، وَاثْقَيْنَ بِهَا،
 وَقَالَ ذُو أَمْرِهْمَ: لَا مَرْتَعٌ صَدَدٌ
 أَمَانِيًّا، سَلَبْتَهُمْ تُجَحَّ هَاجِسِيهَا،
 إِنَّ الْجَمَامَيْنِ: مَنْ بِيضٍ وَمَنْ سُئِرٍ،
 لَبَّيْتُ صَوْتًا زِبْطَرِيًّا، هَرَقْتُ لَهُ
 عِدَاكَ حُرَّ الثَّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ
 أَجْبَتَهُ مُعَلِّنًا بِالسَّيْفِ، مُنْصَلِتًا،
 وَاللَّهُ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَقِيلِ الْأَشْبِ^(١)
 لِلْسَّارِحِينَ، وَلَيْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَثْبِ^(٢)
 ظُبَى السَّيُوفِ، وَأَطْرَافِ الْقَنَا السُّلْبِ^(٣)
 دَلُّوا الْحَيَاتَيْنِ: مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشْبِ^(٤)
 كَأَسِ الْكَرَى، وَرُضَابِ الْكُرْدِ الْعُرْبِ^(٥)
 بَرْدِ الثَّغُورِ، وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصْبِ^(٦)
 وَلَوْ أَجَبْتَ بَغَيْرِ السَّيْفِ، لَمْ تُجِبْ^(٧)

- (١) أشبوها: حصنها. المعقل: الحصن. الأشب: الحصين. أخذ عليه تشبيه الله بالمفتاح.
 (٢) ذو أمرهم: صاحب أمرهم، رئيسهم، والضمير يعود على الروم. المرتع: الموضع
 المخضب. صدد: قريب. للسارحين: أي للمسلمين الذين سرحوا مطاياهم لترعى.
 وليس الورد من كثب: أي ليس الماء قريباً منهم.
 (٣) أمانياً: منصوبة على المصدرية. الهاجس: الذي يحدث نفسه بما يخطر ويوسوس لها
 والمراد به ذو أمرهم. والضمير في هاجسها يعود إلى الأمانى. ظبي السيوف: شفاها.
 القنا: الرماح. السلب: الطويلة.
 (٤) يقول: إن موت الأعداء بالسيوف وموتهم بالرماح كانا كدلوين يستقيان لنا حياة الماء
 وحياة العشب، أي أن سيوفنا ورماحنا كذبت أمانى رئيس الروم، فحملت لهم الموت،
 وحملت لنا الحياة إذ قربتنا من الماء والعشب.
 (٥) زبطرياً: نسبة إلى زبطرة، وهي بلدة في تركيا آسيا بين ملطية وسميساط. وكان ملك
 الروم قد خرج إليها قبل واقعة عمورية، فاستباحها قتلاً وسبياً. وقوله صوتاً زبطرياً:
 إشارة إلى ما روي من أن هاشمية سبيت، فصاحت وهي في أيدي الروم:
 «وامعتصماه!». الرضاب: الريق. الخرد: جمع الخريدة وهي المرأة الطويلة، السكرت
 الخفرة، والبكر. العرب: جمع العروب وهي المرأة المتحبة لزوجها. والمعنى: أنه
 منع نفسه راحة النوم وفارق نساءه تلبية لذلك الصوت.
 (٦) عداك عنه: صرفك عنه. الثغور: المواضع التي يخاف منها هجوم العدو. المستضامة:
 التي أصابها ضيم، ويريد بها زبطرة وغيرها من الأماكن التي أوقع بها قيصر الروم.
 وقوله: حر الثغور: قد يراد به الحر بمعناه، وقد يراد به حر نار الحرب. الثغور
 الثانية: المباسم، أي ثغور نساءه اللواتي صرفته الحرب عنهن، وتستحسن البرودة في
 الثغر. السلسلة: العذب البارد، استعاره للريق. الحصب: المكان الكثير الحصى،
 والمراد هنا الأسنان البيض في ثغور النساء.
 (٧) أجبت: الضمير يعود إلى صوتاً زبطرياً منصلتاً: مجرداً. وقوله: لم تجب، أي لم يكن
 ذلك منك جواباً للصوت الصارخ.

حتى تَرَكْتَ عَمودَ الشَّرْكِ مُنْقَعِرًا، ولم تُعَرِّجْ على الأوتادِ والطُّنبِ^(١)
لَمَّا رَأَى الحَرْبَ رَأْيَ العَيْنِ تَوَفَّلِسُ، والحَرْبُ مُشْتَقَّةُ المَعْنَى مِنَ الحَرْبِ^(٢)
عَدَا يُصَرِّفُ بِالأَمْوَالِ خَزَائِنَهَا، فَعَزَّه البَحْرُ ذُو الثِّيَارِ والغُبِّ
هِيَهَاتِ، زِعَزَعَتِ الأَرْضُ الوُقُورُ بِهِ، عن غَزْوِ مُحْتَسِبٍ، لا غَزْوِ مُكْتَسِبٍ^(٣)
لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ المُزْبِي بِكثْرَتِهِ، على الحَصَى، وبِهِ فَقَّرَ إِلَى الذَّهَبِ^(٤)
إِنَّ الأُسُودَ أُسُودَ الغَابِ، هَمَّتْهَا، يَوْمَ الكَرِيهَةِ فِي المَسْلُوبِ لا السَّلْبِ^(٥)
وَلَى، وَقَدْ أَلْجَمَ الخَطِيئُ مَنْطِقَهُ، بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا الأحْشَاءُ فِي صَحْبٍ^(٦)
أَحْسَى قَرَابِيئَهُ صَرَفَ الرَّدَى، وَمَضَى، يَحُثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الهَرَبِ^(٧)
مُوكَّلًا بِبِقَاعِ الأَرْضِ، يُشْرِفُهُ، من خِفَّةِ الخَوْفِ، لا من خِفَّةِ الطَّرَبِ^(٨)

(١) عمود الشرك: أي عمورية. منقعرًا: مقطوعاً من أصله. الطنب: حبال طويلة تشد بها الخيمة، وأراد بالأوتاد والطنب بقية المدن والقرى في الأنضول. يقول: إن المعتصم اكتفى بعمورية فلم يغز بقية المدن والقرى لأنه متى سقط عمود الخيمة فلا قيمة بعده للحبال والأوتاد.

(٢) توفلس: تيوفيل بن ميخائيل قيصر الروم. الحرب: ذهاب المال والحرمان منه.
(٣) يصرف: يدفع. خزيتها: ذلها وبليتها. عزه: غلبه وقهره. التيار: موج البحر الهائج. العيب: المياه المتدفقة. يقول: لما رأى ملك الروم حصار عمورية حاول أن يدفع بلية الحرب وعار الانكسار بالمال، وهو يعلم أن المال ذاهب: «الحرب مشتقة المعنى من الحرب». فراسل المعتصم يطلب الصلح ويعرض عليه مالاً ليرتد عنه، فأبى المعتصم وسما عليه وغلبه بما عنده من مال وفر يبذله ولا يسأل عنه، وهو البحر الفياض بجوده وكثرة أمواله.

(٤) هيهات: أي هيهات أن يقبل المال. الوقور: الرزينة التي لا تتزعزع. به: الضمير راجع إلى المعتصم. المحتسب: طالب الأجر عند الله.

(٥) العربي: الزائد.

(٦) همتها: مقصدها. الكريهة: الحرب. يقول: إن الفارس الشجاع يقصد في الحرب إلى خطف الأرواح لا إلى سلب المال. وهذا مثل أرسله الشاعر.

(٧) يقول: هرب توفلس ساكتاً كأن رمح المعتصم وضع لجاماً في فمه، فلا يستطيع الكلام. ولكن قلبه كان في وجيب واضطراب من شدة الرعب.

(٨) أحسى: سقى. قرابينه: خواصه وقواده. يحث: يسوق. أنجى: أسرع.

(٩) الفياح: ما ارتفع من الأرض. يشرفه: يعلوه.

- إِنْ يَعُدُّ مِنْ حَرِّهَا عَدَوَ الظِّلِمِ، فَقَدْ
تَسْعُونَ أَلْفًا، كَأَسَادِ الشَّرِّ، نَضِجَتْ
يَا رُبَّ حَرِيَاءٍ، لَمَّا اجْتُثَّ دَابِرُهُمْ،
وَمُغْضِبٍ، رَجَعَتْ بِيضُ السَّيُوفِ بِهِ
وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَأْزِقٍ لَحِيبٍ،
كَمْ نِيلٌ تَحْتَ سَنَاها، مِنْ سَنَى قَمَرٍ،
كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ الرِّقَابِ بِها،
كَمْ أَحْرَزَتْ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ، مُصْلَتَةً،
أَوْسَعَتْ جَا حَمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ^(١)
جُلُودَهُمْ، قَبْلَ نَضِجِ الثِّينِ وَالْعَنْبِ^(٢)
طَابَتْ، وَلَوْ ضَمَخَتْ بِالْمِسْكِ، لَمْ تَطِبْ^(٣)
حَيَّ الرِّضَى عَنْ رَدَاهُمْ، مَيَّتَ الْغَضَبِ
تَجَثُّو الرِّجَالُ بِهِ، صَرًّا، إِلَى الرُّكْبِ^(٤)
وَتَحْتَ عَارِضِها، مِنْ عَارِضِ شَيْبِ^(٥)
إِلَى الْمُخَذَّرَةِ الْعَذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ^(٦)
تَهْتَزُّ مِنْ قُضْبٍ، تَهْتَزُّ فِي كُثْبِ^(٧)

- (١) حرها: الضمير يعود على الحرب. الظليم: ذكر النعام. أوسعت: ملأت وأشبع.
جاحمها: وقودها وشدة اشتعالها. يقول للمعتصم: إن هرب توفلس لم يخمد نار
الحرب لأنك أحرقت المدينة، فزدت نارها اشتعالاً.
(٢) الشرى: مأسدة، يضرب المثل بشدة أسودها. يشير إلى كذب المنجمين الذين زعموا
أن المدينة لا تؤخذ إلا في الصيف بعد نضج الثين والعنب.
(٣) الحوياء: النفس، أو النفس الآثمة، ويريد بها نفساً من نفوس المسلمين المحاربين.
اجتث: اقتلع من أصله. دابره: آخرهم، والضمير عائد إلى الأعداء. طابت: ظهرت
وزكت، والتذت.
(٤) المأزق: المكان الضيق. اللجب: ذو الجلبة. صعرأ: جمع أصعر وهو الذي يميل
وجهه كبراً وعطرسه. يقول: كانت الحرب قائمة في مضيق يصعب فيه الانتقال والكر،
فكان المتقاتلون على كبرياتهم وغطرستهم، يجثون على ركبهم ليتجالدوا بالسيوف.
(٥) سناها: ضيائها، والضمير يعود على الحرب. وأراد بالسني: ضياء نار الحريق. سنى
قمر: أي ضياء وجه كالقمر، ويريد به وجه السبية الرومية. عارضها: سحابها المعترض
في الأفق، ويريد به دخان نار الحريق. العارض الثانية: السن التي في عرض الفم،
وما يبدو من الوجه عند الضحك. الشنب: البارد، والمراد: أسنان باردة الريق.
والوصف هنا للسبايا أيضاً.
(٦) أسباب الرقاب: حبالها، أي عروقه. بها: الضمير يعود على الحرب. من سبب: أي
من وسيلة يتوصل بها إلى العذراء، ويريد بها السبية.
(٧) القضب: جمع القضيبي وهو السيف اللطيف والقطاع. مصلته: مسلولة. تهتز: أي
مهتزة، والمراد: سبيات تهتز من قدود كالقضب أي كالأغصان. الكشب: جمع
الكثيب، وهو التل من الرمل. يريد أن هذه القدود قائمة على أوراك ثقيلة، فهي
كالأغصان في كشبان من الرمل.

بِيضٌ، إِذَا انْتَضَيْتَ مِنْ حُجْبِهَا، رَجَعْتَ
خَلِيفَةُ اللَّهِ، جَاوَزَى اللَّهُ سَعِيكَ عَنْ
بَصُرَتْ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى، فَلَمْ تَرَهَا
إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ،
فَبَيَّنَ أَيَّامَكَ اللَّاتِي نُصِرْتَ بِهَا،
أَبَقْتُ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمُصَفَّرَ، كَاسِيَهُمْ
أَحَقَّ بِالْبَيْضِ أَبْدَانًا، مِنَ الْحُجْبِ^(١)
جُرْثُومَةُ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ، وَالْحَسَبِ^(٢)
تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مَنْ التَّعَبِ^(٣)
مَوْصَلَةٍ، أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ^(٤)
وَبَيَّنَ أَيَّامَ بَدْرِ أَقْرَبُ التَّنَسِبِ^(٥)
صَفَرَ الْوُجُوهَ، وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ^(٦)

الحبيب الأول

الْبَيْنُ جَرَّعَنِي نَقِيعَ الْحَنْظَلِ،
مَا حَسَرْتِي أَنْ كِدْتُ أَقْضِي، إِنَّمَا
نَقْلُ فَوَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى،
كَمْ مَنَزِلٍ، فِي الْأَرْضِ، يَأْلَفُهُ الْفَتَى،
وَالْبَيْنُ أَثْكَلَنِي، وَإِنْ لَمْ أَثْكَلِ
حَسَرَاتُ قَلْبِي أَتْنِي لَمْ أَفْعَلِ
مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
وَحَنِيئُهُ، أَبْدَأُ، لِأَوَّلِ مَنَزِلِ

-
- (١) بِيضٌ: سيوف. انتضيت: جردت. من حجبها: من أغمادها. بالبيض أبداناً: أي بالسيئات البيض الأبدان. الحجب: ستور النساء.
- (٢) سعيك: عملك ودفاعك. الجرثومة: الأصل. الحسب: الشرف.
- (٣) الراحة الكبرى: أي راحة الآخرة ونعيم الجنة. جسر من التعب: إشارة إلى الصراط، وهو عند المسلمين جسر ممدود على متن جهنم، يعبر عليه الناجون إلى الجنة بتعب وجهد؛ وهو يرمز إلى أن الجنة لا تنال بدون تعب ومشقة.
- (٤) صرُوف الدهر: ورواها الصولي: مرور الدهر. من رحم: أي من صلة وقربة. الذمام: العهد. منقضب: منقطع.
- (٥) يجعل بين غزوة عمورية وغزوة بدر التي انتصر فيها النبي على القرشيين، صلة من النسب المقدس، على اعتبار أن قريشاً والروم كليهما من المشركين.
- (٦) أبقت: الضمير يعود إلى أيامك. الأصفر: جد ملوك الروم ويسميه العرب الأصفر بن روم بن يعصوب بن إسحق، كما ذكر القاموس. المصفر: الذي به صفرة والمراد بها شقرة الشعر ولونه الذهبي. والظاهر أن العرب أطلقوا على الروم هذا الاسم نظراً للون شعورهم، وهم يستنكرون الشقرة ويعيرون بها بعضهم بعضاً، ولا يمدحون غير الشعر الأسود. صفر الوجوه: أي صفر الوجوه مثل اسمهم، من الرعب والانكسار. جلت: من فعل جلى الشيء: أظهره وجعله يتجلى.

أبو نواس

حامل الهوى

يَسْتَخِفُّهُ الطَّرَبُ	حَامِلُ الْهَوَى تَعِيبُ،
لَيْسَ مَا بِهِ لَعِيبُ ^(١)	إِنْ بَكَى يُحَقُّ لَهُ،
وَالْمُحِبُّ يَنْتَجِبُ	تَضَحَّكِينَ لَاهِيَةً،
صِخْتِي هِيَ الْعَجَبُ	تَعْجَبِينَ مِنْ سَقَمِي،
مِنْكَ، جَاءَنِي سَبَبُ	كُلَّمَا انْتَفَى سَبَبُ

(١) من المواضع التي تخرج فيها ليس عن وجه استعمالها هي أن تدخل على المبتدأ والخبر مرفوعين، فيكون اسمها ضمير الشأن لتعظيم الشيء، والجملة بعدها في محل نصب خبراً لها. مثال ذلك: ليس الأمر هين، أو كقول أبي نواس هنا: ليس ما به لعب.

البحثري

وصف البركة

قال يمدح المتوكل، ويصف بركته:

مِيلُوا إِلَى الدَّارِ، مِنْ لَيْلَى، تُحْيِيهَا،
يَا دِمْنَةً، جَاذَبَتْهَا،
لَا زِلَتْ فِي حُلَلٍ، لِلْعَيْثِ ضَافِيَةٍ
تَرُوحُ بِالْوَابِلِ الدَّانِي رَوَائِحُهَا،
إِنَّ الْبَخِيلَةَ لَمْ تُنْعِمْ لَسَائِلِهَا،
مَرَّتْ تَأَوَّدُ، فِي قَرْبٍ، وَفِي بُعْدٍ،
نَعَمْ، وَنَسَأُهَا عَنْ بَعْضِ أَهْلِهَا^(١)
تَبِيَتْ تَنْشُرُهَا، طَوْرًا، وَتَطْوِيهَا^(٢)
يُنِيرُهَا الْبَرْقُ، أَحْيَانًا، وَيُسْدِيهَا^(٣)
عَلَى رُبُوعِكَ، أَوْ تَغْدُو غَوَادِيهَا^(٤)
يَوْمَ الْكَثِيبِ، وَلَمْ تَسْمَعْ لِدَاعِيهَا^(٥)
فَالْهَجْرُ يُبْعِدُهَا، وَالْدَّارُ تُدْنِيهَا^(٦)



يَا مَنْ رَأَى الْبِرْكَةَ الْحَسَنَاءَ رَوَيْتَهَا، وَالْأَنْسَاتِ، إِذَا لَاحَتْ مَغَانِيهَا^(٧)

(١) من ليلى: أي الخالية من ليلى.

(٢) الدمنة: ما اسود من آثار الدار بالبعر والرماد وغيرهما. يقول: إن الريح تهب عليها من جهات مختلفة، فحيناً تشكف التراب عن رسومها، وحيناً تغطيها.

(٣) الحلل: الثياب لها بطانة، مفردها حلة، والمراد هنا بالثياب: الغيوم. ينيرها: يمد خيوطها عرضاً. يسديها: يمد خيوطها طولاً.

(٤) الروائح: غيوم المساء. الغوادي: غيوم الصباح.

(٥) البخيلة: حبيبته. الكثيب: المرتفع من التل، وقوله: يوم الكثيب: أي يوم رآها هناك.

(٦) تأود: تشنى.

(٧) رويتها: فاعل الحسناء. المغاني: المنازل، واحدها مغنى. والظاهر أنه كان حول البركة بيوت لاغتسال الجواري.

بَحْسِبِهَا أَتَهَا، فِي قَضَلٍ رُتِبَتْهَا،
 مَا بَالُ دِجَلَةٍ كَالْغَيْرَى تُنَافِسُهَا
 أَمَا رَأَتْ كَالِيءَ الْإِسْلَامِ يَكْلُوهَا
 كَأَنَّ جَنَّ سُلَيْمَانَ الَّذِينَ وَلُوا
 فَلَوْ تَمَرَّ بِهَا بَلْقِيسُ عَنْ عُرْضٍ،
 تَنَصَّبَ فِيهَا وَفُوذُ الْمَاءِ مُعْجَلَةٌ،
 كَأَنَّمَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ سَائِلَةٌ
 إِذَا عَلَتْهَا الصُّبَا، أَبَدَتْ لَهَا حُبُكًا
 فَحَاجِبُ الشَّمْسِ، أَحْيَانًا، يُضَاجِحُهَا،
 إِذَا التَّجْوُمُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِبِهَا
 لَا يَبْلُغُ السَّمَكُ الْمَحْصُورُ غَايَتَهَا،
 يَغْمُنُ فِيهَا بِأَوْسَاطٍ مُجَنِّحَةٍ،
 لَهْنٌ صَحْنٌ رَحِيبٌ فِي أَسَافِلِهَا،

تُعَدُّ وَاحِدَةً، وَالْبَحْرُ ثَانِيهَا
 فِي الْحُسْنِ، طَوْرًا، وَأَطْوَارًا ثَبَاهِيهَا
 مِنْ أَنْ تُعَابَ، وَيَانِي الْمَجْدِ يَبْنِيهَا^(١)؟
 إِبْدَاعُهَا، فَأَذَقُوا فِي مَعَانِيهَا^(٢)
 قَالَتْ: «هِيَ الصَّرْحُ» تَمْثِيلًا وَتَشْبِيهًا^(٣)
 كَالْخَيْلِ جَارِيَةٍ مِنْ حَبْلِ مُجْرِيهَا
 مِنَ السَّبَائِكِ تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا
 مِثْلَ الْجَوَاشِينِ، مَصْقُولًا حَوَاشِيهَا^(٤)
 وَرَيْقُ الْغَيْثِ، أَحْيَانًا، يُبَاكِهَا
 لَيْلًا، حَسِبَتْ سَمَاءَ رُكِبَتْ فِيهَا
 لُبْعِدٍ مَا بَيْنَ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا^(٥)
 كَالطَّيْرِ تَنْقُضُ فِي جَوْ خَوَافِيهَا^(٦)
 إِذَا انْحَطَطْنَ، وَبَهُوَ فِي أَعَالِيهَا^(٧)

-
- (١) الكالء: المانع والحارس. وكالء الإسلام: الخليفة.
 (٢) الذين: خبر كأن لا نعت الجن. ولوا: من ولي الأمر أي تولاه.
 (٣) بلقيس: ملكة سبأ وكانت معاصرة لسليمان الحكيم. وفدت عليه من اليمن لتسمع حكمته. وتقول الرواية العربية إن سليمان كان يسخر الجن فتطيعه. فأمرهم أن يبنوا له صرحاً يستقبلها فيه. فبنوا صرحاً من قوارير أخضر، وجعلوا له طوابيق (قطع الآجر الكبير) من قوارير كأنها الماء. وجعلوا في باطن الطوابيق صوراً من أجناس سمك البحر ودوابه. ثم أطبقوه. فلما دخلت بلقيس، حسبته لجة وماء فرفعت ثيابها. فالشاعر يشبه بركة المتوكل في جمالها ودقة صنعها بصرح سليمان. عن عرض: من جانب.
 (٤) الحبك: تجعد الماء وتكسره. واحدها حبيكة. الجواشن: الدروع، مفردها جوشن.
 (٥) غايتها: نهايتها.
 (٦) الخوافي: الريش الصغار في جناح الطائر بعد القوادم، مفردها خافية. شبه أجنحة السمك الثابتة في أوساطها بخوافي الطير حين تنقض كاسرة أجنحتها للانحدار.
 (٧) الصحن: الساحة. البهو: البيت الواسع.

صُورَ إِلَى صُورَةِ الدُّلْفَيْنِ، يُؤْنِسُهَا
تَغْنَى بِسَاتِيئِهَا الْقُصُوى بِرُؤْيَيْتِهَا،
كَأَنَّهَا، حِينَ لَجَتْ فِي تَدْفِقِهَا،
وَزَادَهَا رُتَبَةً، مِنْ بَعْدِ رُتَبَتِهَا،
مَحْفُوفَةً بِرِيَاضٍ، لَا تَزَالُ تَرَى
وَدَكَّتَيْنِ كَمِثْلِ الشَّعْرَيْنِ، غَدَتْ
إِذَا مَسَاعِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَدَتْ
إِنَّ الْخِلَافَةَ، لَمَّا اهْتَزَّ مِنْبَرُهَا
أَبْدَى التَّوَاضُّعَ، لَمَّا نَالَهَا، دَعَةً
إِذَا تَحَلَّتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِلْيَتِهَا،
مِنْهُ انْزِوَاءً بِعَيْنَيْهِ، يُوَازِيهَا^(١)
عَنِ السَّحَابِ، مُنَحَلًّا عَزَالِيهَا^(٢)
يَدُ الْخَلِيفَةِ، لَمَّا سَالَ وَادِيهَا^(٣)
أَنَّ اسْمَهُ، يَوْمَ يُدْعَى، مِنْ أَسَامِيهَا^(٤)
رِيَشَ الطَّوَاوِيسِ، تَحْكِيهِ، وَيَحْكِيهَا
إِحْدَاهُمَا بِإِذَا الْآخَرَى، تُسَامِيهَا^(٥)
لِلْوَاصِفِينَ، فَلَا وَصَفَ يُدَانِيهَا^(٦)
بِجَعْفَرٍ، أُعْطِيَتْ أَقْصَى أَمَانِيهَا
عَنْهَا، وَنَالَتُهُ، فَاخْتَالَتْ بِهِ تِيهَا^(٧)
رَأَتْ مَحَاسِنَهَا الدُّنْيَا مَسَاوِيهَا^(٨)

- (١) صور: مائلة بوجهها وأعناقها. الدلفين: دابة بحرية، كان يعتقد الأقدمون أنها صديقة للإنسان تنجيه من الغرق. الانزواء: الانحراف. يوازيها: يجاريها. يقول: إن السمك تمر مائلة بأنظارها إلى صورة الدلفين المنقوشة على جدار البركة خشية منه أن يسطو عليها. ولكنها تستأنس في مرورها، لأن نظره منحرف عنها يرافقها في انحرافه، فلا يقع عليها.
- (٢) العزالي: جمع عزلاء وهي مصب الماء من القربة. يقال: أنزلت السماء عزاليها، إشارة إلى شدة المظمر على التشبيه بنزوله من أفواه القرب. وقوله: منحلا عزاليها، أي منحلا عقدها فتدقق ماؤها.
- (٣) واديه: الضمير يعود إلى يد الخليفة. والوادي هنا كناية عن باطن الكف. وقوله: سال، أي سال بالعطاء.
- (٤) اسم المتوكل جعفر، ومعنى جعفر: النهر. فاسم البركة مشرف باسم الخليفة على اعتبار أنها نهر.
- (٥) الدكة: بناء يسطح أعلاه للمجلوس عليه. الشعريان: كوكبان متقابلان يقال لأحدهما الشعري العبور، وللثاني الشعري الغميصاء، أي بإزائها: بمقابلها. يقول: إن بجانب البركة دكتين للمجلوس متقابلتين كالشعريين، تتنافسان بالانقار والجمال. وقوله: ودكتين: معطوفة على رياض.
- (٦) المساعي: المكارم والمعالي في أنواع المجد، مفردها مسعاة.
- (٧) دعة عنها: أي سعة وغنى.
- (٨) أي رأت الدنيا محاسنها مساوىء أمام محاسنه.

يا ابنَ الأباطح، من أرض، أباطحها،
 ما ضَيَّعَ اللُّهُ، في بَدْوٍ وفي حَضَرٍ،
 وأُمَّةٌ، كانَ قُبْحُ الجَوْرِ يُسْخِطُها
 بَثَّتْ فيها عَطاءً، زادَ في عَدَدِ
 ما زِلْتَ بَحْراً لِعَافِينا، فَكَيْفَ وقد
 أعطاكها اللُّهُ عَن حَقٍّ، رَأَى لَهُ

وقال يصف إيوان كسرى في المدائن:

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدْتَسُّ نَفْسِي،
 وَتَمَاسَكْتُ حَيْثُ زَعَزَعُ
 بُلُغٌ مِنْ صُبابَةِ العَيشِ عِنْدِي،
 وَبَعِيدٌ ما بَيْنَ وارِدِ رِفْهِ،
 وَكَأَنَّ الزَّمَانَ أَصْبَحَ مَحْمُومًا
 وَتَرَفَعْتُ عَن جَدَا كُلِّ جَبَسٍ^(٤)
 فِي الدَّهْرِ التِّماساً مِنْهُ لَتَعْسِي وَنُكْسِي^(٥)
 طَفَقَتْها الأَيَّامُ تَطْفِيفَ بَخْسٍ^(٦)
 عَلَلِ شُرْبُهُ، وَوَارِدِ خَمْسٍ^(٧)
 لَأَهْوَاهُ مَعَ الأَخْسِ الأَخْسِ^(٨)

(١) الأباطح: جمع الأبطح، ومؤنثه البطحاء، وهو المسيل الواسع فيه دقائق الحصى، أو الأرض السهلة مما جرت السيل من التراب. ومن ذلك قالوا: قریش البطاح، وهم الذين ينزلون في أباطح مكة أو بطائحها، وهم أشرف قریش، والعباسيون منهم. ودونهم قریش الظواهر، وهم الذين ينزلون بظهر مكة حيث تغلظ الأرض وترتفع. ولذلك قال الشاعر: أباطحها في ذروة المجد أعلى من روابيها.

(٢) العافي: طالب المعروف.

(٣) قوله: وأنت بحق الله تعطيها، أي أن عطايها لا يبذلها في سبيل التبذير والإسراف، بل هي في سبيل الله، زكوات وصدقات يفيد منها ذوو الحاجات.

(٤) الجدا: العطاء. الجبس: اللثيم والجبان.

(٥) نكسي: إذلالي.

(٦) البلغ، جمع البلغة: ما يكفي من العيش، وليس فيه فضلة. الصبابة: البقية من الماء واللبن، والمراد بقية من المال يعيش بها. طفقتها: أنقصتها. البخس: الظلم وهضم الحقوق.

(٧) وارد رفه: أي يرد الماء كل يوم متى يشاء. علل شربه: أي يشرب تبعاً لشربة بعد أخرى. وارد خمس: أي يشرب في اليوم الرابع بعد ظم ثلاثة أيام.

(٨) محمولاً هواه: أي يميل إلى الأخساء فيصافيههم دون الكرام.

- واشترائي العراق خِطَّةً غَبِينِ،
لا تُرْزُني مُزاولاً لاخْتِباري،
وقديماً عَهِدْتَنِي ذَا هَنَاتِ
ولقد رابني نُبوؤ ابنِ عَمِّي،
وَإِذَا مَا جُفَيْتُ، كُنْتُ حَرِيّاً
حَضَرْتُ رَحْلِي الهمومُ، فَوَجَّهْ
أَتَسَلَى عَنِ الحُظْرِطِ، وَأَسَى
ذَكَرْتَنِيهِمُ الحُطُوبُ التَّوَالِي،
وَهُمُ خَافِضُونَ فِي ظُلِّ عَالِ
مُغْلَقِ بَابُهُ، عَلَى جَبَلِ القَبْ
- بَعْدَ بَيْعِي الشَّامَ بَيْعَةً وَنَكْسِ^(١)
عِنْدَ هَذَا الْبَلَوِ، فَتُنَكِّرَ مَسِي^(٢)
أَبْيَاتِ، عَلَى الدَّنِيَّاتِ، شَمْسِ^(٣)
بَعْدَ لَيْلٍ مِنْ جَانِبَيْهِ وَأُنْسِ^(٤)
أَنْ أَرَى غَيْرَ مُصْبِحٍ حَيْثُ أُمْسِي
تُ إِلَى أْبْيَضِ الْمَدَائِنِ عَنَسِي^(٥)
لَمَحَلٍّ مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرْسِ^(٦)
وَلَقَدْ تُذَكِّرُ الحُطُوبُ وَتُنْسِي
مُشْرِفٍ، يُحَسِرُ الْعِيُونَ وَيُخْسِي^(٧)
قِي، إِلَى دَارَتِي خِلَاطٍ وَمَكْسِ^(٨)

- (١) واشترائي العراق: معطوفة على بلغ. يتابع ذكر أحواله، فيرى الخسارة في مجيئه إلى العراق بعد تركه الشام. الخطّة: الأرض التي يخطّطها الإنسان لنفسه لينزل بها. الوكس: الخسارة في المتاجرة.
- (٢) لا ترزني: يقال رازي الشيء يروزه جربه وقدره وامتحنه لينظر ثقله. مزاولاً: محاولاً، يريد أن أحداث الدهر غيرت حاله فأصبح ينكره من يحاول معرفته حين يراه.
- (٣) الهنات: الخصال، وتستعمل في الشر والأذى، واحدها هنت. وقيل: واحدها هنة، تأنيث هن وهو كناية عن كل اسم جنس. شمس: جمع شمس، أي صعب المراس على من عانده.
- (٤) النبو: التجافي والخشونة.
- (٥) حضرت رحلي الهموم: أي جعلته حاضراً وأعدته للرحيل. أبيض المدائن: أي القصر الأبيض لكسرى؛ والمدائن: عاصمة الأكاسرة قرب بغداد وفيها الإيوان. سميت بالجمع لأنها سبع مدن قائمة على ضفتي دجلة. عنسي: ناقتي.
- (٦) آل ساسان: أي ملوك الفرس من نسل أردشير حفيد ساسان، مؤسس الدولة الساسانية. درس: بال.
- (٧) خافشون: عائشون برفاهة ودعة. يحسر: يعيى ويكل. يخسي: مسهل يخسي، أي يكل ويحسر.
- (٨) دارتي خِلَاطٍ ومكس: مكانان؛ والدارة كل أرض واسعة بين جبال.

جَلَلٌ، لَمْ تَكُنْ كَأَطْلَالٍ سَعْدَى،
وَمَسَاعٍ، لَوْلَا الْمُحَابَاةُ مِنِّي،
نَقَلَ الدَّهْرُ عَهْدَهُنَّ عَنِ الْجِدِ
فَكَأَنَّ الْجِرْمَا زَ، مِنْ عَدَمِ الْأَثَرِ
لَوْ تَرَاهُ، عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي
وَهُوَ يُنْبِيكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ،
فَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا
وَالْمَنَايَا مَوَائِلَ، وَأَنْوَشَرَ
فِي اخْضِرَارٍ مِنَ اللَّبَاسِ، عَلَى أَضْ
وَعِرَاكُ الرِّجَالِ، بَيْنَ يَدَيْهِ،
مَنْ مُشِيحٍ، يُهْوِي بِعَامِلٍ رُمَحٍ؛
فِي قِفَارٍ مِنَ الْبَسَاسِ مُلْسٍ^(١)
لَمْ تُطْفِئْهَا مَسَاعَاةٌ عَنَسٍ وَعَبَسٍ^(٢)
لَذَّةً، حَتَّى عَدَوْنَ أَنْضَاءَ لُبْسٍ^(٣)
سٍ وَإِخْلَاقِهِ، بَنِيَّةُ رَمْسٍ^(٤)
جَعَلْتُ فِيهِ مَأْتَمًا، بَعْدَ عُرْسٍ
لَا يُشَابُ الْبَيَانُ فِيهِمْ بَلْبَسٍ^(٥)
كَيْتَةً ارْتَعَتْ بَيْنَ رُومٍ وَفُرسٍ
وَأَنْ يُزْجِي الصَّفُوفَ تَحْتَ الدَّرَفْسِ^(٦)
فَرَّ يَخْتَالُ فِي صَبِيغَةِ وَرْسٍ^(٧)
فِي خُفُوتٍ مِنْهُمْ وَإِغْمَاضٍ جَرَسٍ^(٨)
وَمُلِيحٍ، مِنَ السَّنَانِ، بِثُرْسٍ^(٩)

- (١) حلل: جمع حلة وهي المحلة. البساس: جمع البسيس وهو القفر الخالي. الملس: جمع أملس وملساء وهي الفلاة ليس بها نبات.
- (٢) المساعي: جمع مسعاة وهي المكreme والمعلقة. عنس: قبيلة قحطانية من اليمن. عبس: قبيلة عدنانية من نجد. يقول: لولا محاباتي للعرب لأنني عربي، لقلت إن مساعي الفرس لم تستطع بلوغها قبائل العرب من قحطانية وعدنانية.
- (٣) الجدة: حالة الشيء الجديد. الأنضاء: جمع نضو وهو المهزول. اللبس: الاختلاط والإشكال. يقول: غير الدهر حالة هذه الحلل والمساعي، فأصبحت بعد جدتها هزيلة بالية يشكل أمرها على الناظر إليها، وتلبس عليه حقيقتها؛ فما يكاد يتبينها ويعرفها.
- (٤) الجرماز: أحد أبهاء القصر. إخلاقه: بلاه؛ ورويت إخلاله.
- (٥) لا يشاب: لا يخلط. اللبس: الاختلاط والإشكال، وتضم لاه. يقول: إن ما بقي من آثار الجرماز حقيق بأن يحدثك عن عجائبيهم بكلام واضح البيان ليس فيه التباس.
- (٦) يزجي: يسوق. الدرفس: راية الفرس المقدسة، رمز تحرير بلادهم على يد بطلهم الأسطوري أفريدون، أي راية الحداد كاوي «درفشي كاويغاني» وكانت محلاة بالجواهر الكريمة.
- (٧) يختال: يتبختر تكبراً. الورس: نبات كالشمس أصفر يصبغ به، وقيل صبغ أحمر. قد تكون هذه الألوان تمثل ثياب كسرى المصبغة. وقد يكون قوله: على أصفر، أي على جواد أصفر.
- (٨) الخفوت: الكسوت. الجرس: الصوت الخفي.
- (٩) المشيح: المقبل عليك والمانع لما وراء ظهره. عامل الرمح: صدره. مليح: محاذر خوفاً.

- تَصِفُ الْعَيْنُ أَتُهُمْ جِدُّ أَحْيَا
يَغْتَلِي فِيهِمْ اِزْتِيَابِي، حَتَّى
قَدْ سَقَانِي، وَلَمْ يُصَرِّدْ، أَبُو الْغَوِ
مِنْ مُدَامٍ، تَقُولُهَا هِيَ نَجْمٌ
وَتَرَاهَا، إِذَا أَجَدْتَ سُرُوراً
أَفْرِغْتَ فِي الزَّجَاجِ، مِنْ كُلِّ قَلْبٍ،
وَتَوَقَّعْتَ أَنْ كَسَرَى أَبْرُوزٍ
حُلْمٌ مُطِيقٌ عَلَى الشُّكِّ عَيْنِي،
وَكَاَنَّ الْإِيوَانَ مِنْ عَجَبِ الصُّنْدِ
يُتَظَنِّي، مِنَ الْكَآبَةِ، أَنْ يَبْ
- ء، لَهُمْ، بَيْنَهُمْ، إِشَارَةُ خُرْسٍ^(١)
تَتَقَرَّاهُمْ يَدَايِ بِلَمْسٍ^(٢)
ث، عَلَى الْعَسْكَرَيْنِ، شُرْبَةُ خَلْسٍ^(٣)
أَضْوَأُ اللَّيْلِ، أَوْ مُجَاجَةٌ شَمْسٍ^(٤)
وَارْتِيَا حَاحاً لِلشَّارِبِ الْمُتَحَسِّي^(٥)
فَهِيَ مَحْبُوبَةٌ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ^(٦)
زَ مُعَاطِي، وَالْبَلْهَبُذُ أَنْسِي^(٧)
أَمْ أَمَانٍ غَيْرَ ظَنِّي وَحَدْسِي؟
مَعَةً جَوْبٌ، فِي جَنْبٍ أَرَعَنْ جِلْسٍ^(٨)
بَدْوٍ لَعَيْنِي مُصْبِحٍ أَوْ مُمَسِّ^(٩)

- (١) يقول: تخدع العين بدقة الرسم فتنتعهم بالأحياء يتبادلون إشارة خرس.
- (٢) يغتلي: يعظم. تتقراهم: تتابعهم. يقول: يزيد ارتيابي فيهم، فأتابعهم باللمس لأتحقق أصور مرسومة هم أم أشخاص أحياء يتحاربون؛ يريد المبالغة في دقة الرسم وبراعته.
- (٣) لم يصدر: لم يقلل. أبو الغوث: ابن البحتري. على العسكرين: على منظر العسكرين. الخلس: الاختلاس. أي شربة مختلصة سريعاً.
- (٤) تقولها: تظنها. مجابة الشمس: ريقها أي شعاعها. يقال: مجت الشمس ريقها: رمت بشعاعها.
- (٥) وراها: وتظنها. أجدت: جددت. المتحسي: المتجرع جرعة بعد أخرى.
- (٦) أفرغت: الجملة مفعول ثانٍ لراها.
- (٧) كسرى أبرويز: حفيد كسرى أنوشروان، ملك من سنة ٥٩٠ إلى سنة ٦٢٨ م. وقد سماه الشاعر قبلاً أنوشروان، فالظاهر أنه يخلط بين الاسمين. ونرجح أن صورة أنطاكية تمثل أبرويز في المعركة التي انكسرت فيها جيوش هرقل سنة ٦١٤ م ففتحت للفرس الطريق إلى القدس، فاستولوا على سوريا حتى سنة ٦٢٨. معاطي: أي يعاطيه الشراب، يعني يشاربه. البلهبد ويقال الفلهبد: من كبار المغنين عند الفرس. أنسي: أي يؤنسه بصوته.
- (٨) الجوب: الترس. أرعن: أحمق. جلس: غليظ أحمق. يشبه شكل الإيوان وهيئته بترس في جنب رجل غليظ أحمق، أي أنه مستدير على شكل الترس، قائم في جنب بناء عظيم، أو في جنب جبل يشبه الرجل الجلس في غلاظته.
- (٩) يتظني: يعمل الظن فيه، أي يظن فيه.

مُزْعَجاً بِالْفِرَاقِ عَنْ أَنْسِ الْفَيْ، عَزَّ، أَوْ مُزْهَقاً بِتَطْلِيْقِ عِزْسِ^(١)
عَكَّسَتْ حَظَّهُ اللَّيَالِي، وَبَاتَ الدَّ مُشْتَرِي فِيهِ، وَهُوَ كَوَكْبُ نَحْسِ^(٢)
فَهُوَ يُبْدِي تَجَلُّداً، وَعَلَيْهِ كَلْكُلٌ مِنْ كَلَاكِلِ الدَّهْرِ مُرْسِ^(٣)

-
- (١) مرهقاً: مكلفاً. العرس: الزوجة. يقول: يظن من ينظر إليه عند الصباح والمساء أنه يبدو من كآبته، عاشقاً مزعجاً أبعد الفراق صاحبه فمز عليه أن يصل إليه، أو زوجاً كلفته الأيام تطليق زوجته فطلقها على كره منه.
- (٢) المشتري: نجم من السيارات، ويقال له بالفارسية برجيس، وطالع برجه سعد عند الأقدمين.
- (٣) الكلكل: الصدر. مرس: ثابت.

المتنبي

واحر قلباه!

قال يفتخر ويعاتب سيف الدولة، بعد أن كثرت السعايات بين الأمير والشاعر، وبدا الجفاء من صاحب حلب، فانقطع أبو الطيب مدة عن قول الشعر، ثم دخل عليه فأنشده هذه القصيدة في مجلس حافل بالأمراء والشعراء والأدباء:

وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي، عِنْدَهُ، سَقَمٌ ^(١)	وَاحَرَ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَيْمٌ
وَتَدْعِي حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمَمُ ^(٢) ؟	مَا لِي أَكْتَمْتُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي،
فَلَيْتَ أَنَا، بِقَدْرِ الْحُبِّ، نَقْتَسِمُ ^(٣)	إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِعُزَّتِي،
وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ، وَالسَّيْفُ دَمٌ	قَدْ زُرْتُهُ، وَسَيْفُ الْهِنْدِ مُغَمَّدَةٌ؛
وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الْأَحْسَنِ، الشَّيْمُ ^(٤)	فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ كُلَّهُمْ؛

(١) واحر قلباه: للندبة؛ أراد واحر قلبي، فأبدل من الياء ألفاً طلباً للخفة، والعرب تفعل ذلك في النداء، وألحق بعد الألف هاء السكت، والعرب تفعل ذلك، وحرك الهاء لسكونها وسكون الألف، وللحرب في ذلك أمران: فمنهم من يحرك بالضم تشبيهاً بهاء الضمير، ومنهم من يحرك بالكسر على ما يوجد كثيراً في الكلام عند التقاء الساكنين. الشيم: البارد. والمعنى: قلبي حار من حبه، وقلبه بارد من حبي، وأنا عنده مختل الحال، معتل الجسم.

(٢) براه: أنحله.

(٣) غرته: طلعه. ليت: اسمها وخبرها محذوفان، سدت أن وصلتها مسدهما. يقول: إن كان حبه يجمع بيني وبين غيري من الناس، فليتنا نقتسم المنزلة عنده بمقدار ذلك الحب، حتى ينال كل منا ما يستحقه.

(٤) الشيم: الأخلاق. يقول: زرتة في السلم، وصحبته في الحرب، فكان أحسن الناس على الحاليين، وكانت شيمه أحسن ما في هذا الأحسن.

يا أَعْدَلَ النَّاسِ، إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي،
أَعْيِدْهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً،
وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ،
سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ، مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا،
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي،
أَنَامُ مِلءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا،
وَجَاهِلٌ مَدَّةً، فِي جَهْلِهِ، ضَحِكِي،
إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْلِ بَارِزَةً،
وَمُهْجَةً، مُهْجَتِي مِنْ هَمِّ صَاحِبِهَا،
فِيكَ الْخِصَامُ، وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكْمُ^(١)
أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فَيَمْنِ شَحْمُهُ وَرَمُ^(٢)
إِذَا اسْتَوَتْ، عِنْدَهُ، الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ^(٣)؟
بِأَنِّي خَيْرُ مَنْ تَسْعَى بِهِ قَدَمُ
وَأَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ
وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَاهَا، وَيَخْتَصِمُ^(٤)
حَتَّى أَتَشَبَّهُ يَدَ فَرَّاسَةٍ، وَقَمُ^(٥)
فَلَا تَظُنَّنْ أَنَّ اللَّيْلَ يَبْتَسِمُ^(٦)
أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهَرَهُ حَرَمُ^(٧)

(١) يقول: أنا وغيري من الشعراء نختصم فيك، وأنت خصمي لأنك لا تعاملني كما تعاملهم، وأنت الملك الحاكم. وملخص المعنى: أنت موضوع الخصام، وأنت الخصم، وأنت الحاكم، فكيف أرجو الإنصاف.

(٢) أعيدها: دعاء لها بالحفظ، كأنه يقول: أعيدها بالله، أي أجعلها في ملجأ الله وملاذه. تقول عاذ به عوداً وعياداً ومعاداً: التجأ واعتصم. نظرات: بدل من ضمير النصب في أعيدها، وهي تفسير له. الشحم: ما دل على الصحة. الورم: ما دل على المرض. يقول: أعيد نظراتك الصادقة أن تشبه عليها الحقيقة، فلا تفرق بين الشاعر والمتشاعر؛ ويخدعها ظاهر الشعر أي وزنه وقافيته، كما يخدع ظاهر الانتفاخ فيمن شحمه صحة، وفيمن شحمه ورم.

(٣) أخي الدنيا: أي الإنسان. الناظر العين.

(٤) شوارد القوافي: أي الأشعار التي تروى وتسير في البلاد. جراها: من أجلها والأصل من جراها، فحذف الجار ونصب المجرور مفعولاً له. يقول: أنام ملء جفوني عن شوارد الشعر لأنني أدركها متى شئت على سهولة ويسر، وغيري من الشعراء يسهرون من أجلها إذا أرادوا النظم، ويخاصم بعضهم بعضاً فيما يظفرون من المعاني لتواطئهم عليها، أو يسهر الناس من أجل حفظها وروايتها، ويخاصم بعضهم بعضاً في شرحها وتفهمها.

(٥) مدته: أمهله وطول له؛ والمراد خدعه وأطمعه. فراسة: مفترسة.

(٦) النيوب: جمع ناب.

(٧) المهجة: الروح. يقول: ورب مهجة، من هم صاحبها إتلاف مهجتي، أدركتها بجواد كأن ظهره حرم لا يتهك، أي من ركبته أمن اللحاق.

رِجْلَاهُ فِي الرِّكَضِ رِجْلٌ، وَالْيَدَانِ يَدٌ،
وَمُرْهَفٍ سَرْتُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ،
الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي،
صَحِبْتُ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مُنْقَرِداً،
يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ،
مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ،
إِنْ كَانَ سَرَكَكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا،
وَبَيِّنْنَا، لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ، مَعْرِفَةً؛
كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا غَيْباً، فَيُعْجِزُكُمْ،
مَا أَبْعَدَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصَانِ مِنْ شَرْفِي،
لَيْتَ الْغَمَامَ، الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ،
أَرَى النَّوَى يَقْتَضِينِي كُلَّ مَرَحَلَةٍ،

وَفَعَلَهُ مَا تُرِيدُ الْكَفَّ وَالْقَدَمُ^(١)
حَتَّى ضَرَبْتُ، وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِطُ^(٢)
وَالسَّيْفُ وَالزَّمْعُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّي الْقَوْرُ وَالْأَكْمُ^(٣)
وَجَدَانَا كُلُّ شَيْءٍ، بَعْدَكُمْ، عَدَمٌ
لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمٌ^(٤)
فَمَا لَجُرِحَ، إِذَا أَرْضَاكُمْ، أَلَمٌ
إِنَّ الْمَعَارِفَ، فِي أَهْلِ النَّهْيِ، ذِمَمٌ^(٥)
وَيَكْرَهُ اللَّئُ مَا تَأْتُونَ، وَالْكَرَمُ
أَنَا الثَّرِيَا، وَذَاكَ الشَّيْبُ وَالْهَرَمُ^(٦)
يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدَّيْمُ^(٧)
لَا تَسْتَقِيلُ بِهَا الْوَحَادَةُ الرَّسْمُ^(٨)

- (١) يصف استواء وقع قوائمه وصحة جريه، فكأن رجليه رجل واحدة، لأنه يرفعهما معاً، ويضعهما معاً، وكذلك اليدان، وهذا الجري يسمى المناقلة؛ وفعله ما تريد الكف بالسوط، والرجل بالركل فهو يغنيك عنهما.
- (٢) المرهف: السيف الرقيق الحد. الجحفلين: الجيشين العظيمين.
- (٣) القور: جمع قارة وهي الأرض ذات الحجارة السوداء، ويروى الغور: وهو المطمئن من الأرض. الأكُم، جمع أكمة: الجبل الصغير.
- (٤) أخلقنا: أولانا وأجدرنا. أمم: قريب. يقول: ما كان أولانا بتكرمة منكم، لو أن عقيدتكم فينا قريبة من عقيدتنا فيكم، أي لو بادلتونا الحب الذي نحفظه لكم.
- (٥) النهي: العقول. الذمم: العهود.
- (٦) ذان: مثني ذاء، اسم إشارة للعيب والنقصان. يقول: العيب والنقصان بعيدان عن شرفي بعد الشيب والهزم عن الثريا.
- (٧) الغمام: السحاب. الديم: الأمطار التي تدوم أياماً؛ أراد بالغمام سيف الدولة، وبالصواعق غضبه وأذاه، وبالديم عطاياه. يقول: ليت سيف الدولة يزيل أذيته عني ويحيلها إلى الذين يتنفعون من عطاياه.
- (٨) النوى: البعد. يقتضيني: يطالبني، وعدها إلى اثنين على تضمينه معنى يكلفني.
- الوخادة: الإبل السريعة السير. الرسم: جمع رسوم وهي الناقة التي تؤثر في الأرض =

لَئِنْ تَرَكَنْ ضَمِيرًا عَنْ مَيَامِنِنَا لَيَحْدُثَنَّ، لِمَنْ وَدَعْتُهُمْ، نَدَمٌ^(١)
 إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ، وَقَدْ قَدَّرُوا أَنْ لَا تُفَارِقَهُمْ، فَالزَّاحِلُونَ هُمْ
 شَرُّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ، وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِمْ^(٢)
 وَشَرُّ مَا قَنَصْتَهُ رَاخَتِي قَنَصٌ، شَهَبُ الْبُرْزَةِ سَوَاءٌ فِيهِ وَالرَّخْمُ^(٣)
 بَأْيٍ لِفِظٍ تَقُولُ الشَّعْرَ زَعِيفَةً، تَجُورُ عِنْدَكَ، لَا عُرْبٌ وَلَا عَجَمٌ^(٤)
 هَذَا عِتَابُكَ، إِلَّا أَنَّهُ مَقَّةٌ، قَدْ ضَمِنَ الدَّرَّ، إِلَّا أَنَّهُ كَلِمٌ^(٥)

وقال يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه ثغر الحدث سنة ثلاث وأربعين
 وثلاث^(٦) مئة:

= بأخفافها. يقول: أرى البعد عنكم يكلفني أن أقطع كل مرحلة شاسعة، لا تقوم بقطعها الإبل
 السريعة الشديدة.

(١) تركن: الضمير للوخادة للرسم. ضمير: جبل عن يمين الراحل من سورية إلى مصر،
 أو قرية قريبة من دمشق. والمعنى: لئن رحلت إلى مصر ليندمن سيف الدولة.
 (٢) يصم: يعيب.

(٣) الشهب: جمع أشهب وهو ما فيه بياض يصدعه سواد. الرخم: طائر ضعيف أبقع يشبه
 النسر في الخلقة، يختار لبيضه أطراف الجبال الشاهقة، وشقوق الصخور، ليعسر
 الوصول إليه؛ وأراد بالرخم: ضعاف الشعراء الذين صاروا مساوين له عند سيف
 الدولة، وشبه نفسه بالباز الأشهب بالنسبة إليهم، وأراد بالقنص عطايا سيف الدولة.
 (٤) الزعنف: الجماعة من الأوباش.

(٥) المقّة: المحبة. أنه كلم: ضمير أنه راجع إلى الدر؛ والمراد: عتاب محبة ضمن درر الكلام.

(٦) كان سيف الدولة قد سار نحو ثغر الحدث لبنائها وكان أهلها قد سلموها إلى الدمستق
 بالأمان سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة فنزلها سيف الدولة يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى
 الأخرى سنة ثلاث وأربعين وبدأ من يومه فوضع الأساس وحفر أوله بيده فلما كان يوم
 الجمعة نازله ابن الفقاس الدمستق في نحو خمسين ألف فارس وراجل ووقع القتال يوم
 الاثنين سلخ جمادى الأخرى من أول النهار إلى العصر فحمل عليه سيف الدولة بنفسه
 في نحو خمس مئة من غلمانِه فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر خلقاً كثيراً
 فقتل بعضهم وأقام حتى بنى الحدث ووضع بيده آخر شرفة منها في يوم الثلاثاء لثلاث
 عشرة ليلة خلت من رجب فقال يمدحه وأنشده إياها في ذلك اليوم في الحدث.

وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ ^(١)	عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزَمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ
وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ ^(٢)	وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا
وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجِيُوشُ الْخَضَارِمُ ^(٣)	يُكَلِّفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ
وَذَلِكَ مَا لَا تَدَّعِيهِ الضَّرَاعِمُ ^(٤)	وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ
نُسُورُ الْفَلَا أَحْدَاثُهَا وَالْقَشَاعِمُ ^(٥)	يُفْدِي أَتَمَّ الطَّيْرِ عُمراً سِلَاحَهُ
وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ ^(٦)	وَمَا ضَرَّهَا خَلْقُ بَغِيرِ مَخَالِبِ
وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّاقِبِينَ الْغَمَائِمُ ^(٧)	هَلِ الْحَدَثُ الْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا

- (١) العزيمة بمعنى العزم. والمكرمة اسم من الكرم أي أن العزائم والمكارم تأتي على أقدار فاعليها ويقاس مبلغها بمبلغهم فهي تكون عظيمة حيث يكونون هم عظاماً.
- (٢) الضمير من صغارها للعزائم والمكارم. أي أن الصغير منها يعظم في عين الصغير القدر لأنه يملأ ذرعه والعظيم يصغر في عين العظيم القدر لأن في همته فضلاً عنه.
- (٣) الهم ما هممت به من أمر. والخضارم جمع خضرم وهو الكثير من كل شيء. أي يكلف جيشه أن يقوم بما اقتضت همته من الغزوات والفتوح وهو أمر تعجز عنه الجيوش الكثيرة لأن ما في همته ليس في طاقة البشر تحمله.
- (٤) الأسود: أي يطلب أن يكون عند جيشه وأصحابه مثل ما عنده من الشجاعة والإقدام وذلك شيء لا تدعيه الأسود فكيف تبلغه البشر.
- (٥) فداءه قال له أفديك. ونسور الفلا بدل من أتم الطير أو بيان له. والفلا جمع فلاة وهي الصحراء.
- ويروى الملا وهو مفرد بمعنى الفلاة: وأحداثها أي صغارها وهو بدل تفصيل من نسور. والقشاعم المسنة منها: أراد بأتم الطير عمراً النسور كما قسرهما في الشطر الثاني أي أن النسور صغارها وكبارها تقول لأسلحته نفديك بأنفسنا لأنها كفتها التعب في طلب القوات.
- (٦) ما نفى أو استفهام إنكار. وخلق مصدر. وقوله بغير مخالب حال من ضمير النسور محذوفاً أي خلقها كذلك. والقوائم جمع قائم السيف وهو مقبضة: أي ما ضرَّ النسور لو خُلِقَتْ بغير مخالب بعد أن خُلِقَتْ سيوفه لثقتل بها أعداءه ومقابضها لتكون في أيدي رجاله. يعني أن سيوفه تغنيها عن طلب الصيد فلا تحتاج إلى المخالب.
- (٧) الحدث قلعة بناها سيف الدولة في بلاد الروم وكانوا قد غلبوا عليها وتحصنوا بها فاتاهم سيف الدولة وقتلهم فيها فتلطخت بدمائهم ولذلك وصفها بالحمراء. وقوله أي الساقبين الغمائم مبتدأ وخبر سداً مسدً مفعولي تعلم. يقول هل تعرف هذه القلعة لونها الأول أي قبل أن لونت بالدم وهل تعلم أي الساقبين لها هو الغمائم أجماعاً =

سَقَّتْهَا السَّعَامُ الْغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ قَلَمًا دَنَا مِنْهَا سَقَّتْهَا الْجَمَاجِمُ^(١)
بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا يَقْرَعُ الْقَنَا وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتْلَاطِمُ^(٢)
وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ وَمِنْ جُثْثِ الْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمَائِمُ^(٣)
طَرِيدَةٌ دَهْرٍ سَاقَهَا فَرَدَّتْهَا عَلَى الدِّينِ بِالْخَطِيئِ وَالْدَّهْرِ رَاغِمُ^(٤)
تُفِيثُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذَتْهُ وَهَنَّ لِمَا يَأْخُذَنَّ مِنْكَ غَوَارِمُ^(٥)
إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضَارِعاً مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَارِمُ^(٦)

- = الروم التي سقتها بالدم أم السحائب من الماء فهي لا تعلم أي هذين الفريقين أحق بأن يسمى بالغنائم لأنهما استويا في السقيا. وقد فسر هذا المعنى في البيت التالي.
- (١) الغمام جمع غمامة. والغرّ البيض.
- (٢) فأعلى أي فأعلاها. والقنا عيدان الرماح: أي بناها ورماحه تقارع رماح العدو وقد كثر القتل حولها حتى كانت المنايا كبحر يتلاطم موجة.
- (٣) مثل اسم كان وهو خلف من موصوف أي شيء مثل الجنون. وأصبحت تام والواو بعده للحال. والتمايم جمع تميمة وهي العوذة يتوقون بها من الجن. أراد بما كان بها مثل الجنون اضطراب الفتنة من الروم الذين كانوا يأتونها ويحاربون أهلها فلما قتلهم سيف الدولة علق القتلى على حيطانها كما تعلق التمايم على المجنون فسكنت الفتنة.
- (٤) الطريدة ما طردته من صيد أو غيره والتاء فيها للاسمية. والخطيئ الرمح. وراغم أي ذليل. أي كانت هذه القلعة كالطريدة أمام الدهر تعقبها حوادثه بأن سلطت عليها الروم يهاجمونها مرة بعد أخرى حتى دفعتهم عنها بالرماح وردتها على رغم الدهر.
- (٥) أفاته الشيء حملة على فوته وفاعل تفيت ضمير المخاطب. والليالي مفعول أول وسكنه ضرورة أو على لغة. وكل مفعول ثان. وغرم الدين والغصب وغير ذلك أذاه. يقول إذا سلبت الليالي شيئاً أكرهتها على فوته لأنها لا تقدر على استرداده منك وهي إذا أخذت منك شيئاً غرمتك لأنك تلزمها غرامته. ويروى أخذته بالنون ضمير الليالي بناءً على أن الليالي فاعل تفيت والمفعول الأول محذوف أي من عادة الليالي إذا أخذت شيئاً أن لا ترده على صاحبه فتفيتها إياه فإن أخذت منك شيئاً غرمتك. والمعنى أنت أقوى من الدهر فلا يقدر على مغالبتك لأن سعدك يغلب حوادثه.
- (٦) أراد بالمضارع المستقبل أي إذا نويت أن تفعل أمراً وقع ذلك الفعل لوقته فصار ماضياً قبل أن تكون فيه مهلة لدخول الجازم. وخص أدوات الجزم من عوامل المضارع لأنها لغير الإيجاب فإن منها للنفي وهو لم ولما ومنها للطلب وهو لا واللام وبواقها للشرط. فكانه يقول إذا هممت بأمر عاجلته قبل أن يتصور فيه النفي وقبل أن يقول القائل لا تفعل أو ليفعل سيف الدولة كذا وكذا ولم تنتظر أن يقدر فيه شرط أو جزاء =

وَكَيْفَ تُرْجِي الرُّومَ وَالرُّوسَ هَدَمَهَا وَذَا الطَّعَنُ اسَاسٌ لَهَا وَدَعَائِمُ^(١)
وقد حَاكَمُوهَا وَالْمَنَايَا حَوَاكِمُ فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلَا عَاشَ ظَالِمُ^(٢)
أَتَوْكَ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّمَا سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ^(٣)
إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ ثِيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ^(٤)
خَمِيسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ رَحْفُهُ وَفِي أَذُنِ الْجَوَازِ مِنْهُ زَمَازِمُ^(٥)
تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ لِسَانٍ وَأُمَّةٍ فَمَا يُفْهِمُ الْحَدَاثَ إِلَّا التَّرَاجِمُ^(٦)
فَلَيْلَهُ وَقْتُ ذَوْبِ الْغَيْشِ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضَبَارِمُ^(٧)

= كَأَن يُقَالُ إِن تَفْعَلْ كَذَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ كَذَا لِأَن مَا تَنْوِيهِ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى شَرْطٍ وَلَا تَخَافُ وَرَاءَهُ عَاقِبَةٌ .

(١) الضمير من هدمها للقلعة وأساس جمع أس: أي كيف يرجون أن يهدموها وهي موقوفة بالطعن كما توثق بالأساس والدعائم .

(٢) جعل القلعة والروم خصمين والمنايا في الحرب حاكمة بينهما فحكمت للمظلوم وهو القلعة بالسلامة فلم تترك لهم سبيلاً إلى هدمها وحكمت على الظالم وهو الروم بالهلاك فأبادتهم .

(٣) السرى سير الليل . والجياذ الخيل: أي أتوا مدججين في السلاح يجرؤونه على جوانب الخيل حتى غابت قوائمها تحت الأسلحة والتجافيف التي عليها فكانها بلا قوائم .

(٤) البيض السيوف: أي إذا برقوا عند وقع الشمس عليهم لم تتميز السيوف منهم لأن أبدانهم مغطاة بالدروع ورؤوسهم بالخوذ وكلها من الحديد فإذا برقت السيوف برقت هذه معها . وعبر عن الدروع والخوذ بالثياب والعمائم على الاستعارة لأنها تلبس في أمكنتها .

(٥) الخميس الجيش وهو خبر عن محذوف أي هم خميس . وزحف الجيش إذا مشى متثاقلاً لكثرتهم . والجوزاء نجمان معترضان في جوز السماء أي وسطها وهما من البروج . والزمازم جمع زمزمة وهي صوت الرعد أراد بها الأصوات الشديدة المتداخلة . يعني أن جيشهم طبق الأرض وبلغت جلبته إلى السماء .

(٦) اللسان بالكسر اللغة . والحداث القوم المتحدثون جمع بلا واحد . والتراجم جمع ترجمان .

(٧) لله كلمة تقال عند التعجب . والغش ما يدخل على المعادن من الحملان وأراد به ما لا خير فيه من الرجال والسلاح . والضبارم السيف القاطع . والضبارم الشجاع الجريء: أي أن نار الحرب في ذلك اليوم سبكت الناس وأسلحتهم فأفنت ما كان رديئاً ولم يبق إلا كل سيف صارم ورجل شجاع .

تَقْطَعُ مَا لَا يَقْطَعُ الدِّرْعَ وَالْقَنَا وَفَرٌّ مِنَ الْفُرْسَانِ مَنْ لَا يُصَادِمُ^(١)
 وَقَفْتُ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لِيَوَاقِفِ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ^(٢)
 تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلِمَى هَزِيمَةً وَوَجْهَكَ وَضَاحٌ وَثَغْرُكَ بِاسِمٌ^(٣)

(١) أي تكسر من السيوف ما لم يكن ماضياً يقطع الدروع والرماح وفرٌّ من الفرسان الجبان الذي لا يطيق الصدام. ويروى فقطع بالفاء والضمير للوقت.

(٢) الردى الهلاك. والجُلْ بعد وقفت أحوال. يقول وقفت في ساحة القتال حين لا يشك واقفٌ في الموت لشدة الموقف وكثرة المصارع فيه حتى كأنك في جفن الردى أي في أقرب المواضع خطراً منه وأشدّها اشتمالاً عليك وكأنّ الردى نائمٌ فلم يبصرَكَ وغفل عنكَ بالنوم فسلمت.

(٣) كلمى جمع كلم بمعنى جريح. وهزيمة أي منهزمة وهو فعيل بمعنى مفعول والثاء فيه للجمع على مذهب البصريين. ووضّاح مشرق، والشجر مقدّم الفم. قال الواحدي سمعت الشيخ أبا معمر الفضل بن إسماعيل يقول سمعت أبا الحسن علي بن عبد العزيز يقول لما أنشد المتنبي سيف الدولة قوله فيه وقفت وما في الموت شك لواقف البيت والذي بعده أنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزَي البيتين على صدرَيهما وقال له كان ينبغي أن تقول:

وقفت وما في الموت شك لواقف ووجهك وضّاحٌ وثغرك باسمٌ
 تمرُّ بك الأبطال كلمى هزيمة كأنك في جفن الردى وهو نائمٌ
 قال وأنت في هذا مثل امرئ القيس في قوله:

كأنّي لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
 ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل لخيلى كزي كزة بعد اجفالي
 قال ووجه الكلام في البيتين على ما قاله العلماء بالشعر أن يكون عجز البيت الأول مع الثاني وعجز الثاني مع الأول ليجمع بين الشيء وما يناسبه. فقال أبو الطيب إن صح أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز كما يعرفه الحائك لأن البزاز يعرف جملة الثوب والحائك يعرف تفاصيله فإن امرئ القيس قرن لذة النساء بلذة الركوب للصيد والشجاعة في منازلة الأعداء بالسماحة في شراء الخمر للأضياف للتضاييف بين كل من الفريقين وأنا كذلك لما ذكرت الموت في صدر البيت الأول اتبعته بذكر الردى في آخره ليكون أحسن تلاؤماً ولما كان الجريح المنهزم لا يخلو أن يكون وجهه عبوساً وعينه باكيةً قلت ووجهك وضّاحٌ وثغرك باسمٌ لا جمع بين الأضداد في المعنى. فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات وفيها خمس مئة دينار.

تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّهْيِ إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ^(١)
 ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً
 بِضَرْبِ أَتَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ
 تَحَقَّرَتِ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحَتْهَا
 وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا
 نَشَرْتَهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَدِ كُلِّهِ
 تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الذَّرَى
 وَصَارَ إِلَى اللَّبَاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمٌ^(٢)
 وَحَتَّى كَأَنَّ السَّيْفَ لِلرُّمَحِ شَاتِمٌ^(٣)
 مِفَاتِيحُهُ الْبَيْضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمُ^(٤)
 كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمُ^(٥)
 وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ^(٦)

- (١) النهي العقل . وإلى قول قوم صلة تجاوزت . وتتمه البيت مفعول القول : أي قد أظهرت من الإقدام على المهالك ومن الصبر على المخاوف ما تجاوزت به مبلغ الشجاعة والعقل إلى ما يقوله قومٌ من أنك تعلم الغيب وتعرف عواقب الأمور قبل حلولها . يعني أن ما اقتحمته من الأهوال لا تثبت أمامه شجاعةٌ وما أظهرته من الصبر وسكون الجأش لا يكفي في مثله العقل والترؤن فكانك قد كوشفت بالغيب وعرفت أن العقابة لك فلبثت في تلك الحال متهلل الوجه محتقراً لما تراه حولك من العظائم .
- (٢) الجناحان ميمنة الجيش وميسرته . وقلبه الكتبية في وسطه . والخوافي والقوادم من ريش الطائر استعارها لرجال الجناحين قيل القوادم عشر ريشات في مقدم كل جناح والخوافي ما تحتها . وقوله تموت الخوافي تحتها أي تحت مثلها ولذلك عبّر بالمضارع . والمعنى أهلكتهم جميعاً .
- (٣) بضرب الباء متعلقة بضممت . والهوامات الرؤوس . واللبات أعالي الصدور . يريد سرعة انتصاره عليهم أي لم يكن إلا حملةً بالسيوف وقعت على هاماتهم والجيشان واقفان لا يتحقق النصر لأحدهما فما بلغت من الهامات إلى اللبات حتى انهزموا فكان النصر لك .
- (٤) الردينات الرماح . يقول ازدريت الرماح لأنها سلاح الجبناء فتركت القتال بها وعمدت إلى السيف وهو سلاح الشجعان لاقتضائهم المقاربة بين الفريقين ولما اخترت السيف على الرمح صار كأن السيف يشتم الرمح تعبيراً له .
- (٥) أي السيوف والضمير من مفاتيحه للفتح .
- (٦) الأحيدب جبل الحدث : أي تبعته على هذا الجبل وبددت جشهم فوقه كما تبدد الدراهم التي تثر على العروس .
- (٧) الوكور جمع وكر الطائر وهو موضع مبيته . والذرى أي أعالي الجبال . يقول تبعته بخيلك في رؤوس الجبال حيث تكون وكور جوارح الطير فقتلتهم هناك حتى كثرت مطاعم الطير حول وكورها .

تَظُنُّ فِرَاحَ الْفُتُخِ أَتُكْ زُرَّتْهَا
 إِذَا زَلَقَتْ مَشِيَّتَهَا بِبُطُونِهَا
 أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدُّمُسْتُقْ مُقَدِّمٌ
 أَيْنَكُرُ رِيحَ اللَّيْثِ حَتَّى يَذُوقَهُ
 وَقَدْ فَجَعَتْهُ بِابْنِهِ وَأَبْنِ صِهْرِهِ
 مَضَى يَشْكُرُ الْأَصْحَابَ فِي قَوْتِهِ الظُّبَى
 وَيَفْهَمُ صَوْتَ الْمَشْرِفِيَّةِ فِيهِمْ
 بِأُمَاتِهَا وَهِيَ الْعِتَاقُ الصَّلَادِمُ^(١)
 كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ^(٢)
 قَفَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ لِوَجْهِ لَائِمٍ^(٣)
 وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ اللَّيْثِ الْبَهَائِمُ^(٤)
 وَبِالصَّهْرِ حَمَلَاتُ الْأَمِيرِ الْغَوَاشِمُ^(٥)
 لِمَا شَغَلَتْهَا هَامُهُمْ وَالْمَعَاصِمُ^(٦)
 عَلَى أَنَّ أَصْوَاتَ السُّيُوفِ أَعَاجِمُ^(٧)

- (١) الفتخ جمع فتخاء من العقبان وهي اللينة الجناح. والأمات جمع أم يقال أمهات للعقلاء وأمات لغيرهم. والعتاق كرام الخيل. والصلادم الشداد: أي تظن فراخ العقبان أن هذه الخيل أماتها لما صعدت بها الجبال وبلغت أوكارها يريد أن خيله كالعقبان في الشدة والسرعة.
- (٢) الصعيد وجه الأرض. والأراقم جمع أرقم وهو الحية فيها سواد وبياض. أي إذا زلقت خيلك في مهابط تلك الجبال لشدة انصبابها مشيتها زحفاً على بطونها كما تزحف الحيات في الصعيد.
- (٣) أقدم خلاف أدبر. وقفاه إلى آخر البيت حال من الضمير في مقدم: أي أنه يقدم ثم ينهزم فيقع الضرب في قفاه فكأن قفاه يلوم وجهه على الإقدام لأنه بسببه تعرض للضرب.
- الليث الأسد. والهاء من يذوقه لليث: أي ألا يزال ينكر ريح الليث فلا يعرفه حتى يذوقه أي حتى يجزب بأسه مع أن البهائم إذا شمّت ريح الليث عرفته فتوقفت عن الإقدام عليه. والبيت مثل أي ألا يعرف سيف الدولة بالخبر حتى يقصده ويختبره بنفسه.
- (٤) فجعه رزأه بشيء يكرم عليه. وحملات بسكون الميم للضرورة. والغواشم التي لا تبالي من أخذت. أي هلاً اعتبر بمن رزته من هؤلاء فلا يجترئ على العود إلى الإقدام.
- (٥) الظبي حدود السيوف. والهام الرؤوس والمعاصم أطراف السواعد. يقول هرب وهو يشكر أصحابه لأنهم شغلوا السيوف عنه بقطع رؤوسهم وأيديهم حتى سبق وفات السيوف.
- (٦) يفهم عطف على يشكر. والمشرقية السيوف. وعلى بمعنى مع: أي إذا سمع صوت وقع السيوف في أصحابه فهم أنها تقتلهم فجذ في الهزيمة مع أن أصوات السيوف عجماء أي ليست ذات لفظ يفهم.

يُسَرُّ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَن جِهَالَةٍ وَلَكِنَّ مَغْنُومًا نَجَا مِنكَ غَانِمٌ^(١)
وَلَسْتَ مَلِيكًا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشَّرِكِ هَازِمٌ^(٢)
تَشْرَفُ عَدَنَانٌ بِهِ لَا رَبِيعَةٌ وَتَفْتَخِرُ الدُّنْيَا بِهِ لَا عَوَاصِمٌ^(٣)
لَكَ الْحَمْدُ فِي الدُّرِّ الَّذِي لِي لَفْظُهُ فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّي نَاطِمٌ^(٤)
وَإِنِّي لَتَعْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي الْوَعَى فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمٌ^(٥)
عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرَجْلِهِ إِذَا وَقَعْتَ فِي مِسْمَعِيهِ الْعَمَاجِمُ^(٦)
أَلَا أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِي لَيْسَ مُغَمِّدًا وَلَا فِيهِ مُرْتَابٌ وَلَا مِنْهُ عَاصِمٌ^(٧)
هَنِيئًا لِضَرْبِ الْهَامِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَى وَرَاجِيكَ وَالْإِسْلَامِ أَنَّكَ سَالِمٌ^(٨)

- (١) أي يسر بما أعطاك من أصحابه الذين قتلتهم وخيله وسلاحه لأن هذه الأشياء كانت كالفداء له حين اشتغل أصحابك بها عنه وليس يسر بها لأنه يجهل ما لحقه بها من الخسران ولكنه حين نجا منك بروحه اكتفى بها غنيمة فعذ نفسه غانماً وإن كان مغنوماً.
- (٢) الشرك الاسم من أشرك إذا جعل لله شريكاً. وهازم خبر بعد خبر. يقول أنت في هزمك الدمستق لا تعد ملكاً قد هزم ملكاً مثله ولكنك التوحيد قد هزم الشرك لأن كلاً منكما زعيم ملته.
- (٣) الضمير من به لملك. وعدنان ابن أذ أبو العرب. وربيعه قبيلة سيف الدولة. والعواصم بلاد قصبتها أنطاكية: أي لا يفتخر به رهطه وملكه فقط ولكنه شرف العرب كلها لرجوعه بالنسب إليها وفخر الدنيا بأسرها لأنه أكرم أهلها.
- (٤) يعني بالدر شعره. يقول المعاني لك واللفظ لي فأنت تعطيني المعاني بأفعالك ومناقبك وأنا أنظمها في لفظي.
- (٥) تعدو تجري. والوعى الحرب: يريد بعطاياه الخيل كما صرح به في البيت التالي يقول اغزو أعداءك وأقاتلهم على الخيل التي وهبتها لي فلا أنا مذموم على أخذها لأنها لم تضع عندي ولا أنت نادم على هبتها لأنك لا تجدني غير أهل لها.
- (٦) على كل طيار صلة تعدو. والضمير من إليها للوعى. والمسمعان بكسر أوله الأذنان. والغماغم الأصوات المختلطة يعني جلبة الحرب: أي تعدو بي عطايك على ظهر كل فرس إذا سمع صوت الفرسان في الحرب طار إليها برجله عوض الجناح يريد شدة سرعته في العدو حتى كأن قوائمه أجنحة.
- (٧) الارتباب الشك. وعصمة من كذا منعه وحماؤه. ويروى لست وفيك ومنك.
- (٨) الهام الرؤوس. والعلی جمع عليا وهي المنزلة العالية. وأنت سالم فاعل هنيئاً وهي حال محذوفة العامل والأصل ثبت هنيئاً فحذف الفعل وقامت الحال مقامه وقد مر: أي لهنأ هذه المذكورات بسلامتك لأنك قوامها.

وَلَمْ لَا يَقِي الرِّحْمَنُ حَدِيكَ مَا وَقَى وَتَفْلِيقُهُ هَامَ الْعِدَى بِكَ دَائِمٌ^(١)
وقال يمدح كافوراً:

مُنَى كُنْ لِي أَنَّ الْبَيَاضَ خِضَابٌ فَيَخْفَى بِتَبْيِضِ الْقُرُونِ شَبَابٌ^(٢)
لِيَالِي عِنْدَ الْبَيْضِ فَوْدَايَ فِتْنَةٌ وَقَحْرٌ وَذَاكَ الْفَخْرُ عِنْدِي عَابٌ^(٣)
فَكَيْفَ أَذُمُّ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أَجَابُ^(٤)
جَلَا اللَّوْنُ عَنْ لَوْنِ هَدَى كُلِّ مَسْلِكٍ كَمَا أَنْجَابَ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ ضَبَابٌ^(٥)
وَفِي الْجِسْمِ نَفْسٌ لَا تَشِيبُ بِشَيْبِهِ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْوَجْهِ مِنْهُ جِرَابٌ^(٦)

(١) لَمْ استفهام إنكار وأصلها لَمْ بفتح الميم فسكنها وهو مخصوص بالضرورة. وما من قوله ما وقى ظرفية زمانية. وتفليقه إلى آخر البيت حال من الرحمن. يقول لماذا لا يصون الله حدبك من الفلول ما دامت عنده صيانة للأشياء أي أبداً وأنت سيفه الذي يصول به على أعدائه.

(٢) منى خبر مقدم عن المصدر التأول من أن وخبرها. وكن نعت منى. والقرون صفات الشعر. يقول إنه لرغبته في شرف المشيب وحرمة كان يتمنى قديماً أن يكون البياض خضاباً يستر به سواد الشعر كما يستر بياضه بالسواد. وإنما جمع المنى بناءً على تكرر ذلك منه مرة بعد أخرى فصارت كل مرة منية.

(٣) ليالي صلة كن وهي مضافة إلى الجملة بعدها وأراد ليالي فوداي فتنة عند البيض ففصل بالظرف وهو قبيح. والفردان جانباً الرأس. والعباب بمعنى العيب: أي أنه كان يتمنى المشيب في الليالي التي كان رأسه فيها فتنة عند النساء لحسن شعره وسواده وكن يفتخرون بوصله إلا أن ذلك الفخر عيب عنده لأنه مباين للعفة والكمال.

(٤) الدعاء هنا بمعنى الابتهاال. وحين أجاب صلة أشكوه. يتعجب يقول كيف اذم اليوم المشيب وقد كنت اشتيه وكيف أدعو لنفسي بطلب ما أشكوه إذا أجبت إليه.

(٥) جلا أي ذهب وزال من قولهم جلا القوم عن منازلهم إذا رحلوا عنها. وانجاب انكشف: أراد باللون الأول السواد وبالثاني البياض يقول كأن بياض الشيب كان مستوراً تحت السواد فلما زال السواد عنه انكشف فاهتدى صاحبة في كل مسلك من الرشد كالنهار إذا انكشف عنه الضباب فاهتدى السالك في ضوئه.

(٦) الهاء من قوله منه للجسم والظرف حال من الوجه: كنى بشيب النفس عن الضعف الذي هو من لوازم المشيب أي أن همته لا تشيب ولا يلحقها الضعف ولو كانت الشعرات البيض في وجهه حراباً.

لَهَا ظَفَرٌ إِنْ كُلَّ ظَفَرٍ أَعْدَهُ
يُغَيِّرُ مِنِّي الدَّهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا
وَلِإِنِّي لَنَجْمٌ تَهْتَدِي صُحْبَتِي بِهِ
غَنِيٌّ عَنِ الْأَوْطَانِ لَا يَسْتَخْفُنِي
وَعَنْ دَمَلَانِ الْعَيْسِ إِنْ سَامَحَتْ بِهِ
وَأَصْدَى فَلَا أُبَدِي إِلَى الْمَاءِ حَاجَةً
وَلِلسِرِّ مِنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ
وَلِلْخُودِ مِنِّي سَاعَةٌ ثُمَّ بَيْنَنَا
وَنَابٌ إِذَا لَمْ يَبْقَ فِي الْقَمِ نَابٌ^(١)
وَأَبْلُغُ أَقْصَى الْعُمْرِ وَهِيَ كَعَابٌ^(٢)
إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ الثُّجُومِ سَحَابٌ^(٣)
إِلَى بَلَدٍ سَافَرْتُ عَنْهُ إِيَابٌ^(٤)
وِلَا أَفِي أَكْوَارِهِنَّ عُقَابٌ^(٥)
وَلِلشَّمْسِ فَوْقَ الْيَعْمَلَاتِ لُعَابٌ^(٦)
نَدِيمٌ وَلَا يُفْضِي إِلَيَّ شَرَابٌ^(٧)
فَلَاةٌ إِلَى غَيْرِ الْإِلْقَاءِ تُجَابٌ^(٨)

- (١) الظفر والظفر لغتان والتثقيب لغة أسد والتخفيف لغة تميم: يقول إن كل ظفري وذهبت أنيابي من الكبر فهمتي لا يكل ظفرها ولا يذهب نابها.
- (٢) غيرها استثناء أو حال. والكعاب الجارية التي بدا ثديها للنهود: أي نفسي شائبة أبداً لا يغيرها الدهر وإن تغير جسمي.
- (٣) الصحبة اسم جمع بمعنى الأصحاب. وحال اعترض. ويروى تهتدي بي صحبتي. يقول إذا خفيت النجوم بالسحاب فلم يهتد بها السالك ليلاً كنت نجماً لأصحابي يهتدون به يريد أنه خبير بطرق الفلوات.
- (٤) ويروى يستفزني وهو بمعنى يستخفني. والإياب والرجوع. يقول إنه لا يعشق الأوطان فإذا سافر عن وطن لم يستخفه حب الرجوع إليه لأن كل البلاد عنده سواء.
- (٥) الدملان ضرب من السير السريع والظرف معطوف على مثله في صدر البيت السابق. والعيس الإبل. وقوله إن سامحت به استئناف وجواب الشرط محذوف أي سرت عليها. والأكوار جمع جور وهو الرحل. والعقاب الطائر المعروف: أي وأنا غني أيضاً عن سير الإبل فإن سمحت به سرت عليها وإلا فإنني كالعقاب أقطع الفلوات من غير حاجة إلى ما يحملني.
- (٦) أصدى اعطش. وإلى الماء صلة حاجة. واليعملات النياق النجبية. ولعاب الشمس ما يراه المسافر من أشعة الظهيرة كأنه خيوط تتدلى فوق رأسه. يقول إنه صبور على العطش في الفلوات الحارة إذا اشتد وقع الشمس وامتد لعابها فوق الإبل.
- (٧) النديم المجلس على الشراب. ويفضي ينتهي. يريد أنه كتوم للسرى يضعه حيث لا يطلع عليه النديم ولا يصل إليه الشراب مع تغلغله في البدن.
- (٨) الخود المرأة الناعمة. وتجاب تُقطع: أي أصحب المرأة حيناً يسيراً ثم أسافر عنها فيكون بيني وبينها فلاة أقطعها إلى حيث لا نلتقي.

وَمَا الْعِشْقُ إِلَّا غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ يُعَرِّضُ قَلْبَ نَفْسِهِ فَيُصَابُ^(١)
وَعَيْرُ فُؤَادِي لِلْعَوَانِي رَمِيَّةٌ وَغَيْرُ بَنَانِي لِلزُّجَاجِ رِكَابُ^(٢)
تَرَكْنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلِّ شَهْوَةٍ فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بِهِنَ لِعَابُ^(٣)
نُصَرِّفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ حَوَادِرِ قَدْ أَنْقَضَفَتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِعَابُ^(٤)
أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَى سَرَجُ سَابِغٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ^(٥)
وَبَحْرُ أَبِي الْمِسْكِ الْخَضْمُ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ بَحْرِ زُخْرَةٌ وَغُبَابُ^(٦)
تَجَاوَزَ قَدْرَ الْمَدْحِ حَتَّى كَأَنَّهُ بِأَحْسَنِ مَا يُثْنَى عَلَيْهِ يُعَابُ^(٧)

- (١) الغرّة الغرور: ويروي فتصّاب بضمير النفس على أن المراد بالنفس ما يرادف الروح. يقول العشق غروراً بالمعشوق وطمعاً في وصله إذا وقعاً في قلب العاشق عرض نفسه للعشق فيصّاب به. ومن روى بالثناء فالمعنى أن دواعي العشق تقع أولاً في القلب ثم تنقاد النفس لهوى القلب لأنه يستهويها ويغلبها على رشدّها.
- (٢) الغواني النساء الحسان. والرمية ما يُرمى بالسهم. والبنان أطراف الأصابع. والركاب المطي: يقول قلبي لا تصيبه الحسان بسهام لحظهنّ لأنني أصون نفسي عن هوائنّ ولا أتعاطى كؤوس الخمر فتصير يدي مركباً للزجاج.
- (٣) القنا عيدان الرماح. وقوله بهنّ الضمير للأطراف. واللعب بالكسر بمعنى الملاعبة. يقول تركنا شهواتنا لأطراف الرماح أي أحلنا لذاتنا عليها فإذا دعانا حبّ اللهو لهونا بمطاعنة الأقران.
- (٤) الضمير من تصرّفه للقاء والحواد جمع حادر وهو الغليظ السمين. والكعاب العقد بين أنابيب الرمح: أي نصرّف الرماح فوق خيلٍ غلاظٍ سمان قد ألفت الطعن قديماً وانكسرت فيها كعاب من الرماح.
- (٥) الدُّنَى جمع دنيا. والسابغ الفرس السريع الجري. يقول سرج الفرس أعزّ مكان لأن راكبه يسافر عليه في طلب المعالي ويبلغ ما يريد من قهر الأعداء ونفي الدّل والخسف والكتاب خير جليس لأنه مأمون الأذى والملل ولا يحتاج في مجالسته إلى تحرّز ولا كلفة.
- (٦) الخضمّ الكثير الماء وهو خبر عن بحر. وزخر البحر طمى وامتدّ. والعباب كثرة الموج وارتفاعه: أي بحر أبي المسك هو البحر الخضمّ الذي يفوق كل بحر. وروى الواحدي وبحر أبو المسك بتنوين بحر على أنه خبر مقدّم أي وأبو المسك الخضمّ بحر. وروى ابن جني وبحر بالجرّ عطفاً على جليس أي وخير بحر أبو المسك ولعلّ الأحسن ما رويناه.
- (٧) يقول هو فوق قدر المدح أي لا يصل المدح إلى مبلغ استحقاقه فإذا أثبت عليه بأحسن الثناء كنت كأنك تعييه لأنك تصفه بما هو دون قدره.

وْغَالِبَهُ الْأَعْدَاءُ ثُمَّ عَنَزُوا لَهُ
وَأَكْثَرُ مَا تَلْقَى أَبَا الْمِسْكِ يَذَلَّةً
وَأَوْسَعُ مَا تَلْقَاهُ صَدْرًا وَخَلْفَةً
وَأَنْفَذُ مَا تَلْقَاهُ حُكْمًا إِذَا قَضَى
يَقْفُوذُ إِلَيْهِ طَاعَةَ النَّاسِ فَضْلُهُ
أَيَا أَسَدًا فِي جِسْمِهِ رُوحٌ ضَيِّغٌ
وَيَا آخِذًا مِنْ دَهْرِهِ حَقٌّ نَفْسِهِ
لَنَا عِنْدَ هَذَا الدَّهْرِ حَقٌّ يَلْطُهُ
وَقَدْ تُحْدِثُ الْأَيَّامُ عِنْدَكَ شَيْمَةً

كَمَا غَالَبَتْ بِيضَ السُّيُوفِ رِقَابُ^(١)
إِذَا لَمْ تَصُنْ إِلَّا الْحَدِيدَ ثِيَابُ^(٢)
رِمَاءٍ وَطَعَنَ وَالْأَمَامَ ضِرَابُ^(٣)
قَضَاءِ مُلُوكِ الْأَرْضِ مِنْهُ غِضَابُ^(٤)
وَلَوْ لَمْ يَقْضِهَا نَائِلٌ وَعِقَابُ^(٥)
وَكَمْ أَسَدٍ أَرْوَاحُهُنَّ كِلَابُ^(٦)
وَمِثْلُكَ يُعْطَى حَقُّهُ وَيُهَابُ^(٧)
وَقَدْ قَلَّ إِعْتَابُ وَطَالُ عِتَابُ^(٨)
وَتَنَعَّمَ الْأَوْقَاتُ وَهِيَ يَبَابُ^(٩)

- (١) عنوا خضعوا: أي عجزوا عن غلبته فخضعوا له كما تخضع الرقاب للسيوف إذا غالبتها.
- (٢) ما مصدرية أي أكثر لقياك له. وبذلة تمييز وهي اسم من ابتذل الشيء إذا ترك صيافته.
- والحديد مستثنى مقدم من الثياب: أي أكثر ما تلقاه مبتذلاً نفسه لم يحصنها بالدرع حين لا يصون الأبدان شيء من الثياب إلا الحديد أي في وقت اشتداد الحرب وازدحام الجيش حوله.
- (٣) قوله وخلفه رماء حال سدت مسدً خبر أوسع. والرماء والضراب مصدر إن بمعنى المفاعلة: أي وتلقاه أوسع ما يكون صدرًا إذا أحاط به جيش العدو من كل جانب فكان خلفه الرماء والطعن وأمامه الضراب.
- (٤) أي إذا أبرم قضاء لا ترضى به الملوك فذلك القضاء أنفذ أحكامه يعني أن أحكامه تنفذ على غضب الملوك فلا يجترئون على نقض شيء منها وإن خالفهم فيها وغاضبهم.
- (٥) النائل العطاء: أي لو لم يطعمه الناس رغبة في نواله ولا رغبة في عقابه لاستحق طاعتهم بما فيه من الفضل محبة له وإجلالاً.
- (٦) الضيغم الأسد: يقول أنت أسد في الشدة والبطش وروحك روح أسد أيضاً يعني أنه مع قوة بطشه عالي الهمة مقدام على عظام الأمور وكم من الناس من يشبه الأسد في قوة بطشه ولكنه جبان ساقط الهمة كأن روحه روح كلب.
- (٧) أي أنه يأخذ حقه من الدهر لأن الدهر يهابه فلا يجترىء على هضم حقوقه.
- (٨) يلطه يجحده. والإعتاب الإيضاء. يقول لنا عند الدهر حق يجحده ويدافع في قضائه وقد طال عتابنا له فلم يعتب ولم يرضنا بقضاء الحق.
- (٩) الشيمة الخلق. وتنعمر مطاوع عمرت الموضع إذا صيرته أهلاً. واليباب الخالي لا شيء به. يقول الأيام قد تغير أخلاقها عندك فترضي المعاتب وتسالم ذوي الفضل لنزولهم =

ولا مُلْكَ إِلَّا أَنْتَ وَالْمُلْكُ فَضْلَةٌ كَأَنَّكَ سَيْفٌ فِيهِ وَهُوَ قِرَابٌ^(١)
أَرَى لِي بِقُرْبِي مِنْكَ عَيْنًا قَرِيرَةً وَإِنْ كَانَ قُرْبًا بِالسَّيْعَادِ يُشَابُ^(٢)
وهل نافعِي أَنْ تُرْفَعَ الْحُجُبُ بَيْنَنَا وَذُوْنُ الَّذِي أَمْلَتْ مِنْكَ حِجَابُ^(٣)
أَقِلْ سَلَامِي حُبِّ مَا خَفَّ عَنْكُمْ وَأَسْكُتْ كَيْمَا لَا يَكُونُ جَوَابُ^(٤)
وفي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ قَطَانَةٌ سَكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ^(٥)
وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَى الْحُبِّ رِشْوَةٌ ضَعِيفٌ هَوَى يُبَغَى عَلَيْهِ ثَوَابُ^(٦)

- = في كنفك وجوارك والأوقات تصير عامرة لهم بأن يدركوا مطلوبهم . والمعنى أن قضت الأيام حقي وأظفرتني بمطلوبي عندك فلا عجب فإنها تحدث شيمَةً غير شيمتها مهابةً لك .
- (١) ويروى كأنك نصل . يقول المُلْكُ على الحقيقة أنت لا ما أنت فيه من السؤدد لأنه حصل لك بعلو همتك وسداد رأيك فهو بالنسبة إليك زيادةً وفضلةً وأنت فيه كالسيف في القراب والمعنى للسيف لا للقراب .
- (٢) يقال قرأت عينه إذا بردت وهو كناية عن السرور لأنه يقال إن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة . وضمير كان يعود إلى القرب . والبعد مصدر باعده . ويشاب يمزج . يقول عيني قريرةً بقربك لبلوغي ما كنت أتمنى من لقائك وإن كان هذا القرب مشوباً بالبعد لأنك لم تبلغني ما أرجو من حسن رأيك واصطناعك وقد كشف عن هذا المعنى في البيت التالي .
- (٣) الاستفهام للإنكار: يقول لا ينفعين أن أصل إليك بغير حجاب وما آملهُ منك محجوبٌ عني لا أصل إليه .
- (٤) حُبٌّ مفعول لأجله . ويكون يجوز فيها النصب على زيادة ما والرفع على جعلها مصدرية . يقول لإثاري التخفيف عنكم اقلل التسليم عليكم واسكت عن الكلام لكي لا أحوجكم إلى الإجابة .
- (٥) يشير بهذا وما سبقه إلى ما في نفسه من الحصول على خطية من خطط الولاية يقول في نفسي حاجاتٌ أمسك عن ذكرها وأنت فطرٌ تطلع عليها بفطنتك فيقوم سكوتي عنها مقام التصريح بها .
- (٦) بغى الشيء طلبه . وقوله ضعيف هوى يروى بالإضافة على أنه مبتدأ خبره يبغي وبالتنوين على أنه خبرٌ مقدّم عن هوى . يقول ليست أطلب هذه الحاجات حتى تكون بمنزلة رشوة لي على الحب فإن الحب الضعيف يطلب عليه الثواب . ثم ذكر سبب هذا الطلب في البيت التالي .

وَمَا شَيْئْتُ إِلَّا أَنْ أَدُلَّ عَوَازِلِي
وَأَعْلِمَ قَوْمًا خَالِفُونِي فَشَرُّقُوا
جَرَى الْخُلْفُ إِلَّا فِيكَ أَنْتَ وَاحِدٌ
وَأَنْتَ إِنْ قُويستَ صَحَّفَ قَارِئٌ
وَلِنْ مَدِيحِ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ
إِذَا نِلْتَ مِنْكَ الْوُدَّ فَالْمَالُ هَيِّنٌ
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْتَ إِلَّا مُهَاجِرًا
وَلِكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيبَةٌ
عَلَى أَنْ رَأَيْتُ فِي هَوَاكَ صَوَابٌ^(١)
وَعَرِيتُ أَنِّي قَدْ ظَفِرْتُ وَخَابُوا^(٢)
وَأَنْتَ لَيْتَ وَالْمُلُوكُ ذُنَابٌ^(٣)
ذُنَابًا وَلَمْ يُخْطِئْ فَقَالَ ذُبَابٌ^(٤)
وَمَدْحُكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابٌ^(٥)
وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ الشَّرَابِ تُرَابٌ
لَهُ كُلُّ يَوْمٍ بَلَدَةٌ وَصِحَابٌ^(٦)
فَمَا عَنْكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابٌ^(٧)

- (١) العواذل جمع عاذلة: يقول لم أرد بما أطلبه إلا أن أعرف اللواتي يلمنني في قصدك أني كنت مصيباً في هواك بأنك تكرم مثواي وتبلغني ما أمله عندك.
- (٢) أعلم معطوف على أدل. وأن ومعمولاهما سادة مسد المفعول الثاني والثالث لأعلم: أي وأن أعلم الذين خالفوني إلى غيرك من الملوك أني قد ظفرت بقصدك وخابوا بعدولهم عنك. والتشريق والتغريب مثل أراد به تحقيق المخالفة.
- (٣) الخلف بمعنى الاختلاف. وأنك واحد بدل اشتغال من الكاف من قوله فيك. والليث الأسد.
- (٤) أي وإن صحف القارئ عند هذه المقايضة لفظ الذناب من البيت السابق فقال وإنك ليت والملوك ذباب لم يخطئ في هذا التصحيف لأنهم كذلك.
- (٥) الكذاب بمعنى الكذب ويحتمل أن يكون مصدر كاذب الرجل صاحبه إذا كذب كل منهما الآخر. يقول الناس يمدحون تارةً بالحق وتارةً بالباطل ولكن مدحك حق لا كذب أو لا تكذيب فيه.
- (٦) يقول لولاك لم أقم بمصر وكنت لا أزال مهاجراً في الأرض أنتقل من بلد إلى بلد ومن قوم إلى آخرين لأنني لا أبالي بوطني ولا أصحاب.
- (٧) حبيبة حال من الدنيا. وإلي صلة حبيبة. وعنك وإليك متعلقان بذهاب. ولي خبر مقدم عن ذهاب أي فما لي ذهاب عنك إلا إليك. يقول أنت عندي بمتزلة الدنيا لأن هواي محصور فيك وآمالي منوطة بك فإنك أردت الذهاب عنك كان ذهاباً إليك كالدنيا من أراد السفر عنها فقد سافر إليها لأنه لا يسعه الخروج منها.

وداع كافور

قال يهجوّه في يوم عرفة، أي في أمس عيد الأضحى؛ قبل مسيره من مصر بيوم واحد في أواخر سنة ٩٦١ م (٣٥٠هـ):

عِيدًا بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتُ، يَا عِيدُ؟ بِمَا مَضَى؟ أَمْ لِأَمْرِ فَيْكَ تَجْدِيدُ؟^(١)
أَمَّا الْأَحَبَّةُ، فَالْبَيْدَاءُ دُونَهُمْ، فَلَيْتَ دُونَكَ بَيْدَاءُ، دُونَهَا بَيْدًا!^(٢)



يَا سَاقِيَّيْ، أَحْمَرُ فِي كُؤُوسِكُمَا، أَمْ فِي كُؤُوسِكُمَا هَمٌّ وَتَسْهِيدُ؟^(٣)
أَصْخَرَةً أَنَا؟ مَالِي لَا تُحَرِّكُنِي هَذَا الْمُدَامُ، وَلَا هَذَا الْأَغَارِيدُ؟
إِذَا أَرَدْتُ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَّةً، وَجَدْتُهَا، وَحَبِيبَ الْقَلْبِ مَفْقُودُ^(٤)
مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا؟ وَأَعْجَبُهُ أَنِّي، بِمَا أَنَا شَاكٍ مِنْهُ، مَحْسُودُ
أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثَرٍّ، خَازِنًا وَيَدًا، أَنَا الْغَنِيُّ، وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِيدُ^(٥)
إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَابِينَ، ضَيْفُهُمْ؛ عَنِ الْقَرَى وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ^(٦)
جُودَ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي، وَجُودَهُمْ مِنَ اللَّسَانِ؛ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ
مَا يَقْبِضُ الْمَوْتَ نَفْسًا مِنْ نَفْسِهِمْ، إِلَّا، وَفِي يَدِهِ، مِنْ نَتْنِهَا، عُودُ
أَكَلْنَا اغْتَالَ عَبْدُ السُّوءِ سَيِّدُهُ، أَوْ خَائُهُ، فَلَهُ، فِي مِصْرَ، تَمْهِيدُ!^(٧)

-
- (١) عيد: أي هذا عيد. بما مضى: أي أبما مضى، حذف همزة الاستفهام.
(٢) البیداء: الفلاة لأنها تبید سالکها، جمعها بید. يقول للعید: إن أحببني على بعد مني، تفصل البیداء بيني وبينهم، فليت البید بعد البید تفصل بيني وبينك، لأنني لا أسر بقدمك وهم بعيدون.
(٣) التسهيد: الحمل على السهر.
(٤) الكميت: الأحمر فيه سواد، يوصف به المذكر والمؤنث، والمراد هنا: خمر كميت اللون.
(٥) أروح: من الراحة. يقول: إنه قد صار غنياً، ولكن خازنه ويده مستريحان من حمل المال، لأن أمواله مواعيد كافور لا تقبض، ولا تخزن.
(٦) القرى: الضيافة. محدود: ممنوع.
(٧) تمهيد: أي تمهيد للملك. يتهم كافوراً باغتيال سيده أنوجور الإخشيدى، ليستولي على الملك.

صارَ الخَصِيَّ إِمَامَ الْآبِقِينَ بِهَا،
 نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَعَالِبِهَا
 الْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرِّ صَالِحٍ بَأَخْ،
 لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ، إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ،
 مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنِ،
 وَلَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فُقِدُوا،
 وَأَنَّ ذَا الْأَسْوَدَ الْمَشْقُوبَ مِشْقَرُهُ
 جَوْعَانٌ، يَأْكُلُ مِنْ زَادِي، وَيُمْسِكُنِي
 وَيَلْمُهَا خُطَّةً! وَيَلْمُ قَابِلَهَا!
 فَالْحُرُّ مُسْتَعْبَدٌ، وَالْعَبْدُ مَعْبُودٌ^(١)
 فَقَدْ بَشِمَنْ، وَمَا تَفْنَى الْعَنَاقِيدُ^(٢)
 لَوَ أَنَّهُ، فِي ثِيَابِ الْحُرِّ، مَوْلُودٌ^(٣)
 إِنَّ الْعَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ^(٤)
 يُسِيءُ بِي، فِيهِ، عَبْدٌ، وَهُوَ مَحْمُودٌ^(٥)
 وَأَنْ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودٌ^(٦)
 تُطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطِ الرَّعَايِدُ!^(٧)
 لَكِنِّي يُقَالُ: عَظِيمُ الْقَدْرِ، مَقْصُودٌ^(٨)
 لِمِثْلِهَا خُلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقُودُ!^(٩)

- (١) الآبقين: العبيد الهاريين من ساداتهم. بها: أي بمصر.
 (٢) النواطير: سادات مصر. ثعالبها: عبيد مصر. بضمن أخذتهن تخمة، والضمير للثعالب.
 العناقيد: أموال مصر. يقول: نامت سادات مصر عن أموالها، فاستولى عليها العبيد،
 وأكلوا منها فوق الشيع حتى اتخوا؛ ولكن هذه الأموال لا تفنى لكثرتها.
 (٣) لو: أي ولو، حذف الواو والجملة حالية. في ثياب الحر: أي في ملك الحر.
 (٤) المناكيد: جمع منكود وهو القليل الخير.
 (٥) يسيء بي: يقال أساء به وإليه؛ قال كثير: أسيتي بنا أو أحسني، لا ملومة. عبد:
 ويروي كلب.
 (٦) كناه بأبي البيضاء سخراً به لأنه خصي أسود.
 (٧) المشفر: شفة البعير، استعاره لكافور إظهاراً لضخامة شفتيه. وكان كافور مثقوب الشفة
 السفلى، شأن العبيد الذي يعلقون الحلق في شفاههم؛ فشبهه بالبعير الذي يثقب مشفره
 للزمام. العضاريط، جمع عضروط، وهو الذي يخدم بطعامه. الرعايد: الجبناء،
 واحدا رعيد.
 (٨) من زادي: أي من شعري. يمسكني: يمنعني من الرحيل. والمراد: أن كافوراً يريد أن
 يشبع جوعه من مدح الشاعر، وهو لا يعطي الشاعر ما يشبعه، ويمنعه من الرحيل لكي
 يقول الناس إنه كريم يقصده الشعراء والعفاة.
 (٩) ويلمها: كلمة تقال عند التعجب من الشيء؛ قيل إن أصلها ويل لأمها، فركبوها
 وجعلوها كالشيء الواحد؛ وقيل: بل هي مركبة من وي لأمها، فوي: كلمة مفردة تقال
 عند التفجع والتعجب، وحذفت الهمزة عن أمها تخفيفاً، وألقيت حركتها على اللام =

وَعِنْدَهَا، لَذَّ طَعْمَ الْمَوْتِ شَارِبُهُ
 مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرُمَةً؟
 أَمْ أُذْنُهُ، فِي يَدِ النَّخَاسِ، دَامِيَّةٌ؟
 أَوَّلَى اللَّثَامِ كُؤَيْفِيرٌ بِمَعْدِرَةٍ
 وَذَلِكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةٌ
 إِنَّ الْمَنِيَّةَ، عِنْدَ الذُّلِّ، قِنْدِيدٌ^(١)
 أَقْوَمُهُ الْبَيْضُ، أَمْ أَبَاؤُهُ الصَّيْدُ؟^(٢)
 أَمْ قَدْرُهُ، وَهُوَ بِالْفِلَسِينِ مَرْدُودٌ؟^(٣)
 فِي كُلِّ لُؤْمٍ، وَبَعْضُ الْعُدْرِ تَفْنِيدٌ^(٤)
 عَنِ الْجَمِيلِ، فَكَيْفَ الْخَصِيَّةُ السَّوْدُ؟^(٥)

-
- = المكسورة، فصارت مضمومة ؛ وينصب ما بعدها على التمييز . الخطة : الأمر والشأن .
 المهرية : الإبل . القود : الطوال الظهور ، واحدها أقود وقوداء . والمراد أنه لمثل هذا الأمر
 الذي لا يحتمل خلقت الإبل للرحيل .
- (١) عندها : الضمير للخطة . لذ طعم الشيء : وجده لذيقاً . القنديد : عسل قصب السكر ،
 والخمر .
- (٢) الصيد : جمع أصيد ، وهو الملك العظيم .
- (٣) النخاس : باع العبيد . دامية : إشارة إلى أن النخاس كان يقوده بأذنه ويعرضه للبيع منادياً
 عليه ، فتدعى أذنه من الشدة . قدره : ثمنه .
- (٤) التفنيد : اللوم والتقريع . يقول : هو أحق اللثام بأن يعذر على كل لؤم يبدو منه ، لخسة أصله
 وعجزه عن المكارم ، وإن يكن هذا العذر تقريباً له ؛ وفي البيت التالي يصرح بعذره .
- (٥) الفحول البيض : الملوك والسادة الأحرار . عن الجميل : أي عن صنع الجميل .
 الخصية : جمع خصي .

أبو فراس الحمداني

يا حسرة!

بلغ أبا فراس أن والدته قصدت حضرة سيف الدولة من منبج تكلمه في المفاداة، وتتضرع إليه؛ فلم يكن عنده ما رجت من حسن الإيجاب. وقال ابن خالويه: ووافق ذلك أن البطارقة قيدوا بحلب، فقيد أبو فراس بخرشنة. ورأت الأمر قد عظم، فاعتلت من الحسرة، فبلغ ذلك أبا فراس، فكتب إلى سيف الدولة بهذا:

يا خَسْرَةَ، ما أَكادُ أَحْمِلُها	أَخْرُها مُزْعِجٌ، وأَوَّلُها!
عَلِيلَةً بِالشَّامِ مُفْرَدَةً،	بِاتٍ، بِأَيْدِي العِدَى، مُعْلَلُها ^(١)
تُمِسُّكَ أَحْشاءُها على حُرْقٍ،	تُطْفِئُها، والهُمُومُ تُشْعِلُها ^(٢)
إِذا اطْمَأْنَنْتَ، وأَيْنَ؟ أو هَدَأْتَ،	عَنْتَ لَها ذُكْرَةٌ تُثْقِلُها ^(٣)
تَسْأَلُ عَنَّا الرُّكبانَ، جَاهِدَةً	بِأَدْمَعٍ ما تَكادُ تُمِهلُها ^(٤)
«يا مَنْ رَأى لي، بِحِصْنِ خَرَشَنَةَ،	أَسَدَ شَرَى، في القُيُودِ أَرْجُلُها؟» ^(٥)
«يا مَنْ رَأى لي الدُّرُوبَ شَلْمَخَةَ،	دُونَ لِقَاءِ الحَبِيبِ أَطوْلُها؟» ^(٦)

(١) عليلة: المراد بها أمه. معللها: أي مسليها.

(٢) الحرق: جمع حرقة بالفتح والضم. تطفئها: أي تحاول إطفاءها بالصبر والطمأنينة.

(٣) وأين: أي وأين اطمئنناها. عنت: ظهرت أمامها. الذكرة: الذكر؛ ورويت فكرة.

(٤) الركبان: المسافرون. جاهدة: ملحة عليهم في السؤال. بآدمع: الجار متعلق بجاهدة.

(٥) الشرى: مأسدة يضرب بها المثل؛ وقوله أسد شرى: أي أبو فراس ومن معه في الأسر.

(٦) الدروب: مداخل بلاد الروم من جبال طورس.

- «يا مَنْ رأى لي القيودَ موثقةً،
-: يا أيها الرّاكبان، هل لَكُما
قُولا لها، إن وَعَثَ مَقالُكُما؛
«يا أُمَّتًا، هَذا مَنازِلُنا،
«يا أُمَّتًا، هَذا مَوارِدُنا،
«أَسَلَمَنا قَومُنا إلى نُوبٍ،
«واستَبَدَّلوا بَعَدَنا، رِجالَ وَغَى،
يا سَيِّدًا، ما تُعَدُّ مَكْرُمَةٌ،
لَيسَتْ تَنالُ القِيودَ مِن قَدَمي،
لا تَتَيَمَّمَنَّ، والماءُ تُدِرِكُكُ؛
على حَبيبِ الفُؤادِ أثَقَلُها؟»^(١)
في حَمَلِ نَجوى، يَخفُ مَحْمَلُها؟»^(٢)
وإنْ ذَكَري لَها لَيُذهِلُها:»^(٣)
نَتَرُكُها تارَةً، وتَنزِلُها!«
نُعَلُّها تارَةً، ونُثْهَلُها»^(٤)
أيسَرُها في القُلوبِ أَقَتَلُها»
يَودُّ أدنى عَلايَ أَمثَلُها»^(٥)
إلا وفي راحَتِيهِ أَكَمَلُها»^(٦)
وفي اتِّباعي رِضاكَ، أَحَمِلُها»^(٧)
غَيْرُكَ يَرْضَى الصَّغرى وَيَقْبَلُها»^(٨)

(١) موثقة: محكمة.

(٢) هل لكما: أي هل لكما رغبة.

(٣) وعث: حفظت. يذهلها: ينسيها. والمعنى: إذا ذكر أبو فراس لها أصابها ذهول، وأصبحت لا تعي ما يقال لها.

(٤) نعلها: نسقاها مرة بعد مرة؛ تقول: علّه وأعلّه: سقاها عللاً؛ ويقال عل من الماء: شرب مرة بعد مرة، ولا يتعدى بنفسه. ننهلها: نسقاها السقية الأولى؛ تقول: أنهله: سقاها نهلاً؛ ويقال نهل من الماء: شرب أول الشرب، ولا يتعدى بنفسه؛ ومن ذلك قولهم: سقاها عللاً بعد نهل. والمراد بهذا البيت والبيت السابق تقلب أحوال الدنيا بين شدة ورخاء؛ وكأنه نظر إلى قول البحري:

ويعيد ما بين وارد رفته، علل شربه؛ ووارد خمس

(٥) أمثلها: أفضّلها. فاعل يود. يقول: إن هؤلاء الرجال الذين استبدلوهم بعدنا للحرب، يتمنى أفضّلهم أن يكون له أدنى علاي.

(٦) راحتيه: باطن كفيه.

(٧) يقال نال منه: أصابه بأذى أو مضرة.

(٨) تيمم المسلم: مسح وجهه ويديه بالتراب ليصلي إذا لم يجد ماء يتوضأ به، أما إذا كان الماء موجوداً فيبطل التيمم؛ والمعنى هنا على المجاز. يقول: لا تستبدل بعدنا رجالاً للحرب كهؤلاء، فهم كالتيمم عند امتناع الماء، وأنت بوسعك أن تجد الماء، أي أن تفتدينا، فنغنيك عن هؤلاء الضعاف، وإن غيرك يرضى الخطة الصغرى ويقبلها.

إِنَّ بَنِي الْعَمِّ لَسَتْ تَخْلُقُهُمْ؛ أَنْتَ سَمَاءٌ، وَنَحْنُ أَنْجُمُهَا؛
 أَنْتَ سَحَابٌ، وَنَحْنُ وَابِلُهُ؛
 بِأَيِّ غُذِرِ رَدَدْتَ وَالْهَيْهَةَ،
 جَاءَتْكَ تَمْتَاخُ رَدٍّ وَاحِدِهَا؛
 سَمَحْتُ مَتَّى بِمُهِجَةٍ كَرُمْتُ،
 إِنْ كُنْتُ لَمْ تَبْذُلِ الْفِدَاءَ لَهَا،
 تِلْكَ الْمَوَدَّاتُ، كَيْفَ تُهْمِلُهَا؟
 تِلْكَ الْعُقُودُ الَّتِي عَقَدْتُ لَنَا،
 أَرْحَامُنَا مِنْكَ، لِمَ تُقَطِّعُهَا؟
 أَيْنَ الْمَعَالِي الَّتِي عُرِفَتْ بِهَا،
 إِنْ عَادَتِ الْأَسَدُ، عَادَ أَشْبَلُهَا^(١)
 أَنْتَ بِلَادٌ، وَنَحْنُ أَجْبُلُهَا
 أَنْتَ يَمِينٌ، وَنَحْنُ أُنْمُلُهَا^(٢)
 عَلَيْكَ، دُونَ الْوَرَى، مُعَوَّلُهَا^(٣)
 يَنْتَظِرُ النَّاسُ كَيْفَ تُقْفِلُهَا^(٤)
 أَنْتَ، عَلَى يَأْسِهَا، مُؤْمَلُهَا^(٥)
 فَلَمْ أَزَلْ، فِي رِضَاكَ، أَبْذُلُهَا^(٦)
 تِلْكَ الْمَوَاعِيدُ، كَيْفَ تُغْفِلُهَا؟
 كَيْفَ، وَقَدْ أَحْكِمْتُ، تُحْلِلُهَا^(٧)
 وَلَمْ تَزَلْ، دَائِبًا، تُوَصِّلُهَا^(٨)
 تَقُولُهَا، دَائِمًا، وَتَفْعَلُهَا؟

(١) تخلفهم: تكون خلفاً لهم أو تبقى بعدهم. على أن المعنى يقضي بأن تكون تخلفهم هنا بمعنى تجعلهم لهم خلفاً أي بدلاً. الأسد: أي الأسرى في بلاد الروم. أشبلها: أي أشجعها، وأراد بذلك نفسه. ولعلها: إن عدت الأسد عد أشبلها. وقد وردت عدت في بعض الروايات؛ فيكون المعنى: لا تستطيع أن تخلف بني عمك أي أن تبقى وحدك بعدهم؛ فإنك وإن كنت أسداً فهم أشبالك، ولا تعد الأسرد إلا عدت معها أشبالها؛ وأشبِل: جمع شبل.

(٢) الوابل: المطر. الأنمل: الأصابع.

(٣) الوالهة: الشديدة الحزن، ويريد بها والدته. المعول: الاتكال.

(٤) تمتاخ: أي تسأل. تقفلها: ترجعها.

(٥) يقول: سمحت بنفسي الكريمة، فبذلتها للأعداء في سبيلك، وأنت موضع أملها مع ما هي عليه من اليأس.

(٦) في رضاك: أي لأجل رضاك.

(٧) العقود: جمع العقد وهو العهد المعقود، والضمان. عقدت: أي عقدتها. أحكمت: أي أتقن عقدتها. تحللها يقال حل العقد: نقضه، ولا يقال حلله. ويظهر أنه أخذ العقد هنا بمعنى اليمين المعقودة. يقال حلل يمينه: أي تحلل منها؛ وذلك كما لو حلف الإنسان على الشيء أن يفعله، فيفعل منه اليسير يحلل به يمينه.

(٨) لم: لم، سكنت للشعر ضرورة. دائباً: حال، أي عاملاً جاداً.

يا واسع الدّار؛ كيف تُوسّعها؟
يا ناعم الثّوب؛ كيف تُبدّله؟
يا راكب الخيل؛ لو بَصُرْتَ بنا،
ونحنُ في صخرة تُزلزلُها!^(١)
يا ابن الصّوف ما تُبدّلُها!
نحمل أقيادنا، وننقلُها!^(٢)

الحمامة النّائحة

قال، وقد سمع حمامة تنوح على شجرة عالية، وهو في الأسر:

أقول، وقد ناحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ:
مَعَاذَ الْهَوَى! مَا دُقِيتِ طَارِقَةَ النَّوَى،
أَتَحْمِلُ مَحْزُونَ الْفُؤَادِ قَوَادِمَ،
أَيَا جَارَتَا، مَا أَنْصَفَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا،
تَعَالَيْ، تَرْنِي رَوْحاً، لَدَيْ، ضَعِيفَةً
أَيَضْحَكُ مَا سُورَ، وَتَبْكِي طَلِيقَةً،
لَقَدْ كُنْتُ أَوْلَى مِنْكَ بِالذَّمْعِ مُقْلَةً؛
أَيَا جَارَتَا، هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي؟
وَلَا خَطَرَتْ مِنْكَ الْهُمُومُ بِبَالٍ^(٣)
عَلَى غُصْنِ نَائِي الْمَسَافَةِ عَالٍ؟^(٤)
تَعَالَيْ، أَقَاسِمُكَ الْهُمُومَ، تَعَالِي!^(٥)
تَرَدَّدُ فِي جِسْمٍ يُعَذِّبُ، بِال
وَيَسْكُتُ مَحْزُونٌ، وَيَنْدُبُ سَالٍ؟
وَلَكِنْ دَمْعِي، فِي الْحَوَادِثِ، غَالٍ!

رسائل الحبيب:

يا لَيْلُ، مَا أَغْفَلَ عَمَّابِي حَبَائِبِي، فَيْكَ، وَأَحْبَابِي^(٦)

(١) في صخرة: أي مع صخرة. والمعنى أنهم يشغلون بقلع الحجارة؛ أو أن في بمعنى إلى؛ فيكون المراد أنهم مشدودون بالرجال إلى صخرة، فلا يطبقون مشياً إلا إذا زلزلوا هذه الصخرة، وجروها وراءهم.

(٢) الأقياد: جمع القيد كالقيود.

(٣) المعاذ: الملجأ، وقوله معاذ الهوى: أي أعيد الهوى منك معاذاً، أي أعصمه عصمة وأحفظه حفظاً.

(٤) القوادم: عشر ريشات في مقدم جناح الطائر، وهي كبار الريش، مفردها قادمة. يقول: لو كنت حزيناً الفؤاد لأصابك ضعف وقُتور، ولما حملتك قوادمك على هذه الشجرة العالية.

(٥) الهموم: أي همومي. تعالى الثانية: كسر اللام فيها لغة.

(٦) أغفل: يقال أغفله عن الشيء: جعله يغفل عنه.

يا لَيْلُ، نَامَ النَّاسُ عَنْ مَوْجَعٍ نَاءٍ، عَلَى مَضْجَعِهِ، نَابٍ^(١)
 هَبَّتْ لَهُ رِيحٌ شَامِيَّةٌ، مَثَّتْ إِلَى الْقَلْبِ بِأَسْبَابٍ^(٢)
 أَذَتْ رِسَالَاتِ حَبِيبٍ لَنَا، فَهَمَّتْهَا مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي

وصف الحمى

من قصيدة يصف بها الحمى التي أصابته في مصر ويعرض بالرحيل عن
 مصر سنة ٩٥٩م (٣٤٨هـ):

وزائرتي كأن بها حياءَ فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظُّلَامِ^(٣)
 بَدَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاثَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي^(٤)
 يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ
 كَأَنَّ الصَّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي مَدَامِعُهَا بِأَرْبَعَةِ سِجَامٍ^(٥)
 أَرَاقِبُ وَقَتِّهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ مُرَاقِبَةَ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ^(٦)
 وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا وَالصَّدْقُ شَرٌّ إِذَا أَلْقَاكَ فِي الْكُرْبِ الْعِظَامِ
 أَبْنَتْ الدَّهْرَ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ فَكَيْفَ وَصَلَتْ أَنْتِ مِنَ الزَّحَامِ^(٧)
 جَرَحَتْ مُجْرَحاً لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَكَانٌ لِلْسَّيُوفِ وَلَا السَّهَامِ

(١) ناء: بعيد، أي بعيد عن وطنه وأهله. على مضجعه: الجار متعلق بمحذوف أي مستقر. ناب: غير مطمئن ولا مستريح؛ يقال نبا عن فراشه: لم يطمئن ولم يجد الراحة عليه.

(٢) متت: يقال مت إليه بصلة أو قرابة: توصل إليه. الأسباب: الحبال، والمراد بها الصلات التي بلغت بها الريح إلى قلب الشاعر، وهي أنها ذكرته بأحبته في الشام.

(٣) وزائرتي: الواو واو رب، أي وزائرة لي. وأراد بالزائرة الحمى لأنها كانت تأتيه ليلاً وتفارقه في الصباح.

(٤) المطارف، جمع مطرف: رداء من خز. الحشايا، جمع حشية: الفراش المحشو. عاقتها: أبتها.

(٥) سجام: منسكة بأربعة: أي بأربعة أدمع، يعني تبكي من طرفي كل عين لكثرة دمعها.

(٦) المراد يفكر فيها منتظراً مجيئها لخوفه منها، كما يفكر العاشق في محبوبته منتظراً قدومها.

(٧) بنت الدهر: الشدة.

أَلَا يَا لَيْتَ شِعْرَ يَدَيِ أَتْمِسِي
 وَهَلْ أَرْمِي هَوَايَ بِرَاقِصَاتٍ
 فَرُبَّمَا شَفَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِي
 وَضَاقَتْ خُطَّةٌ فَخَلَّصْتُ مِنْهَا
 وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلَا وَدَاعٍ،
 يَقُولُ لِي الطَّبِيبُ أَكَلْتَ شَيْئاً،
 وَمَا فِي طَبِّهِ أَتَنِي جَوَادٌ،
 تَعَوَّدَ أَنْ يُغَبِّرَ فِي السَّرَايَا،
 فَأُمْسِكَ لَا يُطَالُ لَهُ فَيَرْعَى،
 فَإِنْ أَمْرَضَ فَمَا مَرِضَ اصْطِيبَارِي،
 وَإِنْ أَسْلَمَ فَمَا أَبْقَى، وَلَكِنْ
 تَمَتَّنْتَ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ،
 فَإِنَّ لِثَالِثِ الْحَالِينَ مَعْنَى

تَصَرَّفَ فِي عِنَانٍ أَوْ زِمَامٍ^(١)
 مُحَلَاةَ الْمَقَاوِدِ بِاللُّغَامِ^(٢)
 بِسَيْرٍ أَوْ قَنَاةٍ أَوْ حُسَامٍ^(٣)
 خَلَّصَ الْخَمْرَ مِنْ نَسِجِ الْفِدَامِ^(٤)
 وَوَدَّعْتُ الْبِلَادَ بِلَا سَلَامٍ^(٥)
 وَدَاوُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ
 أَضَرَّ بِجَسْمِهِ طَوْلُ الْجَمَامِ^(٦)
 وَيَدْخُلُ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامٍ^(٧)
 وَلَا هَوَ فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللَّجَامِ^(٨)
 وَإِنْ أَحَمَمَ فَمَا حَمَّ اعْتِزَامِي^(٩)
 سَلِمْتُ مِنَ الْحَمَامِ إِلَى الْحِمَامِ^(١٠)
 وَلَا تَأْمُلُ كَرَى تَحْتَ الرُّجَامِ^(١١)
 سَوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالْمَنَامِ^(١٢)

- (١) لَيْتَ شِعْرَ يَدَيِ: أَي لَيْتَ يَدَيِ تَشْعُرُ، الْعِنَانُ: سَيْرُ اللَّجَامِ، الزِمَامُ: الْمَقُودُ. يَتَمَنَّى السَّفَرَ عَلَى الْخَيْلِ أَوْ عَلَى الْإِبِلِ.
- (٢) الرَاقِصَاتُ: الْإِبِلُ الَّتِي تَخْبُ فِي سِيرِهَا. اللَّغَامُ: الزَبْدُ عَلَى فَمِ الْبَعِيرِ. يَقُولُ: هَلْ أَطْلُبُ مَا أَهْوَاهُ مِنَ الْأُمُورِ بِرَاقِصَاتٍ تَحَلَّتْ مَقَاوِدَهَا بِالزَبْدِ الَّذِي عَلَى أَفْوَاهِهَا.
- (٣) رَبَّمَا مِثْلُ رَبَّمَا دَخَلْتَ عَلَيْهَا التَّاءُ.
- (٤) الْخُطَّةُ: الْأَمْرُ. الْفِدَامُ: مَا يَجْعَلُ عَلَى فَمِ الْإِبْرِيقِ، لِتَصْفِيَةِ الْخَمْرِ.
- (٥) بِلَا وَدَاعٍ: أَي بِعَجَلَةٍ. بِلَا سَلَامٍ: لِأَنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهَا.
- (٦) الْجَمَامُ الرَّاحَةُ.
- (٧) السَّرَايَا: جَمْعُ سَرِيَةٍ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْجَيْشِ. الْقَتَامُ: الْغُبَارُ.
- (٨) لَا يَصَالُ: لَا يَرُخَى لَهُ الْحَبْلُ، وَهُوَ الْحَبْلُ الَّذِي تُشَدُّ بِهِ قَائِمَةُ الدَّابَّةِ، وَيَكُونُ طَوِيلًا لِتُرْعَى فِي الْعَلِيقِ: أَي لَا يَقْرُبُ لَهُ الْعَلِيقُ. فِي اللَّجَامِ: أَي لَا يَوْضَعُ لَهُ اللَّجَامُ لِلْسَفَرِ.
- (٩) أَحَمَمَ: أَصَابَ بِالْحَمَى.
- (١٠) سَلِمْتُ مِنَ الْحَمَامِ إِلَى الْحِمَامِ: أَي لَا بَدَّ مِنَ الْمَوْتِ.
- (١١) السُّهَادُ: السُّهْرُ. الْكَرَى: النَّعَاسُ، وَقَدْ يَرَادُ بِهِ النَّوْمُ. الرُّجَامُ: حَجَارَةٌ تَوْضَعُ فَوْقَ الْقُبُورِ وَاحِدَتُهَا رَجْمَةٌ.
- (١٢) ثَالِثُ الْحَالِينَ: الْمَوْتُ، وَحَالُهُ غَيْرُ حَالِ السُّهْرِ وَحَالِ النَّوْمِ.

ابن الرومي

ذكريات الشباب:

من قصيدة يمدح بها عبيدالله بن عبدالله بن طاهر:

يُذَكِّرُنِي الشَّبَابَ هَوَانُ عَتَبِي،	وَصَدُّ الْغَانِيَاتِ لَدَى عِتَابِي ^(١)
يُذَكِّرُنِي الشَّبَابَ سِهَامُ حَتَفٍ،	يُصِيبَنَّ مَقَاتِلِي دُونَ الْإِهَابِ ^(٢)
رَمَتْ قَلْبِي بِهِنَ، فَأَقْصَدْتُهُ	طُلُوعُ النَّبْلِ مِنْ خَلَلِ النَّقَابِ ^(٣)
فَرَاخَتْ، وَهِيَ فِي بَالٍ رَخِيٍّ؛	وَرُحْتُ بَلَوَعَةٍ مِثْلَ الشَّهَابِ ^(٤)
وَلَوْ شَهِدَ الشَّبَابُ، إِذَنْ لَرَاخَتْ	وَأَنَّ بِهَا، وَعَيْشِيكَ، ضِعْفَ مَا بِي ^(٥)
يُذَكِّرُنِي الشَّبَابَ جَنَّاتُ عَدْنٍ،	عَلَى جَنَابَاتِ أَنْهَارٍ عَذَابِ ^(٦)

(١) يقول: يذكره الشباب قلة احتفاء الحسان به، فقد هان عليهن عتابه، وإذا عاتبهن، أعرضن عنه.

(٢) الحتف: الموت. الإهاب: الجلد. والمراد بسهام الحتف ما ترسله الحسناء من نظراتها، فتصيب منه موضع القتل في قلبه، دون أن تخترق جلد البدن.

(٣) أقصده السهم: أصابه فقتله في مكانه. طلوع: كثيرة الطلوع، وهو فاعل رمت. الخلل: المنفرج ما بين الشيتين. النقاب: القناع على طرف الأنف تستر به المرأة وجهها، وتبدي عينيها. المعنى: أن نبال عينيها تطلع من خلل نقابها أي من فرجته بين الأنف وأعلى الرأس.

(٤) البال الرخي: أي الحال الحسنة المتسعة السهلة. الشهاب: شعلة النار الساطعة.

(٥) شهد: حضر.

(٦) جنات عدن: أي جنات إقامة يعني حيث تطيب الإقامة؛ يقال عدن بالمكان عدناً: أقام؛ وجنة عدن في الأصل: هي الموضع الذي وضع الله فيه آدم، ولا يعلم مكانها.

تَفِيءُ ظِلُّهَا نَفْحَاتُ رِيحٍ،
 إِذَا مَاسَتْ ذَوَائِبُهَا، تَدَاعَتْ
 يُذَكِّرُنِي الشَّبَابَ رِياضُ حَزْنٍ،
 إِذَا شَمَسَ الْأَصَائِلُ عَارِضَتِهَا،
 وَالْقَتَّ، جُنَحَ مَغْرِبِهَا، شُعَاعاً
 يُذَكِّرُنِي الشَّبَابَ سَرَاةً نَهْيٍ
 قَرَّتُهُ مُزْنَةٌ بِكُرٍّ، وَأُضْحَى
 عَلَى حَصْبَاءَ، فِي أَرْضٍ هِجَانٍ،
 تَهْزُ مُتَوْنَ أَغْصَانٍ رِطَابٍ^(١)
 بِوَاكي الطيرِ، فِيهَا، بَانِتِخَابٍ^(٢)
 تَرْتَّمُ، بَيْنَهَا، زُرْقُ الذَّبَابِ^(٣)
 وَقَدْ كَرَبَتْ تَوَارِي بِالْحِجَابِ^(٤)
 مَرِيضاً مِثْلَ الْحَاظِ الْكَعَابِ^(٥)
 نَمِيرِ الْمَاءِ، مُطَرِدِ الْحَبَابِ^(٦)
 تُرْقِرُّهُ الصَّبَا مِثْلَ السَّرَابِ^(٧)
 كَأَنَّ تُرَابَهَا ذَفِرُ الْمَلَابِ^(٨)

- (١) تَفِيءُ ظِلُّهَا: تحركه، يقال فَيَاتَ الرِّيحُ الزَّرْعَ وَالشَّجَرَ: حركتهما؛ وقوله تَفِيءُ ظِلُّهَا: لأن الرِّيحَ تحرك الأغصان فيتحرك ظلُّها معها. المتون: الظهور.
- (٢) ذَوَائِبُهَا: أي أعالي الأغصان.
- (٣) الحزن: ضد السَّهْل من الأرض. زُرْقُ الذَّبَابِ: هي ضرب من الذباب المغني، أزرق اللون يَأْلَفُ الرِّياضَ والكلأ ويلحق بالقواف فيغمس خراطيمه في لحم الإبل، فيخرق الجلود الغلاط حتى ينزف الدم نزفاً؛ ويقال له الشعراء؛ ومنه أحمر اللون. ومن أقوال القوافل: بادروا قبل أن تتحرك ذبان الرِّياض والكلأ.
- (٤) الأصائل، جمع الأصل: الشعيء. عَارِضَتِهَا: قابلتها، وضمير النصب يرجع إلى الرِّياض. كَرَبَتْ: كادت. الْحِجَابُ: الأفق، أي كادت الشمس تختفي بالأفق. والمراد أن الرِّياض تذكره الشَّبَابَ إِذَا شَمَسَ الْأَصَائِلُ عَارِضَتِهَا عِنْدَ الْمَغِيبِ.
- (٥) جُنَحَ مَغْرِبِهَا: أي أوله. الْكَعَابُ: الناهد. يقال لَالْحَاظِ الْحَسَانَ مَرِيضَةً وَضَعِيفَةً لَانْكَسَارِ أَجْفَانِهِنَّ، وَرَقَّةَ نَظْرَاتِهِنَّ.
- (٦) السَّراة: أعلى الطريق ووسطه، والمراد هنا: الطريق على الإطلاق. النهي: الغدير. النَمِيرُ: الماء العذب الناجع. مطرد: متتابع. الْحَبَابُ: نفاخات الماء التي تعلوه.
- (٧) قَرَّتُهُ: جمعته، يقال قَرَّى الْمَاءُ فِي الْحَوْضِ: أي جمعه. الْمَزْنَةُ: القطعة من السحاب فيها ماء. الْبَكْرُ: السحابة الغزيرة. تَرْقِرُّهُ: تحركه حتى يجيء ويذهب ويتلأأ ويلمع. الصَّبَا: الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ. السَّرَابُ: ما تراه في نصف النهار من اشتداد الحر كالماء يلصق بالأرض؛ يقال: تَرْقِرُقُ السَّرَابَ.
- (٨) الْهِجَانُ: الأرض الكريمة. الذَفِرُ: ذو الرائحة الطيبة. الْمَلَابُ: ضرب من الطيب.

لَهُ حُبُّكَ، إِذَا اطَّرَدْتُ عَلَيْهِ،
تَذَكَّرُنِي الشَّبَابَ صَباً بَلِيلٌ،
أَتَتْ مِنْ بَعْدِ مَا انْسَحَبَتْ مَلِيًّا،
وَقَدْ عَيْقَتْ بِهَا رَيَّا الْخُزَامِي،
يُذَكِّرُنِي الشَّبَابَ وَمِضُّ بَرْقٍ،
فِيَا أَسْفَا، وَيَا جَزَعَا عَلَيْهِ!
أَفْجَعُ بِالشَّبَابِ وَلَا أُعْزَى؟
قَرَأْتُ بِهَا سُطُوراً فِي كِتَابٍ^(١)
رَسِيسُ الْمَسْرِ، لَاغِبَةُ الرِّكَابِ^(٢)
عَلَى زَهْرِ الرُّبَى، كُلُّ انْسِحَابٍ^(٣)
كَرِّيَا الْمِسْكِ، ضُوعٌ بَانِيَهَابٍ^(٤)
وَسَجْعُ حَمَامَةٍ، وَحَنِينُ نَابٍ^(٥)
وَيَا حَزْناً إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ!^(٦)
لَقَدْ غَفَلَ الْمُعْزَى عَنْ مُصَابِي

وجه عمرو

قال يهجو عمراً النصراني، ويستدل من أهاجيه له أنه كان حاجب
الوزير، وكان يمنع ابن الرومي فلا يأذن له بالدخول:

وَجْهُكَ، يَا عَمْرُو، فِيهِ طَوْلٌ؛ وَفِي وُجُوهِ الْكِلاَبِ طَوْلٌ
مَقَابِخُ الْكَلْبِ فِيكَ طَرّاً، يَزُولُ عَنْهَا، وَلَا تَزُولُ

(١) له: أي للنهي. الحبك: تجعد الماء وتكسره، واحدتها حبيكة. اطردت: تتابعت، والفاعل يعود إلى الصبا. بها: أي بهذه الحبك.

(٢) الصبا: الريح الشرقية. البليل: التي ابتلت بالماء وبردت. رسيس المس: لينة المس، يقال ريح رسيس. لاغبة: تعب. الركاب: الإبل، واحدتها راحلة. يقال من المجاز: الرياح اللواغب، أي المتعبة لطول سيرها، ولأن الريح تشبه بالإبل، فيقال لها ركاب السحاب.

(٣) ملياً: زمناً طويلاً.

(٤) الريا: الرائحة الطيبة. الخزامى: نبت أو خيري البر، زهره أطيّب الأزهار نفحة. والخيري: المنشور الأصفر. ضوع: هيجت رائحته. والمراد: انتهبت الأيدي هذا المسك فهيجت رائحته. يقال ضاعت الرائحة: سطعت وانتشرت.

(٥) الناب: الناقة المسنة. والمراد: وميض البرق مبشراً بالمطر والخضرة وشباب الطبيعة، وسجع الحمامة إلى إلها، وحنين الناقة إلى أولادها.

(٦) يوم الحساب: يوم القيامة.

وفيه أشياء صالحات،
فالكلبُ وافٍ، وفيكَ غدرٌ،
وقد يُحامي عن المَواشي،
وأنتَ مِن أهلِ بَيتِ سَوءٍ،
وَجُوهُهُم لِلوَرَى عِظَاتٌ،
نَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ، قد فَعَلْنَا
ما إِنْ سألناكَ ما سألنا،
صَمْتُ وَعَيْتُ، فلا خِطابٌ،
مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ فَعُولٌ،
بَيتُ كَمَعْنَاكَ، لَيسَ فيه

حَمَاكُهَا اللّٰهُ والرَّسُولُ:
فَفِيكَ عَن قَدْرِهِ سُفُولٌ
وما تُحامي ولا تُصُولُ
قِصَّتُهُم قِصَّةٌ تُطُولُ
لَكنْ أَقْفَاءُهُم طُبُولُ
ما يَفْعَلُ المائِقُ الجَهُولُ
إلا كَمَا تُسألُ الطُّلُولُ
ولا كِتَابٌ، ولا رَسُولُ
مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ فَعُولُ
مَعْنَى، سِوَى أَنَّهُ فُضُولُ

أبو العلاء المعري

ضحكة القبر

غير مُجدٍ في ملتي واعتقادي،
وشبيه صوت النعي، إذا قيد
أبكت تلكم الحمامة، أم غـ
صاح هذي قبورنا تملأ الرُخـ
خفف الوطء ما أظن أديم الـ
وقبيح بنا، وإن قَدَم العَهـ
سز، إن اسطعت، في الهوائِ رويداً،
رُب لحدي، قد صارَ لحداً مِراراً،
ودفين على بقايا دفين،
تعب كلُّها الحياة، فما أغـ
إن حزننا، في ساعة الموت، أضعا
خلق الناس للبقاء، فضلت
إنما ينقلون من دارِ أعما
ضجعة الموت رقدةً يستريح الـ

نوح بالك، ولا ترئم شاد
س، بصوت البشير في كل ناد
يث على فرع عُصنها المياد؟
ب، فأين القبور من عهد عاد؟
أرض إلا من هذه الأجساد
د، هوان الأباء والأجداد
لا اختيلاً على رفات العباد
ضاحك من تزاخم الأضداد
في طویل الأزمان والأباد
جب إلا من راغب في ازدياد
ف سرور في ساعة الميلاد
أمة يحسبونها لهم للنفاد
ل إلى دار شقوة أو رشاد
جسم فيها، والعيش مثل الشهاد



بأن أمرُ الإله، واختالف الثا
والذي حازت البرية فيه،
واللبيب اللبيب من ليس يغـ

س، فداع إلى ضلال وهاد
حيوان مستحدث من جماد
تر بكون مصيره للفساد

رسالة الغفران

آراء في النقد

مع عدي بن زيد:

فيقول لعبيد: «ألك علم بعدي بن زيد العبادي؟» فيقول: «هذا منزله قريباً منك». فيقف عليه، فيقول: «كيف كانت سلامتك على الصراط؟» فيقول: «إني كنت على دين المسيح، ومن كان من أتباع الأنبياء قبل أن يُبعث محمد فلا بأس عليه، وإنما التَّبعة على من سجد للأصنام». فيقول الشيخ: «لقد هممت أن أسألك عن بيتك الذي استشهد به سيويه وهو قولك:

أَرْوَاحٌ مُـوَدَّعٌ أَمْ بُـكـوُورُ أنت فانظر لأي حال تصيرُ
فإنه يزعم أن «أنت» يجوز أن تُرفع بفعل مضمر يفسره قولك: فانظر، وأنا أستبعد هذا المذهب ولا أظنك أردته» فيقول عدي بن زيد: «دعني من هذه الأباطيل!

ولكني كنت في الدار الفانية صاحب قَنَصٍ، فهل لك أن نركب فرسين من خيل الجنة، فنبعثهما على صيرانها، وخيطان^(١) نعامها، وأسراب طبائها وعانات^(٢) حُمُرِها، فإن للقنيص لذة!» فيقول الشيخ: «إنما أنا صاحب قلم، ولم أكن صاحب خيل!».

ملاحاة النابغة الجعدي والأعشى:

ويقول نابغة بني جعدة، وهو جالس يستمع: «يا أبا بصير! أهذه الرباب التي ذكرها السعدي هي ربابك التي ذكرتها في قولك:

(١) الصيران: جمع صيار وهي لغة في صوار، والصوار بالضم ويكسر: القطيع من بقر الوحش.

(٢) الخيطان: جماعات النعام.

(٣) العانات، جمع العانة: القطيع من حمر الوحش.

فما نطق الديك حتى ملأث كوب الرّباب له، فاستداراً»

فيقول أبو بصير: «قد طال عمرك يا أبا ليلي، وأحسبك أصابك الفند^(١)، فبقيت على فندك إلى اليوم! أما علمت أن اللواتي يسمّين بالرّباب أكثر من أن يحصّين؟ أفظنّ أنّ الرّباب هذه هي التي ذكرها القائل:

ما بال قومك يا رباب خُزراً كأنهم غصاب^(٢)

أو التي ذكرها امرؤ القيس في قوله:

دار لهند والرّباب وقرّئي ولميس، قبل حوادث الأيام»

فيقول نابغة بني جعدة: «أتكلمني بمثل هذا الكلام يا خليع بني ضبيعة، وقد متّ كافراً وأقررت على نفسك بالفاحشة، وأنا لقيتُ النبي ﷺ، فأنشدته كلمتي التي أقول فيها:

بلغنا السّماء مجدّنا وسناؤنا، وإنّا لنبغي فوق ذلك مظهرًا

فقال لي: «إلى أين يا أبا ليلي؟» فقلت: «إلى العجّة بك يا رسول الله!» فقال: «لا يفضّض الله فاك!»

أغرّك أن عدّك بعض الجهّال رابع الشعراء الأربعة، وكذب مفضّلك، وإنّي لأطول منك نفّساً، وأكثر تصرّفاً، ولقد بلغت، بعدد البيوت، ما لم يبلغه أحدٌ من العرب قبلي، وأنت لاهٍ بعفارتك^(٣) تفتري على كرائم قومك، وإن صدقت فخزيًا لك ولمقارّك^(٤)».

فيغضب أبو بصير، فيقول: «أتقول هذا وإن بيتاً ممّا بنيتُ ليُعدّلُ بمائة من بنائك؟ وإن أسهبت في منطقتك، فإنّ المُسهب كحاطب الليل. وإنّي لفي

(١) الفند: الخرف.

(٢) الخزر: المصابون بضيق العين.

(٣) العفارة: الخبث والنكر.

(٤) مقارّك: مخالطك.

الجرثومة من ربيعة الفرس، وهل جعدة إلا رائدة ظليم^(١) نفور؟ أتغيرني مدح الملوك يا جاهل؟ ولو قدرت على ذلك لهجرت إليه أهلك وولدك. ولكنك خلقت جباناً، لا تدلج في الظلماء الداجية، ولا تهجر في الودية^(٢) الصاخدة^(٣)».

فيقول الجعدي: «اسكث يا ضل بن ضل، فأقسم ان دخولك الجنة من المنكرات، ولكن الأقضية جرت كما شاء الله! لحقك أن تكون في الدرك الأسفل من النار، ولقد صلي بها من هو خير منك. ولو جاز الغلط على رب العزة. لقلت: إنك غلط بك.

واستقللت بني جعدة، وليوم من أيامهم يرجع بمساعي قومك! وزعمتني جباناً وكذبت، لأنا أشجع منك ومن أبيك، وأصبر على ادلاج المظلمة ذات الأريز^(٤)، وأشد ادلاجاً في الهاجرة أم الصخذان!».

ويشب نابغة بني جعدة على أبي بصير، فيضربه بكوز من ذهب. فيقول الشيخ، أصلح الله به. «لا عربدة في الجنان، إنما يعرف ذلك بين السفلة والهجاج^(٥)، وإنك يا أبا ليلى لمتترع^(٦)». ولولا أن في الكتاب الكريم: «لا يصدعون عنها ولا ينزفون» لظنناك أصابك نزف في عقلك». ويريد أن يصلح بين الندماء، فيقول: «يجب أن يحذر من ملك يعبر، فيرى هذا المجلس، فيرفع حديثه إلى الجبار الأعظم، فلا يجر ذلك إلا إلى ما تكرهان».

واستغنى ربنا أن ترفع الأخبار إليه؛ ولكن جرى ذلك مجرى الحفظة في الدار العاجلة. أما علمتما أن آدم خرج من الجنة بذنب حقير! فغير آمن من ولد أن يقدر له مثل ذلك! فسألتك بالله يا أبا بصير: هل يهجس لك

(١) الظليم: ذكر النعام، والمراد طالبة نسب نفور منها.

(٢) الودية: شدة الحر.

(٣) الصاخدة: الشديدة القيظ.

(٤) الأريز: الصقيع.

(٥) الهجاج: الحمقى.

(٦) متترع: مسرع إلى ما لا تحمد عقباه.

تمني المدام؟» فيقول: «كلّ والله، إنّها عندي كمثّل المَقِير، لا يخطرُ ذكرها بالخلد، فالحمد لله الذي سقاني عنها السلوانة^(١)».

فيقول: «يا أبا ليلى! إنّ الله، جلّت قدرته، منّ علينا بهؤلاء الحور العين اللواتي حولهنّ عن خلق الإوز، فاختر لنفسك واحدة منهنّ، فلتذهب معك إلى منزلك تلاحنك أرقّ اللّحان، وتسمعك ضروب الألحان».

فيقول لبيد بن ربيعة: «إن أخذ أبو ليلى قينةً، وأخذ غيره مثلها، أليس ينتشر خبرها في الجنة؟ فلا يؤمن أن يسمّى فاعلو ذلك: أزواج الإوز». فتضرب الجماعة عن اقتسام أولئك القيان.

مدح رضوان:

فلما أقمْتُ في الموقف زهاء شهر أو شهرين، وخِفْتُ من الغرق، في العرق، زيّت لي النفس الكاذبة أن أنظّم أبياتاً في رضوان، خازن الجنان، عملتها في وزن: «قفا نبيك من ذكرى حبيب وعرفان» ووسمتها برضوان، ثم ضانكتُ الناس حتى وقفت منه بحيث يسمع ويرى، فما حفل بي، ولا أظنه أبه لما أقول، فغبرت^(٢) برهة نحو عشرة أيام من أيام الفانية، ثم عملت أبياتاً في وزن:

بانّ الخليط ولو طوَّغَتْ ما بانّا وقطعوا من جبال الوصل أقرانا

ووسمتها برضوان، ثم دنوت منه، ففعلت كفعلّي الأوّل، فكأنّي أحرك ثبيراً، وألتمس من العِضرم^(٣) عبيراً، فلم أزل أتتبع الأوزان التي يمكن أن يوسم بها رضوان حتى أفنيته، وأنا لا أجد عنده مغوثةً، ولا ظننته فهم ما أقول، فلما استقصيتُ الغرض فما أنجحتُ، دعوت بأعلى صوتي: «يا رضوان! يا أمين الملك الجبّار الأعظم على الفراديس! ألم تسمع ندائي بك،

(١) السلوانة: العسل.

(٢) غبرت: أي مكثت.

(٣) العِضرم: تراب يشبه الجص.

واستغاثني إليك؟» فقال: «لقد سمعتك تذكر رضوان وما علمت مقصداً، فما الذي تطلبه أيتها المسكين؟» فأقول: «أنا رجل لا صبر لي على اللؤاب^(١)، وقد استطلت مدة الحساب، ومعى صك بالتوبة، وهي للذنوب كلها ماحية، وقد مدحتك بأشعار كثيرة ووسمتها باسمك» فقال: «وما الأشعار؟» فقلت: «الأشعار جمع شعر، والشعر كلامٌ موزون تقبله الغريزة على شرائط إن زاد أو نقص أبانته الحسن، وكان أهل العاجلة يتقربون به إلى الملوك والسادات فجئت بشيء منك إليك، لعلك تأذن لي بالدخول في هذا الباب، فقد استطلت ما الناس فيه، وأنا ضعيفٌ منين^(٢) ولا ريب أنني ممن يرجو المغفرة، وتصح له بمشيئة الله تعالى» فقال: «إنك لغيبين الرأي، أتأمل أن آذن لك بغير إذن من رب العزة؟ هيهات هيهات! وأنى لهم التناوش^(٣) من مكان بعيد!»

مع امرئ القيس

ويسأل عن امرئ القيس بن حُجر، فيقول: «يا أبا هند أخبرني عن التسميط^(٤) المنسوب إليك، أصحيح هو عنك؟»
ويُنشدُه الذي يرويه بعض الناس:

يَا قَـوْمَ إِنَّ الـهَـوَى إِذَا أَصَابَ الـفُـتَى
فِي الْقَلْبِ ثَمَّ ارْتَقَى فَهَذَا بَعْضُ الْقُـوَى
فَقَدْ هَوَى الرَّجُلُ

فيقول: «والله ما سمعتُ هذا قط، وإنه لقري^(٥) لم أسلكه، وإن الكذب لكثير، وأحسبُ هذا لبعض شعراء الإسلام، ولقد ظلمني وأساء إليّ، أبعد كلمتي التي أولها:

(١) اللؤاب: العطش.

(٢) المنين: الضعيف.

(٣) التناوش: تناول.

(٤) التسميط: ضرب من الشعر المخمس، أجزاءه على غير روي القافية.

(٥) القري: مسيل الماء من الربوة، ويكنى به عن الأمر الصغير.

ألا عِم صباحاً أيها الطَّلُّ البالي وهل يَعْمَنَ من كان في العُصْر الخالي
وقولي :

خليلي مزا بي على أم جُنْدَبٍ لأقضي حاجاتِ الفؤادِ المعذَّبِ
يُقال لي مثل ذلك؟ والرَّجْزُ من أضعف الشعر، وهذا الوزنُ من أضعف
الرَّجْزِ!». فيعجب لما سمعه من امرئ القيس .

مع عنتره:

وينظر، فإذا عنتره متلذذ^(١) في السعير، فيقول: «ما لك يا أخا عيسا
كأنك لم تنطق بقولك:

ولقد شربت من المُدَامَةِ بَعْدَما رَكَدَ الهواجرُ بِالْمَشُوفِ الْمُعْلَمِ^(٢)
بَرْجَاجَةٍ صفراء ذاتِ أَسِرَّةٍ قُرِئَتْ بأزهرٍ في الشِّمالِ مُفْدَمِ^(٣)

ولإني إذا ذكرتُ قولك: «هل غادر الشعراء من مترذم» لأقول: «إنما
قليل ذلك وديوان الشعر قليلٌ محفوظٌ، فأما الآن فلو سمعتَ ما قيل بعد
مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ، لَعَتَبْتَ نفسك على ما قلت، وعلمتَ أن الأمر كما قال
حبيبُ بنِ أوس^(٤)»:

فلو كان يَفْنَى الشعرُ أفناه ما قَرَّتْ جِيَاضُكُ منه في العصور الذواهبِ^(٥)
ولكنَّه صوبُ العقول، إذا انجلت سحائبُ منه أَعْقَبَتْ بِسَحَائِبِ

فيقول: «وما حبيبُكم هذا؟» فيقول: شاعرٌ ظهر في الإسلام» وينشده

(١) متلذذ: متحير يتلفت يمينا وشمالاً.

(٢) ركذ: سكن. الهواجر، جمع الهاجرة: شدة الحر قرب الظهر. المشوف: المجلول،
قوله المشوف المعلم أي الدينار.

(٣) ذات اسرة: ذات خطوط. ازهر: أي إبريق أبيض. في الشمال: أي مبرد بريح
الشمال. مفدم: أي مسدود بمصفاة لتصفيته.

(٤) أبو تمام.

(٥) قرت: جمعت.

شيئاً من نظمه، فيقول: «أما الأصل فعربي، وأما الفرع فنُطق به غبي، وليس هذا المذهبُ على ما تعرف قبائلُ العرب». فيقول، وهو ضاحكٌ مستبشِرٌ: «إنما يُنكرُ عليه المستعار، وقد جاءت العارِيّةُ في أشعار كثيرة من المتقدمين، إلاّ أنّها لا تجتمع كاجتماعِها فيها نظّمه حبيبُ بنِ أوسٍ.

ولقد شقّ عليّ دخولُ مثلك إلى الجحيم، وكأنّ أذني مُصغيةٌ إلى قينات الفسّاط وهي تغرّدُ بقولك:

أمن سُميّة دمعِ العينِ تذييفُ لو أنّ ذا منك، قبلَ اليوم، معروفٌ

مع عمرو بن كلثوم:

فليت شعري، ما فعلَ عمرو بنُ كلثوم؟

فيقال: «ها هو ذا من تحتك، إن شئت أن تُحاوِرَه فحاوِرَه».

فيقول: «كيف أنت أيّها المصطبِخُ^(١) بصحن الغانية، والمُغتَبِقُ^(٢) من الدنيا الفانية! لوددتُ أنّك لم تُساند^(٣) في قولك:

كَأَنَّ مُتَوْنَهْنَ مُتَوْنُ غُدِرٍ تُصَفِّقُهَا الرِّياحُ إِذَا جَرَيْنَا^(٤)»

فيقول عمرو: «إنّك لقرير العين، لا تشعر بما نحن فيه، فاشغل نفسك بتمجيد الله، واترك ما ذهب فإنّه لا يعود. وأما ذِكرُكِ سِنادي فإن الإخوة ليكونون ثلاثة أو أربعة، ويكونُ فيهم الأعرجُ والأبْخَقُ^(٥) فلا يُعابون بذلك، فكيف إذا بلغوا المائة في العدد؟».

(١) المصطبِخ: الذي يشرب الخمر صباحاً، يشير إلى قول عمرو في أول معلقته:

الا هبي بصحتك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندينا

(٢) المغتَبِق: الشارب مساءً.

(٣) لم تُساند: أي لم تأت بالسناد في شعرك.

(٤) غدر: مخفف غدر، جمع غدير. السناد هنا في فتح الراء قبل الياء الساكنة في قوله جرينا.

(٥) الأبْخَق: الأعور القبيح العور.

جنة الرجز

ويمرّ بأبيات ليس لها سُموق^(١) أبيات الجنة، فيسأل عنها، فيقال: «هذه جنة الرّجز» فيقول: «تبارك العزيز الوهاب، لقد صدق الحديث المروى: «إنّ الله يُحبّ معالي الأمور ويكره سَفَسَافَها» وإنّ الرّجزَ لمن سَفَسَافَ القريض؛ قصّرتُم أيّها النّقرُ فقَصّرَ بكم!».

ويعرض له رؤية^(٢) فيقول: «يا أبا الجحّاف! ما كان أكلُفك بقوافٍ ليست بالمُعجبة، تصنع رَجْزاً على الغين، ورجزاً على الطاء، وعلى الظاء، وعلى غير ذلك من الحروف النافرة، ولم تكن صاحبَ مثل مذكور، ولا لفظ يُستحسن!» فيغضبُ رؤية ويقول: «إني تقول هذا؟ وعني أخذ الخليل وكذلك أبو عمرو بن العلاء، وقد غَبِرَتْ^(٣) في الدار السالفة تفتخر باللفظة تقنُ إليك، ممّا نقله أولئك عني وعن أشباهي؟» فإذا رأى ما في رؤية من الانتخاء^(٤) قال: «لو شِيك رَجْزُك ورجزُ أبيك لم تخرُج منه قصيدة مُستَحسنة، ولقد كنت تأخذ جوائز الملوك بغير استحقاق، وإنّ غيرك أولى بالأعطية والصّلات» فيقول رؤية: «أليس رئيسُك في القديم، والذي ضَهَلْتُ^(٥) إليه المقاييس، كان يستشهد بقولي ويجعلني له كالإمام؟».

فيقول: «لا فخرَ لك أن اسْتُشهد بكلامك، فقد وجدناهم يستشهدون بكلام أمة وكعاء^(٦)، وكم روى النّحاة عن طفل ما له في الأدب» فيقول رؤية: «أجئت لخصامنا في هذا المنزل؟ فامض لطيتك، فقد أخذت بكلامنا ما شاء الله» فيقول: «أقسمتُ ما يصلحُ كلامُكم للشّناء، تصكّون مسمع المُمْتَدَح بالجنْدَل، ومتى خرجتم عن صفة جمل ترثون له من طول العمل،

(١) سموق: ارتفاع.

(٢) رؤية بن العجاج.

(٣) غبرت: ظلمت.

(٤) الانتخاء: التعاظم.

(٥) ضهلّت: رجعت.

(٦) وكعاء: حمقاء.

إلى صفة فرس أو كلب، فإنكم غيرُ الرّاشدين!» فيقول رؤية: «إن الله، سبحانه وتعالى، قال: «يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأقيم وإن كلامك لمن اللغوا!»

فإذا طالت المخاطبة بينه وبين رؤية، سمع العجاج، فجاء يسأل المُحاجة^(١).

المتنبي

فأما ما ذكره من قول أبي الطيّب: «أذمّ إلى هذا الزمان أهيلَه» فقد كان الرجلُ مولعاً بالتصغير، لا يفتنّ منه بخُلسة المُغير، كقوله:

مَن لي بفهمِ أهيلِ عَصِرٍ يَدْعِي أن يحسُبَ الهنديّ فيهمِ باقِلُ^(٢)

وقوله: «مقالي للأخيمق يا حليمُ»

وقوله: «ونام الخويدمُ عن ليلنا»

وقوله: «أفي كلّ يومٍ تحتِ ضِبي شُويعرُ»^(٣).

وغير ذلك ممّا هو موجودٌ في ديوانه، ولا ملامّة عليه، إنّما هي عادة صارت كالطبع، تُغتفر مع المحاسن. وهذا البيت الذي أوله: «أذمّ إلى هذا الزمان أهيلَه» إنّما قاله في عليّ بن محمّد بن سيّار بأنطاكية قبل أن يمدح سيف الدولة. والشعراء مُطلق لهم ذلك، لأن الآية شهدت عليهم بالتخَرّص وقول الأباطيل: «ألم ترّ أنهم في كلّ وادٍ يهيمون؟ وأنهم يقولون ما لا يفعلون؟»

(١) المُحاجة: المسالمة.

(٢) باقل: رجل اشترى ظلياً باحد عشر درهماً فسئل عن ثمنه فبين لهم حسابه بفتح كفيه وإخراج لسانه، فانفلت الظبي، فضرب به المثل في العي.

(٣) الضبن: ما بين الكشح والابط.

الجاحظ

كتاب البخلاء

أهل خراسان^(١)

نَبْدُ بِأَهْلِ خَرَّاسَانَ لِإِكْثَارِ النَّاسِ فِي أَهْلِ خَرَّاسَانَ؛ وَنُخْصَ بِذَلِكَ أَهْلَ مَرْوَ^(٢)، بِقَدْرِ مَا خُصُّوا بِهِ.

قَالَ أَصْحَابُنَا: يَقُولُ الْمَرْوَزِيُّ^(٣) لِلزَّائِرِ، إِذَا أَتَاهُ، وَلِلْجَلِيسِ، إِذَا طَالَ جُلُوسُهُ: تَغْدَيْتَ الْيَوْمَ؟ فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَوْلَا أَنَّكَ تَغْدَيْتَ، لَغْدَيْتُكَ بِغَدَائِ طَنْبٍ. وَإِنْ قَالَ: لَا، قَالَ: لَوْ تَغْدَيْتَ، لَسَقَيْتُكَ حَمْسَةً أَقْدَاحٍ. فَلَا يَصِيرُ فِي يَدِهِ، عَلَى الْوَجْهِينِ، قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ.

ديكة مرو:

وَقَالَ ثُمَامَةُ^(٤): لَمْ أَرَ الدِّيكَ فِي بَلَدَةٍ قَطَّ إِلَّا وَهُوَ لَا قِطَّ، يَأْخُذُ الْحَبَّةَ بِمِنْقَارِهِ، ثُمَّ يَلْفِظُهَا قُدَّامَ الدَّجَاجَةِ؛ إِلَّا دِيكَةً مَرْوَ، فَإِنِّي رَأَيْتُ دِيكَةً مَرْوَ تَسْلُبُ الدَّجَاجَ مَا فِي مَنَاقِيرِهَا مِنَ الْحَبِّ! قَالَ: فَعَلِمْتُ أَنَّ بُخْلَهُمْ شَيْءٌ فِي طَبْعِ الْبِلَادِ، وَفِي جَوَاهِرِ الْمَاءِ. فَمِنْ ثَمَّ^(٥) عَمَّ جَمِيعَ حَيَوَانِهِمْ.

(١) بدأ يذكر أهل خراسان بعد إيراده رسالة سهل بن هارون في تحسين البخل.

(٢) مرو: بلد من خراسان.

(٣) المروزي: نسبة إلى مرو في الأناسي على غير قياس، ومروى في غير ذلك.

(٤) هو ثمامة بن أشرس النميري من رؤساء المعتزلة.

(٥) ثم: ظرف بمعنى هناك.

قصة أهل البصرة من المسجدين

قال أصحابنا من المسجدين: اجتمع ناس في المسجد ممن ينتحل الاقتصاد^(١) في الثقة، والتثنية للمال، من أصحاب الجمع والمنع^(٢). وقد كان هذا المذهب صار عندهم كالنسب الذي يجمع على التحاب، وكالحلف^(٣) الذي يجمع على التناصير. وكانوا إذا التقوا في خلقهم^(٤) تذكروا هذا الباب، وتطارحوه^(٥) وتدارسوه.

قال شيخ منهن: ماء بثرنا، كما علمتم، ملح أجاج^(٦) لا يقربه الحمار، ولا تسيغه^(٧) الإبل، وتموت عليه النخل. والنهر منا بعيد.

وفي تكلف العذب^(٨) علينا مؤنة^(٩). فكنا نمزج منه^(١٠) للحمار، فاعتل عنه^(١١)، وانتقض علينا^(١٢) من أجله. فصبرنا، بعد ذلك، نسقيه العذب صبراً. وكنت أنا والتعبة كثيراً ما نغتسل بالعذب، مخافة أن يعتري جلودنا منه^(١٣) مثل ما اعتري جوف الحمار؛ فكان ذلك الماء العذب الصافي يذهب باطلاً.

ثم انفتح لي فيه باب من الإصلاح، فعمدت إلى ذلك المتوضأ^(١٤)

(١) يتحل الاقتصاد: يتخذه مذهباً.

(٢) الجمع: جمع المال. المنع: منعه من الخروج.

(٣) الحلف: العهد.

(٤) الحلق: جمع حلقة أي حلقة مجلسهم.

(٥) تطارحوه: أي طرح كل واحد منهم آراءه على أصحابه.

(٦) أجاج: ملح مر.

(٧) تسيغه: تقبله وتستسهل بلعه.

(٨) العذب: أي الماء العذب.

(٩) مؤنة: مشقة وكلفة.

(١٠) منه: أي من الماء الأجاج.

(١١) اعتل عنه: أضرب وأحجم.

(١٢) انتقض علينا: عصانا وخرج عن طاعتنا.

(١٣) منه: من الماء الأجاج.

(١٤) المتوضأ: مكان الوضوء.

فَجَعَلْتُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهُ حُفْرَةً، وَصَهَرَجْتُهَا^(١) وَمَلَسْتُهَا، حَتَّى صَارَتْ كَأَنَّهَا صَخْرَةٌ مَنْقُورَةٌ. وَصَوَّبْتُ^(٢) إِلَيْهَا الْمَسِيلَ. فَتَحَنُّ، الْآنَ، إِذَا اغْتَسَلْنَا، صَارَ الْمَاءُ^(٣) إِلَيْهَا صَافِيًا لَمْ يُخَالِطْهُ شَيْءٌ. وَالْجِمَارُ أَيْضًا لَا تَقْرُزُ^(٤) لَهُ مِنْهُ. وَلَيْسَ عَلَيْنَا حَرْجٌ فِي سَقْيِهِ مِنْهُ؛ وَمَا عَلِمْنَا أَنَّ كِتَابًا حَرَمَهُ، وَلَا سُنَّةً نَهَتْ عَنْهُ. فَرَبِحْنَا هَذِهِ مُنْذُ أَيَّامٍ، وَأَسْقَطْنَا مِوَنَةً عَنِ النَّفْسِ وَالْمَالِ مَالِ الْقَوْمِ^(٥). وَهَذَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَمَنِّهِ^(٦).

فَاقْبَلْ عَلَيْهِمْ شَيْخٌ، فَقَالَ: هَلْ شَعَرْتُمْ بِمَوْتِ مَرْيَمَ الصَّنَاعِ؟ فَإِنَّهَا كَانَتْ مِنْ ذَوَاتِ الْاِقْتِصَادِ، وَصَاحِبَةِ إِصْلَاحٍ. قَالُوا: فَحَدِّثْنَا عَنْهَا. قَالَ: تَوَادَرُهَا كَثِيرَةٌ، وَحَدِيثُهَا طَوِيلٌ، وَلَكِنِّي أَخْبَرُكُمْ عَنْ وَاحِدَةٍ فِيهَا كِفَايَةٌ. قَالُوا: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: زَوَّجَتْ ابْنَتَهَا، وَهِيَ بِنْتُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، فَحَلَّتْهَا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، وَكَسَتْهَا الْمَرْوِيَّ^(٧) وَالْوَشِيَّ وَالْقَزَّ وَالْخَزَّ^(٨)، وَعَلَقَتْ الْمُعَصْفَرَ^(٩)، وَذَقَّتِ الطَّيِّبَ، وَعَظَّمَتْ أَمْرَهَا فِي عَيْنِ الْخَتَنِ^(١٠)، وَرَفَعَتْ مِنْ قَدْرِهَا عِنْدَ الْأَحْمَاءِ^(١١).

فَقَالَ لَهَا زَوْجُهَا: أَنَّى^(١٢) هَذَا يَا مَرْيَمُ؟ قَالَتْ: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. قَالَ: دَعِي عَنْكَ الْجُمْلَةَ، وَهَاتِي التَّفْسِيرَ. وَاللَّهِ، مَا كُنْتُ ذَاتَ مَالٍ قَدِيمًا، وَلَا

-
- (١) صهرجها: طلاها بالصاروج، أي القطران.
 (٢) صوبه: أرسله ووجهه في الجري.
 (٣) صار الماء: جرى واتجه إلى مصيره، أي موضعه.
 (٤) التقرز: نفور النفس واشمئزازها من الدنس.
 (٥) مال القوم: أي العيال.
 (٦) منه: فضله وكرمه.
 (٧) المروي: أي المروي من الثياب، نسبة إلى مرو.
 (٨) الخز: الحرير أو ما نسج من الصوف والحرير.
 (٩) المعصفر: أي الثوب المصبوغ بالعصفر، وهو نبات يصبغ بزهره صبغ أصفر. وقوله علقت المعصفر: أي المعصفر من الستائر.
 (١٠) الختن: الصهر، زوج ابنة الرجل.
 (١١) الأحماء: جمع حم وهو أبو زوج المرأة وأبو امرأة الرجل، ويطلق على من كان من قبله.
 (١٢) أنى: اسم استفهام بمعنى من أين.

وَرِثِيهِ حَدِيثًا؛ وَمَا أَنْتَ بِخَائِنَةٍ فِي نَفْسِكَ وَلَا فِي مَالٍ بَعْلِكَ؛ إِلَّا أَنْ تَكُونِي قَدْ وَقَعْتَ عَلَى كَنْزٍ وَكَيْفَ دَارَ الْأَمْرُ فَقَدْ أَسْقَطْتَ عَنِّي مُؤَنَّةً، وَكَفَيْتَنِي هَذِهِ الثَّائِبَةَ.

قَالَتْ: ااعْلَمْ أَنِّي، مُنْذُ يَوْمٍ وَلَدْتُهَا إِلَى أَنْ زَوَّجْتُهَا، كُنْتُ أَرْفَعُ مِنْ دَقِيقِ كُلِّ عَجْنَةٍ حَفْنَةً. وَكُنَّا، كَمَا قَدْ عَلِمْتُ، نَخْبِزُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً، فَإِذَا اجْتَمَعَ مِنْ ذَلِكَ مَكْكُوكٌ^(١)، يَبْعَثُهُ.

قَالَ زَوْجُهَا: ثَبَّتَ اللَّهُ رَأْيَكَ وَأَرْشَدَكَ! وَلَقَدْ أَسْعَدَ اللَّهُ مَنْ كُنْتَ لَهُ سَكْنًا^(٢)، وَبَارَكَ لِمَنْ جُعِلَتْ لَهُ الْإِفَاءُ وَلِهَذَا وَشِبْهِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ الذُّودُ إِلَى الذُّودِ إِبِلٌ^(٣)». وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَخْرُجَ وَلَدُكَ^(٤) عَلَى عِرْقِكَ الصَّالِحِ، وَعَلَى مَذْهَبِكَ الْمَحْمُودِ. وَمَا فَرَحِي بِهَذَا مِنْكَ بِأَشَدِّ مِنْ فَرَحِي بِمَا يَثْبُتُ اللَّهُ بِكَ فِي عَقِي^(٥) مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْمَرْضِيَّةِ.

فَنَهَضَ الْقَوْمُ إِلَى جَنَازَتِهَا، وَصَلُّوا عَلَيْهَا. ثُمَّ انْكَفَّوْا^(٦) إِلَى زَوْجِهَا، فَعَزَّوْهُ عَلَى مُصِيبَتِهِ، وَشَارَكُوهُ فِي حُزْنِهِ.

ثُمَّ انْدَفَعَ شَيْخٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ: لِمَ أَرَى فِي وَضْعِ الْأُمُورِ مَوَاضِعَهَا، وَفِي تَوْفِيقِهَا غَايَةَ حُقُوقِهَا كَمُعَادَةِ الْعَنْبَرِيَّةِ. قَالُوا: وَمَا شَأْنُ مُعَادَةِ هَذِهِ؟ قَالَ: أَهْدَى إِلَيْهَا، الْعَامَ، ابْنُ عَمٍّ لَهَا أَضْحِيَّةٌ^(٧)، فَرَأَيْتُهَا كَثِيبَةً حَزِينَةً، مُفَكَّرَةً مُطْرِقَةً.

(١) المكوك: مكيال عند أهل العراق يسع من نصف رطل إلى ثماني أواق.

(٢) السكن: ما يسكن إليه ويستأنس به من أهل ومال.

(٣) الذود: من النوق ما فوق الاثنين ودون العشر؛ مؤنثة جمعها أذواد. والمعنى إذا جمعت القليل من الذود إلى القليل منها صار إبلاً كثيرة. والأرجح أن هذا مثل لا حديث.

(٤) الولد: يكون مفرداً وجمعاً.

(٥) العقب: الولد وولد الولد.

(٦) انكفؤوا: رجعوا.

(٧) الأضحية: شاة يضحي بها، جمعها الأضاحي. وعند المسلمين: الشاة التي تذبح يوم الأضحى.

فَقُلْتُ لَهَا: «مَا لَكَ يَا مُعَاذَةُ؟» قَالَتْ: «أَنَا امْرَأَةٌ أَرْمَلَةٌ، وَلَيْسَ لِي قَيِّمٌ^(١)، وَلَا عَهْدٌ لِي بِتَدْيِيرِ لَحْمِ الْأَضَاحِيِّ. وَقَدْ ذَهَبَ^(٢) الَّذِينَ كَانُوا يُدَبِّرُونَهُ وَيَقُومُونَ بِحَقِّهِ، وَقَدْ خِفْتُ أَنْ يَضْيَعَ بَعْضُ هَذِهِ الشَّاقَةِ، وَلَسْتُ أَعْرِفُ وَضَعَ جَمِيعِ أَجْزَائِهَا فِي أَمَاكِينِهَا. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ فِيهَا وَلَا فِي غَيْرِهَا شَيْئًا لَا مَنَفَعَةَ فِيهِ؛ وَلَكِنَّ الْمَرْءَ يَعِجْزُ، لَا مَحَالَةَ^(٣). وَلَسْتُ أَخَافُ مِنْ تَضْيِيعِ الْقَلِيلِ، إِلَّا أَنَّهُ يَجْزُرُ تَضْيِيعَ الْكَثِيرِ. أَمَّا الْقَرْنُ فَالْوَجْهُ فِيهِ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ أَنْ يُجْعَلَ كَالْخُطَافِ^(٤)، وَيُسَمَّرَ فِي جِذْعٍ^(٥) مِنْ جُذُوعِ السَّقْفِ، فَيُعَلَّقَ عَلَيْهِ الزُّبُلُ^(٦) وَالْكِرَانُ^(٧) وَكُلُّ مَا خِيفَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَأْرِ وَالثَّمَلِ وَالسَّنَانِيرِ وَبَنَاتِ وَرْدَانَ^(٨) وَالْحَيَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَأَمَّا الْمُصْرَانُ^(٩) فَإِنَّهُ لَأَوْتَارُ الْمِنْدَقَةِ^(١٠)؛ وَبِنَا إِلَى ذَلِكَ أَعْظَمُ الْحَاجَةِ. وَأَمَّا قِحْفُ^(١١) الرَّأْسِ وَاللَّحْيَانِ^(١٢) وَسَائِرُ الْعِظَامِ فَسَبِيلُهُ أَنْ يُكْسَرَ بَعْدَ أَنْ يُعْرَقَ^(١٣)، ثُمَّ يُطَبَّخَ؛ فَمَا ارْتَفَعَ مِنَ الدَّسَمِ^(١٤) كَانَ

-
- (١) القيم: من يقوم بأمرها.
(٢) ذهب: أي مات الذين كانوا يدبرونه من أهلها.
(٣) هذا مثل ذكره الميداني وشرحه بقوله: أي لا تضيق الحيل ومخارج الأمور إلا على العاجز.
(٤) الخطاف: حديدة ملوية.
(٥) الجذع: ساق النخلة والشجرة. وعلى الجذوع يبني سقف البيت.
(٦) الزبل، جمع الزبيل: القفة أو الجراب أو الوعاء.
(٧) الكيران، جمع كور: الرحل وهو كل شيء يعد للرحيل من وعاء للأمتعة؛ ومركب البعير. وفي رواية: الكيزان، جمع كوز.
(٨) بنات وردان: الصراصير.
(٩) المصران: جمع المصير وهو المعى، وجمع الجمع: مصارين وهو هنا مأخوذ بمعنى المفرد أو اسم الجمع.
(١٠) المندقة: آلة الندف.
(١١) القحف: العظم فوق الدماغ.
(١٢) اللحيان، مثني لحي: عظم الحنك الذي عليه الأسنان، وموضع منبت اللحية من الرجل.
(١٣) يعرق: يجرد من اللحم.
(١٤) أي فما ارتفع من الدسم على وجه المرق في القدر.

للمصباح وللإدام^(١) وللعصيدة^(٢)، ولغير ذلك. ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها؛ فلم يرَ النَّاسُ وقوداً^(٣) قط أصفى ولا أحسنَ لهاً منها. وإذا كانت كذلك، فهي أسرع في القدر^(٤)، لقلّة ما يخالطها من الدخان. وأما الإهاب^(٥) فالجلد نفسه جراب. وللصوف وجوه لا تدفع. وأما الفرث^(٦) والبيغر فحطب، إذا جفف، عجيب.

ثم قالت: «بقي علينا الانتفاع بالدم؛ وقد علمت أن الله، عز وجل، لم يحرم من الدم المسفوح^(٧) إلا أكله وشربه؛ وأن له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها. وإن أنا لم أقع على علم ذلك حتى يوضع موضع الانتفاع به، صار كية في قلبي، وقذى في عيني، وهماً لا يزال يعاودني».

فلم البث أن رأيتها قد تطلّقت^(٨) وتبسّمت، فقلت: ينبغي أن يكون قد انفتح لك باب الرأي في الدم. قالت: «أجل، ذكرت أن عندي قدوراً شاميةً جُددًا. وقد زعموا أنه ليس شيء أدبغ، ولا أزيد في قوتها، من التلطيخ بالدم الحار الدسيم. وقد استرحت الآن، إذ وقع كل شيء موقعه».

قال: ثم لقيتها بعد ستة أشهر، فقلت لها: كيف كان قديد^(٩) تلك الشاة؟ قالت: «بأبي أنت^(١٠)! لم يجرى وقت القديد بعد. لنا في الشحم

(١) الإدام من الطعام: ما يؤتمد به مع الخبز فيطيبه، فيلتذ به الأكل، وهو عام في المائع وغيره.

(٢) العصيدة: طعام يتخذ من الدقيق والسمن والسكر.

(٣) الوقود: ما يوقد به كالفحم والحطب.

(٤) أسرع في القدر: أي أسرع في إحماؤها وانضاج ما فيها من الطعام.

(٥) الإهاب: الجلد.

(٦) الفرث: ما في الكرش من الزبل.

(٧) المسفوح: السائل؛ والدم المسفوح محرم في القرآن.

(٨) تطلّقت: أشرق وجهها وانبسط؛ ذكره الأساس.

(٩) القديد: اللحم المملوح المجفف في الشمس.

(١٠) بأبي: الباء للتفدية.

والأليّة والجُنوب^(١) والعَظَمِ المَعْرُوقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَعَاشٌ؛ وَلِكُلِّ شَيْءٍ إِيَّانٌ^(٢)».

فَقَبِضَ صَاحِبُ الحِمَارِ والماءِ العَذْبِ قَبْضَةً مِنْ حَصَى، ثُمَّ ضَرَبَ بِهَا الأَرْضَ^(٣)، ثُمَّ قَالَ: لَا تَعْلَمُ أَنَّكَ مِنَ المُسْرِفِينَ، حَتَّى تَسْمَعَ بِأَخْبَارِ الصَّالِحِينَ

كتاب الحيوان

باب الكلب والديك

وفاء الكلب:

وَأَنشَدَ أَبُو الحَسَنِ بْنُ خَالَوَيْهِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ:
يَعْرِدُ عَنْهُ جَارُهُ وَشَقِيقُهُ، وَيَنْبُشُ عَنْهُ كَلْبُهُ وَهُوَ ضَارِبُهُ^(٤)

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: قِيلَ ذَلِكَ لِأَنَّ رَجُلًا خَرَجَ إِلَى الجَبَانِ^(٥)، يَنْتَظِرُ رِكَابَهُ^(٦)، فَاتَّبَعَهُ كَلْبٌ كَانَ لَهُ، فَضَرَبَ الكَلْبُ وَطَرَدَهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَتَّبِعَهُ، وَرَمَاهُ بِحَجَرٍ. فَأَبَى الكَلْبُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَهُ. فَلَمَّا صَارَ إِلَى المَوْضِعِ الَّذِي يُرِيدُ فِيهِ الانتِظَارَ، رَبَضَ الكَلْبُ قَرِيبًا. فَبَيَّنَمَا هُوَ كَذَلِكَ: إِذْ أَتَاهُ أَعْدَاءُ لَهُ يَطْلُبُونَهُ بِطَائِلَةٍ^(٧) لَهُمْ عِنْدَهُ. وَكَانَ مَعَهُ جَارٌ لَهُ وَأَخُوهُ دُنْيَا^(٨)، فَأَسْلَمَاهُ وَهَرَبَا عَنْهُ. فَجَرَحَ جِرَاحَاتٍ، وَرَمَى بِهِ فِي بَثَرٍ غَيْرِ بَعِيدَةِ القَعْرِ؛ ثُمَّ حُثِيَ عَلَيْهِ^(٩) التُّرَابُ،

(١) الجنوب: جمع جنب أي جنب الشاة.

(٢) الإبان: الحين.

(٣) ضرب بها الأرض لتأثره بعدما عرف أنه مبذر مسرف بالإضافة إلى معاذة.

(٤) يعرد: يحجم ويفر.

(٥) الجبان: المقبرة والصحراء.

(٦) الركاب: الإبل.

(٧) الطائلة: العداوة والثأر.

(٨) دنيا: لاصق النسب، داني القرابة. وأخوه هنا بمعنى قريبه، لأنه يقال: هو ابن عم أو عمّة، أو ابن خال أو خالة، أو ابن أخ أو أخت دنيا. وإذا ضمت دالها، منعت من الصرف لأن الألف قد تعينت للتأنيث على الأصل، وتكون منصوبة على الحال. وإذا كسرت دالها جاز فيها الصرف، فإذا نونت صارت منصوبة على المصدرية.

(٩) حثي عليه: رمي التراب عليه.

ثُمَّ غُطِّي رَأْسَهُ، ثُمَّ كُتِمَ^(١) فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْهُ؛ وَالْكَلْبُ فِي ذَلِكَ يَرُخَمُ^(٢) وَيَهْتَرُ. فَلَمَّا انصَرَفُوا أَتَى رَأْسَ الْبِئْرِ؛ فَمَا زَالَ يَعْوِي، وَيَنْبُشُ عَنْهُ، وَيَحْثُو التُّرَابَ بِيَدِهِ، وَيَكْشِفُهُ عَنْ رَأْسِهِ، حَتَّى أَظْهَرَ رَأْسَهُ فَتَنَفَّسَ، وَرُدَّتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ، وَقَدْ كَادَ يَمُوتُ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا حُشَاشَةٌ^(٣). فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ مَرَّ نَاسٌ، فَأَنْكَرُوا مَكَانَ الْحَالِ، وَرَأَوْهُ كَأَنَّهُ يَحْفِرُ عَنْ قَبْرِ. فَتَنَظَّرُوا، فَإِذَا هُمْ بِالرَّجُلِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَاسْتَشَالُوهُ^(٤)، فَأَخْرَجُوهُ حَيًّا، وَحَمَلُوهُ، حَتَّى آدُوهُ إِلَى أَهْلِهِ. فَرَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ يُدْعَى بِبِئْرِ الْكَلْبِ، وَهُوَ مُتَيَّامِنْ^(٥) عَنِ النَّجْفِ^(٦).

وَهَذَا الْعَمَلُ يَدُلُّ عَلَى وَفَاءٍ طَبِيعِيٍّ، وَلِإِلْفٍ غَرِيزِيٍّ، وَمُحَامَاةٍ شَدِيدَةٍ، وَعَلَى مَعْرِفَةٍ وَصَبْرٍ، وَعَلَى كَرَمٍ وَشُكْرِ، وَعَلَى غَنَاءٍ^(٧) عَجِيبٍ، وَمَنْفَعَةٍ تَفُوقُ الْمَنَافِعَ. لِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ كَانَ مِنْ غَيْرِهِ تَكْلِفٍ وَلَا تَصْنَعٍ.

أَعْمَارُ الْكِلَابِ:

وَذَكَوْرَةُ السُّلُوقِيَّةِ تَعِيشُ عَشَرَ سِنِينَ، وَالْإِنَاثُ تَعِيشُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَأَكْثَرُ أَجْنَاسِ الْكِلَابِ تَعِيشُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَبَعْضُ الْأَجْنَاسِ تَبْقَى عَشْرِينَ سَنَةً.

قَالَ: وَإِنَاثُ الْكِلَابِ أَطْوَلُ أَعْمَاراً مِنَ الذَّكَوْرِ؛ وَكَذَلِكَ هِيَ فِي الْجُمْلَةِ وَلَيْسَ يُلْقِي الْكَلْبُ مِنْ أَسْنَانِهِ سِنًّا مَا خَلَا التَّائِبِينَ؛ وَإِنَّمَا يُلْقِيهِمَا إِذَا كَانَ ابْنُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ. قَالَ: وَمَنْ أَجَلُ أَنَّ الْكِلَابَ لَا تُلْقِي غَيْرَ هَذَيْنِ التَّائِبِينَ يَشْكُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهَا لَا تُلْقِي سِنًّا الْبَتَّةَ.

(١) كتم: غطي؛ ولعلها كوم.

(٢) منه: أي من التراب.

(٣) يرخم: يرق له ويشفق عليه.

(٤) الحشاشة: بقية الروح.

(٥) استشالوه: رفعوه.

(٦) متيامن: أي أخذ ذات اليمين.

(٧) النجف: موضع بظهر الكوفة فيه نخل كثير، وبالقرب منه قبر علي بن أبي طالب.

(٨) الغناء: النفع.

كَلْبٌ يَحْسِبُ لَصًّا:

قَالَ بَشْرُ بْنُ سَعِيدٍ: كَانَ بِالْبَصْرَةِ شَيْخٌ مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ ^(١) يُقَالُ لَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَرْثَدٍ، نَزَلَ بِبَنِي أُخْتٍ لَهُ فِي سِكَّةٍ ^(٢) بَنِي مَازِنٍ ^(٣) وَبَنُو أُخْتِهِ مِنْ قُرَيْشٍ. فَخَرَجَ رِجَالُهُمْ إِلَى ضِيَاعِهِمْ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَبَقِيَتِ النِّسَاءُ يُصَلِّينَ فِي مَسْجِدِهِمْ، فَلَمْ يَبْقَ فِي الدَّارِ إِلَّا كَلْبٌ يَعْسُ ^(٤)، فَرَأَى بَيْتًا، فَدَخَلَ، وَانْصَفَقَ ^(٥) البابُ، فَسَمِعَ الْحَرَكَةَ بَعْضُ الْإِمَاءِ، فَظَنُّوا ^(٦) أَنَّ لَصًّا دَخَلَ الدَّارَ، فَذَهَبَتْ إِحْدَاهُنَّ إِلَى أَبِي الْأَعَزِّ ^(٧)، وَلَيْسَ فِي الْحَيِّ رَجُلٌ غَيْرُهُ، فَأَخْبَرَتْهُ، فَقَالَ أَبُو الْأَعَزِّ: مَا يَبْتَغِي اللَّصُّ مَنًا؟ ثُمَّ أَخَذَ عَصَاهُ وَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ، فَقَالَ: إِيهَ ^(٨) يَا مَلَأْمَانُ ^(٩)! أَمَا وَاللَّهِ إِنَّكَ بِي لَعَارِفٌ، وَإِنِّي بِكَ أَيْضًا لَعَارِفٌ، فَهَلْ أَنْتَ إِلَّا مِنْ لَصُوصِ بَنِي مَازِنٍ شَرِبْتَ حَامِضًا خَبِيثًا ^(١٠)، حَتَّى إِذَا دَارَتْ الْأَقْدَاخُ فِي رَأْسِكَ، مَتَتَكَ نَفْسُكَ الْأَمَانِي ^(١١)، وَقُلْتَ: دُورَ ^(١٢) بَنِي عَمْرٍو ^(١٣)،

(١) نهشل بن دارم: بطن من تميم.

(٢) السكة: الموضع فيه دور ومنازل لقوم يسكنونها وفي خلالها طريق وسبيل لهم.

(٣) بنو مازن بن عمرو: من بني تميم.

(٤) يعس: يطوف ليلاً.

(٥) انصفق: انغلق.

(٦) فظنوا: هكذا وردت ووجه الكلام فظنن.

(٧) أبو الأعز، وفي رواية: أبو الأغر.

(٨) أبو الأعز، وفي رواية: أبو الأغر.

(٩) إيه بسكون الهاء: كلمة زجر بمعنى حسبك.

(١٠) يا ملأمان بالنداء: أي يا لثيم.

(١١) حامضاً خبيثاً: أي الحامض من الخمر، ويقال له المسطار.

(١٢) متتك: يقال منه الأمانى وبالأمانى: أي جعلها له.

(١٣) دور: مفعول لفعل محذوف تقديره أقصد.

(١٤) بني عمرو: أي عمرو بن تميم.

وَالرَّجَالُ خُلُوفٌ^(١)، وَالنِّسَاءُ يُصَلِّينَ فِي مَسْجِدِهِنَّ، فَأَسْرِقُهُنَّ^(٢). سَوَاءٌ
وَاللَّهِ! مَا يَفْعَلُ هَذَا الْأَحْرَارُ! لَيْسَ، وَاللَّهِ، مَا مَتَّكَ نَفْسُكَ! فَاخْرُجْ،
وَلَا دَخَلْتُ عَلَيْكَ، فَصَرَمْتُكَ مَتَى الْعُقُوبَةُ^(٣)! لَا يَمُ اللَّهُ^(٤)، لَتَخْرُجَنَّ، أَوْ
لَا هَتَفَنَّ هَتَفَةً مَشْؤُومَةً عَلَيْكَ، يَلْتَقِي فِيهَا الْحَيَّانِ عَمَرٌ وَحَنْظَلَةٌ^(٥)، وَيَصِيرُ
أَمْرُكَ إِلَى تَبَابٍ^(٦). وَيَجِيءُ سَعْدٌ^(٧) بَعْدَ الْحَصَى، وَيَسِيلُ عَلَيْكَ الرِّجَالُ
مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا! وَلَئِنْ فَعَلْتُ^(٨)، لَتَكُونَنَّ أَشَامَ مَوْلُودٍ فِي بَنِي تَمِيمٍ!

فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُجِيبُهُ، أَخَذَ بِاللِّينِ، وَقَالَ: اخْرُجْ يَا بُنَيَّ، وَأَنْتَ مَسْتَوْرٌ؛
إِنِّي، وَاللَّهِ، مَا أُرَاكَ تَعْرِفُنِي، وَلَوْ عَرَفْتَنِي، لَقَدْ قَنَعْتَ بِقَوْلِي، وَاطْمَأْنَنْتَ إِلَيَّ.
أَنَا عُرُوءَةٌ بَنُ مَرْثِدٍ أَبُو الْأَعَزِّ الْمَرْثِدِيُّ، وَأَنَا خَالُ الْقَوْمِ، وَجِلْدَةٌ مَا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ^(٩)
لَا يَعْصُونَنِي فِي أَمْرٍ؛ وَأَنَا لَكَ بِالذِّمَّةِ كَفِيلٌ خَفِيرٌ^(١٠)، أَصَيَّرَكَ بَيْنَ شَحْمَةٍ أُذْنِي
وَعَاتِقِي^(١١) لَا تُضَارُ^(١٢). فَاخْرُجْ، فَأَنْتَ فِي ذِمَّتِي، وَإِلَّا، فَإِنَّ عِنْدِي
قَوْصَرَتَيْنِ^(١٣): إِحْدَاهُمَا إِلَى ابْنِ أَخْتِي الْبَارِ الْوُصُولُ^(١٤)،

-
- (١) خلوف: ذاهبون عن الحي، واحدها خلف.
(٢) فأسرقهن: أي أسرق الدور.
(٣) صرم: قطع؛ وعقوبة صارمة: أي قاطعة.
(٤) لايم الله: قسم، أي ليمين الله.
(٥) حنظلة: حي من بني تميم.
(٦) التباب: الخسار والهلاك.
(٧) سعد: هم بنو سعد بن زيد مناة، من تميم.
(٨) لئن فعلت: أي لئن لم تخرج وأردت السرقة.
(٩) يقال هو جلدة ما بين العين والأنف: أي هو مثلها في العزة والقرب.
(١٠) الخفير: المجير والمحامي والمحافظ.
(١١) العاتق: ما بين المنكب والعنق.
(١٢) لا تضار: لا تصاب بضرر.
(١٣) القوصرة: وعاء من قصب يجعل فيه التمر.
(١٤) الوصول: الكثير المواصلة، أي لا يقطع صاحبه، والكثير العطاء.

فُخِذَ إِحْدَاهُمَا، فَانْتَبَذَهَا^(١) خَلَالاً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكَانَ الْكَلْبُ إِذَا سَمِعَ الْكَلَامَ، أَطْرَقَ^(٢)، وَإِذَا سَكَتَ^(٣)، وَثَبَ يُرِيغُ^(٤) الْمَخْرَجَ. فَتَهَائَفَ^(٥) الْأَعْرَابِيُّ، أَيْ تَضَاخَكَ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَلَمَ النَّاسِ وَأَوْضَعَهُمْ، أَلَا يَأْنِي لَكَ^(٦) أَنَا مُنْذُ اللَّيْلَةِ فِي وَادٍ، وَأَنْتَ فِي آخِرٍ! إِذَا قُلْتَ لَكَ السُّودَاءَ وَالْبَيْضَاءُ^(٧)، تَسْكُتُ وَتُطْرِقُ؛ فَإِذَا سَكَتَ عَنْكَ، تُرِيغُ الْمَخْرَجَ! وَاللَّهِ، لَتَخْرُجَنَّ بِالْعَفْوِ عَنْكَ، أَوْ لَالَجَنَ عَلَيْكَ الْبَيْتَ بِالْعُقُوبَةِ!

فَلَمَّا طَالَ وَقُوفُهُ، جَاءَتْ جَارِيَةٌ مِنْ إِمَاءِ الْحَيِّ، فَقَالَتْ: أَعْرَابِي مَجْنُونٌ! وَاللَّهِ مَا أَرَى فِي الْبَيْتِ شَيْئاً! وَدَفَعَتِ الْبَابَ، فَخَرَجَ الْكَلْبُ شَدّاً، وَحَادَ عَنْهُ أَبُو الْأَعَزِّ مُسْتَلْقِيّاً، وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَسَخَكَ كَلْباً، وَكَفَانِي مِنْكَ حَزْباً! ثُمَّ قَالَ: تَاللَّهِ، مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ، مَا أَرَاهُ إِلَّا كَلْباً، أَمَا، وَاللَّهِ، لَوْ عَلِمْتُ بِحَالِهِ، لَوَلَجْتُ عَلَيْهِ.

صياح الديك:

قالوا: قد أخطأ من زعم أن الديكة إنما تتجاوب، بل إنما ذلك منها شيء يتوافق في وقت، وليس ذلك بتجاوب كتباح الكلاب؛ لأن الكلب لا وقت له وإنما هو صامت ساكت ما لم يحس بشيء يفرغ منه؛ فإذا حس به، نبَحَ؛ وإذا سمع نباح كلب آخر، أجاب، ثم أجاب ذلك آخر، ثم أجابهما

(١) انتبذها: أي اصنعها نبيذاً من التمر؛ أي نبيذاً محلاً لا محرماً.

(٢) أطرق: سكت.

(٣) سكت: الضمير يعود إلى الأعرابي.

(٤) يريغ: يطلب بشدة.

(٥) تهائف: ضحك باستهزاء؛ ذكرها الأساس على الإطلاق، وخصها القاموس بالمرأة. وقد وردت في الأصل: تهافت، وهو تحريف.

(٦) يأنى لك: يحين لك. وظاهر الكلام يدل على أنه يريد أن يقول: ألا يأنى لك أن تعرف.

(٧) السوداء والبيضاء: أي كلمة ما.

(٨) شداً: عدواً.

الْكَلْبُ الْأَوَّلُ، وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ الْمُجَاوِبُ جَمِيعَ الْكِلَابِ. وَالذِّيكُ لَيْسَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَنْكَرَ شَيْئاً، إِذَا اسْتَجَابَ؛ أَوْ سَمَعَ صَوْتاً، إِذَا صَقَعَ^(١)؛ وَإِنَّمَا يَصْقَعُ لَشَيْءٍ فِي طَبْعِهِ، إِذَا قَابَلَ ذَلِكَ الْوَقْتَ مِنَ اللَّيْلِ، هَيَّجَهُ. فَعَدَّدُ أَصْوَاتِهِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُظَنُّ أَنَّهُ تَتَجَاوَبُ فِيهِ الدِّيَكَةُ، كَعَدَّدِ أَصْوَاتِهِ فِي الْقَرْيَةِ، وَلَيْسَ فِي الْقَرْيَةِ دِيكٌ غَيْرُهُ، وَذَلِكَ هُوَ فِي الْمَوَاقِيتِ. وَالْعِلَّةُ الَّتِي لَهَا يَصْقَعُ فِي وَقْتِ بَعِيْنِهِ، شَائِعَةٌ فِيهَا^(٢) فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ؛ وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْكِلاَبُ. قَدْ تَنَبَّحَ الْكِلاَبُ فِي الْخُرَيْبَةِ^(٣)، وَكِلَابٌ فِي بَنِي سَعْدٍ^(٤) غَيْرُ نَابِخَةٍ؛ وَلَيْسَ بِجَوْزٍ أَنْ تَكُونَ دِيكَةً الْمَهَالِبَةُ تَصْقَعُ، وَدِيكَةُ الْمَسَامِعَةِ^(٥) سَاكِتَةٌ.

أعرابي يقسم الدجاج:

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: حَدَّثَنِي أَعْرَابِيٌّ كَانَ يَنْزِلُ بِالْبَصْرَةِ قَالَ: قَدِمَ أَعْرَابِيٌّ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَأَنْزَلَتْهُ، وَكَانَ عِنْدِي دَجَاجٌ كَثِيرٌ، وَلِي امْرَأَةٌ وَابْنَانِ وَابْتَنَانٍ مِنْهَا. فَقُلْتُ لَامْرَأَتِي: بَادِرِي وَاشْوِي لَنَا دَجَاجَةً، وَقَدِّمِيهَا إِلَيْنَا نَتَغَدَّاها. فَلَمَّا حَضَرَ الْغَدَاءُ جَلَسْنَا جَمِيعاً أَنَا وَامْرَأَتِي وَابْنَايَ وَابْتَنَايَ وَالْأَعْرَابِيَّ. قَالَ: فَدَفَعْنَا إِلَيْهِ الدَّجَاجَةَ، فَقُلْنَا لَهُ: اقْسِمْهَا بَيْنَنَا - نُريدُ أَنْ نَضْحَكَ مِنْهُ - فَقَالَ: لَا أَحْسِنُ الْقِسْمَةَ؛ فَإِنْ رَضِيتُمْ بِقِسْمَتِي، قَسَمْتُهَا بَيْنَكُمْ. قُلْنَا: إِنَّا نَرْضَى. فَأَخَذَ رَأْسَ الدَّجَاجَةِ فَقَطَعَهُ، فَنَاولْنِيهِ، وَقَالَ: الرَّأْسُ لِلرَّأْسِ. وَقَطَعَ الْجَنَاحَيْنِ، وَقَالَ: الْجَنَاحَانِ لِلابْنَيْنِ. ثُمَّ قَطَعَ السَّاقَيْنِ، فَقَالَ: السَّاقَانِ لِلابْنَتَيْنِ. ثُمَّ قَطَعَ الزُّمُكَيَّ^(٦)

(١) صقع الديك: صاح.

(٢) فيها: أي في الديوك.

(٣) الخريبة: موضع في ابصرة يسمى البصرة الصغرى.

(٤) بنو سعد: قبيلة. والظاهر أنهم من سكان البصرة.

(٥) المسامعة: محلة بالبصرة تنسب إلى بني مسمع بن شهاب. والظاهر أن المهالبة محلة بالبصرة أيضاً تنسب إلى بني المهلب بن أبي صفرة.

(٦) الزمكي: مؤخر الطائر أو أصل ذنبه.

وَقَالَ: الْعَجُزُ^(١) لِلْعَجُزِ^(٢). وَقَالَ: الزُّورُ^(٣) لِلزَّائِرِ. قَالَ: فَأَخَذَ الدَّجَاجَةَ بِأَسْرِهَا، وَسَخَّرَ بِنَا. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ، قُلْتُ لَامْرَأَتِي: اشْوِي لَنَا خَمْسَ دَجَاجَاتٍ. فَلَمَّا حَضَرَ الْعَدَاءُ، قُلْتُ: اقْسِمُ بَيْنَنَا. قَالَ: إِنِّي أَظُنُّ أَنَّكُمْ وَجَدْتُمْ^(٤) فِي أَنْفُسِكُمْ. قُلْنَا: لَا، لَمْ نَجِدْ فِي أَنْفُسِنَا، فاقْسِم. قَالَ: اقْسِمُ شَفْعًا^(٥) أَوْ وَتْرًا^(٦)؟ قُلْنَا: اقْسِمُ وَتْرًا. قَالَ: أَنْتَ وَامْرَأَتُكَ وَدَجَاجَةٌ ثَلَاثَةٌ، ثُمَّ رَمَى إِلَيْنَا بِدَجَاجَةٍ. ثُمَّ قَالَ: وَابْنَاكَ وَدَجَاجَةٌ ثَلَاثَةٌ، ثُمَّ رَمَى إِلَيْهِمَا بِدَجَاجَةٍ. ثُمَّ قَالَ: وَابْنَتَاكَ وَدَجَاجَةٌ ثَلَاثَةٌ، ثُمَّ رَمَى إِلَيْهِمَا بِدَجَاجَةٍ. ثُمَّ قَالَ: أَنَا وَدَجَاجَتَانِ ثَلَاثَةٌ، وَأَخَذَ دَجَاجَتَيْنِ وَسَخَّرَ بِنَا. قَالَ: فَرَأْنَا وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَى دَجَاجَتِيهِ، فَقَالَ: مَا تَنْظُرُونَ! لَعَلَّكُمْ كَرِهْتُمْ قِسْمَتِي، الْوِتْرُ لَا يَجِيءُ إِلَّا هَكَذَا؛ فَهَلْ لَكُمْ فِي قِسْمَةِ الشَّفْعِ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. فَضَمَّهِنَّ^(٧) إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ وَابْنَاكَ وَدَجَاجَةٌ أَرْبَعَةٌ، وَرَمَى إِلَيْنَا بِدَجَاجَةٍ. ثُمَّ قَالَ: وَالْعَجُوزُ وَابْنَتَاهَا وَدَجَاجَةٌ أَرْبَعَةٌ، وَرَمَى إِلَيْهِنَّ بِدَجَاجَةٍ. ثُمَّ قَالَ: أَنَا وَثَلَاثُ دَجَاجَاتٍ أَرْبَعَةٌ، وَضَمَّ إِلَيْهِ الثَّلَاثَ. وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: اأَللَّهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ فَهَمَّتْنِيهَا!

(١) العجز: مؤخر الشيء.

(٢) العجز: جمع عجوز ويريد بها امرأة الرجل. وفي رواية: للعجوز.

(٣) الزور: الصدر.

(٤) وجدتم: غضبتم.

(٥) الشفع: الزوج.

(٦) الوتر، وتفتح الواو: الفرد.

(٧) فضمهن: أي ضم الدجاجات.

ابن المقفع

باب الحمامة المطوقة

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ: قَدْ سَمِعْتُ مَثَلَ الْمُتَحَابِّينَ كَيْفَ قَطَعَ بَيْنَهُمَا الْكَذُوبُ، وَإِلَى مَاذَا صَارَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ. فَحَدَّثَنِي، إِنَّ رَأَيْتَ، عَنْ إِخْوَانِ الصِّفَاءِ كَيْفَ يَبْتَدِئُ تَوَاضُلُهُمْ، وَيَسْتَمِيعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؟ قَالَ الْفَيْلَسُوفُ: إِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَعْدِلُ^(١) بِالْإِخْوَانِ شَيْئًا. فَالْإِخْوَانُ هُمُ الْأَعْوَانُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَالْمُؤَاسُونَ عِنْدَمَا يَنْتُوبُ مِنَ الْمَكْرُوهِ. وَمِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ مَثَلُ الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَةِ^(٢) وَالْجُرَذِ وَالسُّلْحَفَاءِ وَالطَّبْيِ وَالْغُرَابِ. قَالَ الْمَلِكُ: وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ؟

قَالَ بَيْدَبَا: زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ سَكَاوَنْدَجِينَ، عِنْدَ مَدِينَةِ دَاهَرٍ، مَكَانٌ كَثِيرُ الصَّيْدِ يَنْتَابُهُ الصَّيَّادُونَ. وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ شَجَرَةٌ كَثِيرَةُ الْأَغْصَانِ مُلْتَقَّةُ الْوَرَقِ، فِيهَا وَكْرٌ غُرَابٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ سَاقِطٌ فِي وَكْرِهِ، إِذْ بَصُرَ بِصَيَّادٍ قَبِيحِ الْمَنْظَرِ، سَيِّئِ الْخُلُقِ؛ وَتَبَحُّ مَنْظَرِهِ يَدُلُّ عَلَى سُوءِ مَخْبَرِهِ؛ عَلَى عَاتِقِهِ^(٣) شَبَكَةٌ، وَفِي يَدِهِ عَصَا، مُقْبِلًا نَحْوَ الشَّجَرَةِ. فَذُعِرَ مِنْهُ الْغُرَابُ. وَقَالَ: لَقَدْ سَاقَ هَذَا الرَّجُلَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ إِمَّا حِينِي^(٤)، وَإِمَّا حِينَ غَيْرِي.

(١) لَا يَعْدِلُ: لَا يَسَاوِي.

(٢) الْمُطَوَّقَةُ: الَّتِي لَهَا فِي عُنُقِهَا مِنَ التَّلْوِينِ مَا يَشْبَهُ الطَّرِيقَ.

(٣) الْعَاتِقُ: مَا بَيْنَ الْمَتَكِبِ وَالْعُنُقِ.

(٤) الْحِينُ: الْهَلَاكُ وَالْمَحْنَةُ.

فَلَا تُبَيِّنْ مَكَانِي حَتَّى أَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ. ثُمَّ إِنَّ الصَّيَّادَ نَصَبَ شَبَكَتَهُ، وَنَثَرَ عَلَيْهَا الْحَبَّ، وَكَمَنَ قَرِيباً مِنْهَا. فَلَمَّ يَلْبَثُ إِلَّا قَلِيلاً حَتَّى مَرَّتْ بِهِ حَمَامَةٌ يُقَالُ لَهَا الْمُطَوَّقَةُ، وَكَانَتْ سَيِّدَةَ الْحَمَامِ، وَمَعَهَا حَمَامٌ كَثِيرٌ. فَعَمِيَتْ هِيَ وَصَاحِبَاتُهَا عَنِ الشَّرِكِ، فَوَقَعْنَ عَلَى الْحَبِّ يَلْتَقِطْنَهُ، فَعَلِقْنَ فِي الشَّبَكَةِ كُلُّهُنَّ. وَأَقْبَلَ الصَّيَّادُ فَرِحاً مَسْروراً. فَجَعَلَتْ كُلُّ حَمَامَةٍ تَتَلَجَّلُجُ^(١) فِي حَبَائِلِهَا^(٢)، وَتَلْتَمِسُ الْخَلَاصَ لِنَفْسِهَا. قَالَتِ الْمُطَوَّقَةُ: لَا تَخَاضِلْنَ^(٣) فِي الْمُعَالَجَةِ، وَلَا تُكُنْ نَفْسُ إِحْدَاكُنَّ أَهْمٌ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِ صَاحِبَتَيْهَا. وَلَكِنْ تَتَعَاوَنُ جَمِيعاً وَنَطِيرُ كَطَائِرٍ وَاحِدٍ، فَيَنْجُو بَعْضُنَا بِبَعْضٍ. فَجَمَعْنَ أَنْفُسَهُنَّ، وَوَثِنَ وَثْبَةً وَاحِدَةً، فَقَلَعْنَ الشَّبَكَةَ جَمِيعُهُنَّ بِتَعَاوُنِهِنَّ، وَعَلَوْنَ بِهَا فِي الْجَوِّ. وَلَمْ يَقْطَعْ الصَّيَّادُ رِجَاءَهُ مِنْهُنَّ، وَظَنَّ أَنَّهُنَّ لَا يُجَاوِزْنَ إِلَّا قَرِيباً حَتَّى يَقَعْنَ. فَقَالَ الْغُرَابُ: لَا تَتَّبِعُهُنَّ وَأَنْظُرْ مَا يَكُونُ مِنْهُنَّ. فَالْتَفَتَتْ الْمُطَوَّقَةُ، فَرَأَتْ الصَّيَّادَ يَتَّبِعُهُنَّ، فَقَالَتْ لِلْحَمَامِ: هَذَا الصَّيَّادُ جَادٌّ فِي طَلَبِكُنَّ، فَإِنْ نَحْنُ أَخَذْنَا فِي الْفَضَاءِ لَمْ يَخَفْ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ وَإِنْ نَحْنُ تَوَجَّهْنَا إِلَى الْعُمَرَانِ خَفِيَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا وَانْصَرَفَ. وَبِمَكَانٍ كَذَا جُرَذٌ. هُوَ لِي أَخٌ، فَلَوْ انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ قَطَعَ عَنَّا هَذَا الشَّرِكُ. فَفَعَلْنَ ذَلِكَ. وَأَيْسُ^(٤) الصَّيَّادُ مِنْهُنَّ وَانْصَرَفَ. وَتَبِعَهُنَّ الْغُرَابُ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِنَّ، لَعَلَّهُ يَتَعَلَّمُ مِنْهُنَّ حِيلَةً تَكُونُ لَهُ عُدَّةً عِنْدَ الْحَاجَةِ. فَلَمَّا انْتَهَتْ الْحَمَامَةُ الْمُطَوَّقَةُ إِلَى الْجُرَذِ، أَمَرَتْ الْحَمَامَ أَنْ يَقَعْنَ، فَوَقَعْنَ.

وَكَانَ لِلْجُرَذِ مَائَةٌ حُجْرٍ^(٥) أَعَدَّهَا لِلْمَخَافِيفِ. فَنَادَتْهُ الْمُطَوَّقَةُ بِاسْمِهِ، وَكَانَ اسْمُهُ زَيْرُكَ، فَأَجَابَهَا الْجُرَذُ مِنْ جُحْرِهِ: مَنْ أَنْتِ؟ قَالَتْ: أَنَا خَلِيلُكَ الْمُطَوَّقَةُ. فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا الْجُرَذُ يَسْعَى، فَقَالَ لَهَا: مَا أَوْقَعَكَ فِي هَذِهِ الْوَرُطَةِ^(٦)؟

(١) تتلجلج: أي تضطرب وتتردد، من تلجلج الكلام في الفم.

(٢) الحبال: الإشراك، مفردها حبال.

(٣) تخاذلن: على حذف إحدى التائين، والتخاذل: ضد التعاون.

(٤) أيس منه: قطع رجاءه.

(٥) الجحر: مختبأ الجرذ وغيره، يحتفزه لنفسه.

(٦) الورطة: الهلكة وكل أمر تعسر النجاة منه.

قَالَتْ لَهُ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ مُقَدَّرٌ عَلَى مَنْ تُصِيبُهُ
 الْمَقَادِيرُ، وَهِيَ الَّتِي أَوْقَعْتَنِي فِي هَذِهِ الْوَرِطَةِ فَقَدْ لَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْقَدَرِ مَنْ هُوَ
 أَقْوَى مِنِّي وَأَعْظَمُ أَمْرًا. وَقَدْ تَنَكَّسْتُ الشَّمْسُ وَيَنْخَسِفُ الْقَمَرُ، إِذَا قُضِيَ ذَلِكَ
 عَلَيْهِمَا. ثُمَّ إِنَّ الْجُرْدَ أَخَذَ فِي قَرْضٍ^(١) الْعُقْدِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا الْمُطَوَّقَةُ. فَقَالَتْ
 لَهُ الْمُطَوَّقَةُ: ابْدَأْ بِقَطْعِ عُقْدِ سَائِرِ الْحَمَامِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَقْبِلْ عَلَى عُقْدِي.
 فَأَعَادَتْ عَلَيْهِ ذَلِكَ مِرَارًا، وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى قَوْلِهَا. فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ الْقَوْلَ
 وَكَرَّرَتْ، قَالَ لَهَا: لَقَدْ كَرَّرْتَ الْقَوْلَ عَلَيَّ، كَأَنَّكَ لَيْسَ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ،
 وَلَا لَكَ عَلَيْهَا شَفَقَةٌ، وَلَا تَرْعِينَ لَهَا حَقًّا. قَالَتْ الْمُطَوَّقَةُ: لَا تَلْمَنِي عَلَى مَا
 أَمَرْتُكَ بِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَحْمِلْنِي عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي تَكَلَّفْتُ لَجَمَاعَةٍ هَذَا الْحَمَامِ
 الرَّئِاسَةَ؛ فَلِذَلِكَ لَهَنَ عَلَيَّ حَقٌّ، وَقَدْ أَذِينَ إِلَيَّ حَقِّي فِي الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ؛
 وَبَطَاعَتِهِنَّ وَمَعُونَتِهِنَّ نَجَانَا اللَّهُ مِنْ صَاحِبِ الشَّرِكِ. وَتَخَوَّفْتُ إِنْ أَنْتِ بَدَأْتَ
 بِقَطْعِ عُقْدِي، أَنْ تَمَلَّ وَتَكْسَلَ عَنْ قَطْعِ مَا بَقِيَ؛ وَعَرَفْتُ أَنَّكَ، إِنْ بَدَأْتَ بِهِنَّ
 قَبْلِي، وَكُنْتُ أَنَا الْأَخِيرَةَ، لَمْ تَرْضَ، وَإِنْ أَدْرَكَكَ الْفُتُورُ، أَنْ أَبْقَى فِي الشَّرِكِ.
 قَالَ الْجُرْدُ: هَذَا مِمَّا يَزِيدُ الرَّغْبَةَ فِيكَ وَالْمَوَدَّةَ لَكَ. ثُمَّ إِنَّ الْجُرْدَ أَخَذَ فِي قَرْضِ
 الشَّبَكَةِ، حَتَّى قَرَعَ مِنْهَا. فَاِنْطَلَقَتِ الْمُطَوَّقَةُ وَحَمَامُهَا مَعَهَا. فَلَمَّا رَأَى الْغُرَابُ
 صَنِيعَ الْجُرْدِ وَتَخْلِيصَهُ الْحَمَامِ، رَغِبَ فِي مُصَادَقَةِ الْجُرْدِ، وَقَالَ: مَا أَنَا لِمِثْلِ مَا
 أَصَابَ الْحَمَامَ بِأَمْنٍ، وَلَا أَنَا عَنِ الْجُرْدِ وَمَوَدَّتِهِ بَغْنًى

الأدب الصغير

تأديب النفس:

وعلى العاقل أن يَعْرِفَ أَنَّ الرَّأْيَ وَالْهَوَى مُتَعَادِيَانِ، وَأَنَّ مِنْ شَأْنِ النَّاسِ
 تَسْوِيفَ^(٢) الرَّأْيِ وَإِسْعَافَ الْهَوَى؛ فَيُخَالِفُ^(٣) ذَلِكَ وَيَلْتَمِسُ أَنْ لَا يَزَالَ هَوَاهُ
 مُسَوِّفًا وَرَأْيُهُ مُسْعَفًا.

(١) القرض: القطع.

(٢) تسويف: تأخير.

(٣) فيخالف: معطوفة على أن يعرف.

وعلى العاقل، إذا اشتَبَهَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ فَلَمْ يَدْرِ فِي أَيِّهِمَا الصَّوَابُ، أَنْ يَنْظُرَ أَهْوَاهُمَا عِنْدَهُ فَيَحْذَرُهُ. مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فِي الدِّينِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ وَتَقْوِيمِهَا فِي السَّيَرَةِ وَالطُّعْمَةِ^(١) وَالرَّأْيِ وَاللَّفْظِ وَالْأَخْدَانِ^(٢) فَيَكُونَ تَعْلِيمُهُ بِسَيْرَتِهِ أَبْلَغَ مِنْ تَعْلِيمِهِ بِلِسَانِهِ. فَإِنَّهُ، كَمَا أَنَّ كَلَامَ الْحِكْمَةِ يُورِقُ^(٣) الْأَسْمَاعَ، فَكَذَلِكَ عَمَلُ الْحِكْمَةِ يَزُوقُ الْعُيُونَ وَالْقُلُوبَ. وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ وَالتَّفْضِيلِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ.

رجل الدولة:

لَا يُسْتَطَاعُ السُّلْطَانُ^(٤) إِلَّا بِالْوُزَرَاءِ وَالْأَعْوَانِ، وَلَا تَنْفَعُ الْوُزَرَاءُ إِلَّا بِالْمَوَدَّةِ وَالتَّصِيحَةِ، وَلَا الْمَوَدَّةُ إِلَّا مَعَ الرَّأْيِ وَالْعَفَافِ. وَأَعْمَالُ السُّلْطَانِ كَثِيرَةٌ، وَقَلَمًا تُسْتَجْمَعُ الْخِصَالُ الْمَحْمُودَةُ عِنْدَ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا الْوَجْهُ فِي ذَلِكَ وَالسَّبِيلُ إِلَيْهِ الَّذِي يَسْتَقِيمُ بِهِ الْعَمَلُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ السُّلْطَانِ عَالِمًا بِأُمُورِ مَنْ يُرِيدُ الْإِسْتِعَانَةَ بِهِ، وَمَا عِنْدَ كُلِّ رَجُلٍ مِنَ الرَّأْيِ وَالْغِنَاءِ^(٥)، وَمَا فِيهِ مِنَ الْعُيُوبِ. فَإِذَا اسْتَقَرَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ عَنْ عِلْمِهِ وَعِلْمُ مَنْ يَأْتِيهِ، وَجَعَهُ لِكُلِّ عَمَلٍ مَنْ قَدْ عَرَفَ أَنَّ عِنْدَهُ مِنَ الرَّأْيِ وَالتَّجْدَةِ^(٦) وَالْأَمَانَةِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيهِ؛ وَأَنَّ مَا فِيهِ مِنَ الْعُيُوبِ لَا يُضُرُّ بِذَلِكَ. وَيَتَحَفَّظُ مِنْ أَنْ يُوجَّهَ أَحَدًا وَجْهًا لَا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى مُرُوءَةٍ، إِنْ كَانَتْ عِنْدَهُ، وَلَا يَأْمَنُ عُيُوبَهُ وَمَا يُكْرَهُ مِنْهُ.

(١) الطعمة: المأكَل.

(٢) الأخدان، جمع خدن: الصاحب.

(٣) يورق: يعجب.

(٤) السلطان: السلطة.

(٥) الغناء: الكفاية.

(٦) التجدة: الشجاعة، والمضي في الأمور العسيرة.

(٧) الجحود: النكران.

ثُمَّ عَلَى الْمُلُوكِ، بَعْدَ ذَلِكَ، تَعَهُدُ عُمَّالِهِمْ وَتَفْقِدُ أُمُورِهِمْ، حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ إِحْسَانُ مُحْسِنٍ وَلَا إِسَاءَةُ مُسِيءٍ.

ثُمَّ عَلَى الْمُلُوكِ، بَعْدَ ذَلِكَ، تَعَهُدُ عُمَّالِهِمْ وَتَفْقِدُ أُمُورِهِمْ، حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ إِحْسَانُ مُحْسِنٍ وَلَا إِسَاءَةُ مُسِيءٍ.

ثُمَّ عَلَيْهِمْ، بَعْدَ ذَلِكَ، أَنْ لَا يَتْرُكُوا مُحْسِنًا بِغَيْرِ جَزَاءٍ، وَلَا يُقَرِّوْا مُسِيئًا وَلَا عَاجِزًا عَلَى الْإِسَاءَةِ وَالْعَجْزِ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَرَكُوا ذَلِكَ تَهَاوَنَ الْمُحْسِنُ، وَاجْتَرَأَ الْمُسِيءُ، وَقَسَدَ الْأَمْرَ، وَضَاعَ الْعَمَلَ.

الكذب:

رَأْسُ الذَّنُوبِ الْكَذِبُ، هُوَ يُوَسِّسُهَا، وَهُوَ يَتَفَقَّدُهَا، وَيُثَبِّتُهَا. وَيَتَلَوَّنُ ثَلَاثَةَ أَلْوَانٍ: بِالْأَمْنِيَّةِ وَالْجُحُودِ^(١) وَالْجَدَلِ. يَبْدَأُ صَاحِبُهُ بِالْأَمْنِيَّةِ الْكَاذِبَةِ فِيمَا يُزَيِّنُ لَهُ مِنَ السُّوْءَاتِ، فَيُشَجِّعُهُ عَلَيْهَا بِأَنْ^(٢) ذَلِكَ سَيَخْفَى. فَإِذَا ظَهَرَ عَلَيْهِ قَابِلُهُ بِالْجُحُودِ وَالْمُكَابَرَةِ. فَإِنْ أَعْيَاهُ ذَلِكَ خَتَمَ بِالْجَدَلِ فَخَاصَمَ عَنِ الْبَاطِلِ، وَوَضَعَ لَهُ الْحُجَجَ، وَالتَّمَسَّ بِهِ التَّثَبُّتَ، وَكَابَرَ الْحَقَّ حَتَّى يَكُونَ مُسَارِعًا لِلضَّلَالَةِ وَمُكَابِرًا بِالْقَوَاجِشِ.

الجاهل:

لَا يُؤْمِنُكَ شَرُّ الْجَاهِلِ قَرَابَةٌ وَلَا جَوَارٌ وَلَا إِلْفٌ. فَإِنْ أَخَوْفَ مَا يَكُونُ لَحَرِيقِ النَّارِ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْهَا. وَكَذَلِكَ الْجَاهِلُ، إِنْ جَاوَزَكَ أَنْصَبَكَ^(٣)، وَإِنْ نَاسَبَكَ^(٤) جَنَى عَلَيْكَ، وَإِنْ أَلْفَكَ حَمَلَ عَلَيْكَ مَا لَا تُطِيقُ، وَإِنْ عَاشَرَكَ آذَاكَ وَأَخَافَكَ. مَعَ أَنَّهُ عِنْدَ الْجَوْعِ سَبْعُ ضَارٍ، وَعِنْدَ الشُّبْعِ مَلِكٌ فَظٌّ، وَعِنْدَ الْمُوَافَقَةِ فِي الدِّينِ قَائِدٌ إِلَى جَهَنَّمَ. فَأَنْتَ بِالْهَرَبِ مِنْهُ أَحَقُّ مِنْكَ بِالْهَرَبِ مِنْ

(١) الجحود: النكران.

(٢) بأن: الباء زائدة وحذفها أولى.

(٣) أنصبك: أعياك.

(٤) ناسبك: تقرب إليك بصلة النسب.

سُمَّ الْأَسَاوِدُ^(١)، وَالْحَرِيقُ الْمَخُوفِ، وَالذِّينُ الْفَادِحِ، وَالْدَّاءُ الْعِيَاءُ^(٢).

المال:

مَا التَّبِعُ^(٣) وَالْأَعْوَانُ وَالصَّدِيقُ وَالْحَشَمُ^(٤) إِلَّا لِلْمَالِ. وَلَا يُظْهِرُ الْمُرُوءَةَ إِلَّا الْمَالُ. وَلَا الرَّأْيُ وَالْقُوَّةُ إِلَّا بِالْمَالِ. وَمَنْ لَا إِخْوَانَ لَهُ فَلَا أَهْلَ لَهُ. وَمَنْ لَا أَوْلَادَ لَهُ فَلَا ذِكْرَ لَهُ. وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ فَلَا دُنْيَا لَهُ وَلَا آخِرَةَ. وَمَنْ لَا مَالَ لَهُ فَلَا شَيْءَ لَهُ. وَالْفَقْرُ دَاعِيَةٌ إِلَى صَاحِبِهِ مُقْتٌ^(٥) النَّاسِ، وَهُوَ مَسَلَبَةٌ لِلْعَقْلِ، وَمَذْهَبَةٌ لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، وَمَعْدِنٌ لِلتَّهْمَةِ، وَمَجْمَعَةٌ لِلْبَلَايَا. وَمَنْ نَزَلَ بِهِ الْفَقْرُ وَالْفَاقَةُ^(٦) لَمْ يَجِدْ بُدْأً مِنْ تَرْكِ الْحَيَاءِ. وَمَنْ ذَهَبَ حَيَاؤُهُ ذَهَبَ سُورُهُ، وَمَنْ ذَهَبَ سُورُهُ مُقِتٌ، وَمَنْ مُقِتٌ أَوْذِيٌّ، وَمَنْ أَوْذِيٌّ حَزِينٌ، وَمَنْ حَزِينٌ ذَهَبَ عَقْلُهُ وَاسْتَنْكَرَ حِفْظُهُ وَفَهْمُهُ، وَمَنْ أَصِيبَ فِي عَقْلِهِ وَفَهْمِهِ وَحِفْظِهِ كَانَ أَكْثَرُ قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ فِيمَا يَكُونُ عَلَيْهِ لَا لَهُ. فَإِذَا افْتَقَرَ الرَّجُلُ اتَّهَمَهُ مَنْ كَانَ لَهُ مُؤْتَمِنًا، وَأَسَاءَ بِهِ الظَّنُّ مَنْ كَانَ يَظُنُّ بِهِ حَسَنًا. فَإِنْ أَذْنَبَ غَيْرُهُ أَظَنَّهُ^(٧)، وَكَانَ لِلتَّهْمَةِ وَسُوءِ الظَّنِّ مَوْضِعًا. وَلَيْسَ خَلَّةٌ^(٨) هِيَ لِلْغَنِيِّ مَذْحٌ إِلَّا هِيَ لِلْفَقِيرِ عَيْبٌ: فَإِنْ كَانَ شُجَاعًا سُمِّيَ أَهْوَاجٌ، وَإِنْ كَانَ جَوَادًا سُمِّيَ مُفْسِدًا، وَإِنْ كَانَ حَلِيمًا سُمِّيَ ضَعِيفًا، وَإِنْ كَانَ وَقُورًا سُمِّيَ بَلِيدًا، وَإِنْ كَانَ لَسِنًا سُمِّيَ مِهْذَارًا^(٩)، وَإِنْ كَانَ صَمُوتًا سُمِّيَ عَيْيًّا.

(١) الأساود: جمع الأسود وهو الحية العظيمة.

(٢) الداء العياء: أي الذي لا يبرأ منه.

(٣) وردت هذه القطعة في باب الحمامة المطوقة من كتاب كلیلة ودمنة مع بعض تغییر.

(٤) التبّع: التابع، للواحد والجمع.

(٥) الحشم: خاصة الرجل الذين يغضبون له من أهل وعبيد.

(٦) المقت: الكره.

(٧) الفاقة: الفقر والحاجة.

(٨) أظنوه: اتهموه.

(٩) الخلّة: الخصلة.

(١٠) المهذار: كثير الرديء الساقط من الكلام.

الأدب الكبير

أقسام الملك:

إِغْلَمَ أَنَّ الْمُلْكَ ثَلَاثَةٌ: مُلْكُ دِينٍ وَمُلْكُ حَزْمٍ وَمُلْكُ هَوَى. فَأَمَّا مُلْكُ الدِّينِ فَإِنَّهُ إِذَا أَقِيمَ لِأَهْلِهِ دِينُهُمْ، وَكَانَ دِينُهُمْ هُوَ الَّذِي يُعْطِيهِمْ مَا لَهُمْ، وَيُلْحِقُ بِهِمُ الَّذِي عَلَيْهِمْ^(١)، أَرْضَاهُمْ ذَلِكَ، وَنَزَلَ السَّاحِطُ مِنْهُمْ مَنْزِلَةً الرَّاظِي فِي الْإِقْرَارِ وَالتَّسْلِيمِ. وَأَمَّا مُلْكُ الْحَزْمِ فَإِنَّهُ يَقُومُ بِهِ الْأَمْرُ، وَلَا يَسْلَمُ مِنَ الطَّعْنِ وَالتَّسَخُّطِ. وَلَنْ يَضُرَّ طَعْنُ الذَّلِيلِ مَعَ حَزْمِ الْقَوِيِّ. وَأَمَّا مُلْكُ الْهَوَى فَلِعَبِّ سَاعَةٍ وَدَمَارِ دَهْرٍ.

الدولة الجديدة:

إِذَا كَانَ سُلْطَانُكَ^(٢) عِنْدَ جِدَّةٍ^(٣) دَوْلَةٍ، فَرَأَيْتَ أَمْرًا اسْتَقَامَ بَغَيْرِ رَأْيٍ، وَأَعْوَانًا جَزَوْا^(٤) بَغَيْرِ نَيْلٍ^(٥) وَعَمَلًا أَنْجَحَ^(٦) بَغَيْرِ حَزْمٍ؛ فَلَا يَغُرَّتْكَ ذَلِكَ، فَلَا تَسْتَنِمَ^(٧) إِلَيْهِ. فَإِنَّ الْأَمْرَ الْجَدِيدَ مِمَّا تَكُونُ لَهُ مَهَابَةٌ فِي أَنْفُسِ أَقْوَامٍ، وَحَلَاوَةٌ فِي أَنْفُسِ آخَرِينَ، فَيُعِينُ قَوْمٌ بِأَنْفُسِهِمْ، وَيُعِينُ قَوْمٌ بِمَا قَبْلَهُمْ^(٨). وَيَسْتَتِبُ بِذَلِكَ الْأَمْرَ غَيْرَ طَوِيلٍ. ثُمَّ تَصِيرُ الشُّؤُونُ إِلَى حَقَائِقِهَا وَأَصُولِهَا. فَمَا كَانَ مِنَ الْأَمْرِ بُنْيَ عَلَى غَيْرِ أَرْكَانٍ وَثِيقَةٍ، وَلَا عِمَادٍ^(٩) مُحْكَمٍ، أَوْشَكَ أَنْ يَتَدَاعَى وَيَتَصَدَّعَ.

(١) الذي عليهم: أي ما عليهم أن يؤدوا من المال الملك.

(٢) السلطان: السلطة والولاية.

(٣) الجدة: حالة الشيء الجديد.

(٤) جزوا: كافأوا.

(٥) النيل: العطاء.

(٦) أنجح: نجح.

(٧) استنم: اطمأن.

(٨) قبلهم: أي عندهم.

(٩) العمد: الأبنية الرفيعة، يذكر ويؤنث، مفردة عمادة.

صحبة والي السوء:

إِنْ ابْتُلِيتَ بِصُحْبَةِ وَايٍ لَا يُرِيدُ صَلَاحَ رَعِيَّةٍ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ خُيِّرْتَ بَيْنَ خَلَّتَيْنِ^(١) لَيْسَ بَيْنَهُمَا خِيَارٌ^(٢): إِمَّا مَيْلُكَ مَعَ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَهَذَا هَلَاكُ الدِّينِ؛ وَإِمَّا الْمَيْلُ مَعَ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي، وَهَذَا هَلَاكُ الدُّنْيَا؛ وَلَا حِيلَةَ لَكَ إِلَّا بِالْمَوْتِ أَوْ الْهَرَبِ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكَ، وَإِنْ كَانَ الْوَالِي غَيْرَ مَرْضِيٍّ السَّيْرَةَ إِذَا عَلِقْتَ جِبَالِكَ بِحَبْلِهِ، إِلَّا الْمُحَافَظَةُ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ تَجِدَ إِلَى الْفِرَاقِ الْجَمِيلِ سَبِيلًا.

مصانعة الملوك:

لَا تَكُونَنَّ صُحْبَتُكَ لِلْمُلُوكِ إِلَّا بَعْدَ رِيَاضَةٍ مِنْكَ لِنَفْسِكَ عَلَى طَاعَتِهِمْ فِي الْمَكْرُوهِ عِنْدَكَ، وَمُوَافَقَتِهِمْ فِيمَا خَالَفَكَ، وَتَقْدِيرِ الْأُمُورِ عَلَى مَيْلِهِمْ دُونَ مَيْلِكَ؛ وَعَلَى أَنْ لَا تَكْثُمَهُمْ سِرَّكَ، وَلَا تَسْتَطْلِعَ مَا كَتَمُوهُ، وَتُخْفِيَ مَا أَطْلَعُوكَ عَلَيْهِ مِنْ النَّاسِ كُلِّهِمْ، حَتَّى تَحْمِيَ نَفْسَكَ الْحَدِيثَ بِهِ؛ وَعَلَى الْاجْتِهَادِ فِي رِضَاهُمْ، وَالتَّلَطُّفِ^(٣) لِحَاجَاتِهِمْ، وَالتَّشْبِيتِ لِحُجَجَتِهِمْ، وَالتَّصَدِيقِ لِمَقَالَتِهِمْ، وَالتَّزْيِينِ لِرَأْيِهِمْ؛ وَعَلَى قِلَّةِ الاسْتِقْبَاحِ لِمَا فَعَلُوا، إِذَا أَسَاءُوا، وَتَرْكِ الاسْتِحْسَانِ^(٤) لِمَا فَعَلُوا، إِذَا أَحْسَنُوا، وَكَثْرَةِ النَّشْرِ لِمَحَاسِنِهِمْ، وَحُسْنِ السَّتْرِ لِمَسَاوِيهِمْ، وَالمُقَارَبَةِ لِمَنْ قَارَبُوا، وَإِنْ كَانَ بَعِيدًا، وَالمُبَاعَدَةِ لِمَنْ بَاعَدُوا، وَإِنْ كَانُوا أَقْرَبَاءَ؛ وَالاهْتِمَامَ بِأَمْرِهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَهْتَمُّوا بِهِ، وَالحِفْظَ لَهُ، وَإِنْ ضَيَّعُوهُ، وَالدَّكْرَ لَهُ، وَإِنْ نَسُوهُ؛ وَالتَّخْفِيفَ عَنْهُمْ لِمُؤَوَّنَتِكَ، وَالاحْتِمَالَ لَهُمْ كُلَّ مَوْوَنَةٍ؛ وَالرَّضَى عَنْهُمْ بِالْعَفْوِ^(٥)، وَقِلَّةِ الرِّضَى مِنْ نَفْسِكَ لَهُمْ

(١) خلتين: خصلتين.

(٢) ليس بينهما خيار: أي ليس بينهما اختيار لشيء سواهما.

(٣) التلطف: الترفق.

(٤) وترك الاستحسان: أي وعلى قلة ترك الاستحسان.

(٥) المراد: أن تظهر رضاك لأن عفوهم يشملك.

بالمَجْهُودِ^(١). فَإِنْ وَجَدْتَ عَنْهُمْ وَعَنْ صُحْبَتِهِمْ غِنًى، فَأَغْنِ عَنْ ذَلِكَ نَفْسَكَ، وَاعْتَزِلْهُ^(٢) جُهْدَكَ. فَإِنْ مَنِ يَأْخُذُ عَمَلَهُمْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَذَّةِ الدُّنْيَا، وَعَمَلِ الْآخِرَةِ. وَمَنْ لَا يَأْخُذُ بِحَقِّهِ^(٣) يَحْتَبِلُ الْفُضِيحَةَ فِي الدُّنْيَا، وَالْوِزَرَ^(٤) فِي الْآخِرَةِ. إِنَّكَ لَا تَأْمَنُ أَنْفَهُمْ^(٥)، إِنْ أَعْلَمْتَهُمْ^(٦)، وَلَا عَقَوِيَّتَهُمْ، إِنْ كَتَمْتَهُمْ. وَلَا تَأْمَنُ غَضَبَهُمْ، إِنْ صَدَقْتَهُمْ. وَلَا تَأْمَنُ سَلَوَتَهُمْ^(٧)، إِنْ حَدَّثْتَهُمْ. إِنْ لَزِمْتَهُمْ، لَمْ تَأْمَنُ تَبَرُّمَهُمْ^(٨) بِكَ. وَإِنْ زَايَلْتَهُمْ^(٩) لَمْ تَأْمَنُ عِقَابَهُمْ. إِنَّكَ إِنْ تَسْتَأْمِرَهُمْ^(١٠) حَمَلْتَ الْمَوْوَنَةَ عَلَيْهِمْ؛ وَإِنْ قَطَعْتَ الْأَمْرَ دُونَهُمْ لَمْ تَأْمَنَ فِيهِ مُخَالَفَتَهُمْ. إِنَّهُمْ إِنْ سَخِطُوا عَلَيْكَ أَهْلَكَوكَ. وَإِنْ رَضُوا عَنْكَ تَكَلَّفْتَ مِنْ رِضَاهُمْ مَا لَا تُطِيقُ. فَإِنْ كُنْتَ حَافِظاً إِنْ بَلَوَكَ^(١١)، جَلْداً^(١٢) إِنْ قَرَّبُوكَ، أَمِيناً إِنْ ائْتَمَنُوكَ، تَشْكُرُهُمْ وَلَا تُكَلِّفُهُمْ الشُّكْرَ، بَصِيراً بِأَهْوَائِهِمْ، مُؤَثِّراً لِمَنَافِعِهِمْ، ذَلِيلاً إِنْ ظَلَمُوكَ، رَاضِياً إِنْ أَسَخَطُوكَ؛ وَإِلَّا فَالْبُعْدُ مِنْهُمْ كُلِّ الْبُعْدِ، وَالْحَذَرُ كُلُّ الْحَذَرِ.

معاملة الناس:

أَبْذُلْ لَصَدِيقِكَ دَمَكَ وَمَالَكَ، وَلَمَعْرِفَتِكَ^(١٣) رِفْدَكَ^(١٤)

(١) أي أن لا تظهر الرضى عن نفسك مهما تبذل في خدمتهم من المجهود.

(٢) واعتزله: أي اعتزل ذلك.

(٣) بحقه: أي بحق عملهم.

(٤) الوزر: الإثم.

(٥) أنفهم: استكبارهم واستنكافهم.

(٦) إن أعلمتهم: أي أعلمتهم الحق في عملهم الذي تتولى أمره.

(٧) سلوتهم: نسيانهم إياك وتسليمهم بسواك.

(٨) تبرمهم: تضجرهم.

(٩) زايلتهم: فارقتهم.

(١٠) تستأمرهم: تشاورهم.

(١١) بلوك: جربوك.

(١٢) جلدأ: قوياً شديداً.

(١٣) معرفتك: أي من تعرفه من الناس.

(١٤) رفدك: عطاءك.

وَمَحْضَرُكَ^(١). وَلِلْعَامَّةِ بِشْرُكَ وَتَحَثُّنُكَ. وَلِعَدُوكَ عَدْلُكَ. وَاضْنُ^(٢) بَدِينِكَ
وَعِزُّضِكَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ.

انتحال الكلام:

إِنْ سَمِعْتَ مِنْ صَاحِبِكَ كَلَاماً أَوْ رَأياً يُعْجِبُكَ، فَلَا تَنْتَحِلْهُ تَزِيناً بِهِ عِنْدَ
النَّاسِ؛ وَاكْتَفِ مِنَ التَّزِينِ بِأَنْ تَجْتَنِي الصُّوَابَ، إِذَا سَمِعْتَهُ، وَتَنْسُبَهُ إِلَى
صَاحِبِهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ انْتِحَالَكَ ذَاكَ سَخَطَةٌ لَصَاحِبِكَ، وَأَنَّ فِيهِ، مَعَ ذَلِكَ، عَاراً؛
فَإِنْ بَلَغَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تُشِيرَ بِرَأْيِ الرَّجُلِ وَتَتَكَلَّمَ بِكَلَامِهِ، وَهُوَ يَسْمَعُ،
جَمَعْتَ، مَعَ الظُّلْمِ، قِلَّةَ الْحَيَاءِ؛ وَهَذَا مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ الْفَاشِي بَيْنَ النَّاسِ.
وَمِنْ تَمَامِ حُسْنِ الْخُلُقِ وَالْأَدَبِ أَنْ تَسْخَوْ نَفْسُكَ لِأَخِيكَ بِمَا انْتَحَلَ مِنْ
كَلَامِكَ وَرَأْيِكَ، وَتَنْسُبَ إِلَيْهِ رَأْيَهُ وَكَلَامَهُ، وَتُزَيِّنَهُ، مَعَ ذَلِكَ، مَا اسْتَطَعْتَ.

حسن الاستماع:

تَعَلَّمْ حُسْنَ الاسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الْكَلَامِ. وَمِنْ حُسْنِ الاسْتِمَاعِ
إِمْهَالُ الْمُتَكَلِّمِ حَتَّى يَقْضِيَ حَدِيثَهُ، وَقِلَّةُ التَّلَفُّتِ إِلَى الْجَوَابِ، وَالْإِقْبَالُ
بِالْوَجْهِ وَالنَّظَرِ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ، وَالْوَعْيُ لِمَا يَقُولُ.

(١) محضرك: حضورك.

(٢) واضنن: وابخل.

مختارات فلسفية

الفارابي

نظام المدينة الفاضلة

والمدينة الفاضلة تشبه البلان التام الذي تتعاون أعضاؤه كلها على تتميم حياة الحيوان، وعلى حفظها عليه. وكما أن البدن: أعضاؤه مختلفة متفاضلة الفطرة والقوى، وفيه عضو واحد رئيس هو القلب، وأعضاؤه تقرب مراتبها من ذلك الرئيس، وكل واحد منها جعلت فيه بالطبع قوة يفعل بها فعله، ابتغاء لما هو بالطبع غرض ذلك العضو الرئيس، وأعضاء آخر فيها قوى تفعل أفعالها على حسب أغراض هذه التي ليس بينها وبين الرئيس واسطة... ثم هكذا إلى أن تنتهي إلى أعضاء تخدم ولا ترئس أصلاً، فكذلك المدينة، أجزاؤها مختلفة الفطرة، متفاضلة الهيئات، وفيها إنسان هو رئيس، وأخر تقرب مراتبها من الرئيس. وفي كل واحد منها هيئة وملكة يفعل بها فعلاً يقتضى به ما هو مقصود ذلك الرئيس، ودون هؤلاء قوم يفعلون الأفعال على حسب أغراض هؤلاء... ثم هكذا تترتب أجزاء المدينة إلى أن تنتهي إلى آخر يفعلون أفعالهم على حسب أغراضهم، فيكون هؤلاء هم الذين يخدمون ولا يُخدمون، ويكونون في أدنى المراتب.

ورئيس المدينة الفاضلة ليس يمكن أن يكون أي إنسان اتفق، لأن الرئاسة إنما تكون بشيئين: أحدهما أن يكون بالفطرة والطبع معداً لها، والثاني بالهيئة والملكة والإرادة... ينبغي أن يكون إنساناً قد استكمل فصار عقلاً ومعقولاً بالفعل، قد استكملت قوته المتخيلة بالطبع غاية الكمال... وتكون هذه القوة معدة بالطبع لتقبل، إما في وقت اليقظة أو في وقت النوم،

من العقل الفعال الجزئيات، إما بنفسها وإما بما يحاكيها، ثم المعقولات بما يحاكيها، وأن يكون عقله المنفعل قد استكمل المعقولات كلها وصار عقلاً بالفعل. فأى إنسان استكمل عقله المنفعل بالمعقولات كلها، وصار عقلاً بالفعل ومعقولاً بالفعل حصل له حينئذ عقل ما بالفعل، رتبته فوق العقل المنفعل، وأتم وأشد مفارقةً للمادة ومقاربة من العقل الفعال، ويسمى العقل المستفاد، ويصير متوسطاً بين العقل المنفعل والعقل الفعال، ولا يكون بينه وبين العقل الفعال شيء آخر.

وإذا حصل ذلك في جزئي قوته الناطقة: النظرية والعملية، ثم في قوته المتخيلة، كان هذا الإنسان هو الذي يوحى إليه... يتوسط العقل الفعال، فيكون ما يفيض من الله، تبارك وتعالى، إلى العقل الفعال، يفيضه العقل الفعال إلى عقله المنفعل بتوسط العقل المستفاد ثم إلى قوته المتخيلة، فيكون بما يفيض منه إلى عقله المنفعل حكيماً فيلسوفاً ومتعقلاً على التمام، وبما يفيض منه إلى عقله المنفعل حكيماً فيلسوفاً ومتعقلاً على التمام، وبما يفيض منه إلى قوته المتخيلة نبياً منذراً بما سيكون.

فهذا الإنسان هو في أكمل مراتب الإنسانية وفي أعلى درجات السعادة، وتكون نفسه كاملة متحدة بالعقل الفعال. فهذا هو الرئيس الذي لا يرثه إنسان آخر أصلاً، وهو الإمام، وهو الرئيس الأول للمدينة الفاضلة، وهو رئيس الأمة الفاضلة، ورئيس المعمورة من الأرض كلها. ولا يمكن أن تصير هذه الحال إلا لمن اجتمعت فيه اثنتا عشرة خصلة فطر عليها:

- ١ - أن يكون تام الأعضاء.
- ٢ - أن يكون بالطبع جيّد الفهم والتصور لكل ما يقال له.
- ٣ - أن يكون جيّد الحفظ لما يفهمه، ولما يراه ولما يسمعه.
- ٤ - أن يكون جيّد الفطنة ذكياً.
- ٥ - أن يكون حسن العبارة، يؤاتيه لسانه على إيانة كل ما يضمّره إجابة جيدة.
- ٦ - أن يكون محباً للتعليم، والاستفادة متقاداً له.

- ٧ - أن يكون غير شره، متجنباً بالطبع للعب.
- ٨ - أن يكون محباً للصدق وأهله مبغضاً للكذب وأهله.
- ٩ - أن يكون كبير النفس محباً للكرامة.
- ١٠ - أن يكون الدرهم والدينار وسائر أغراض الدنيا هينة عنده.
- ١١ - أن يكون محباً للعدل وأهله، مبغضاً للجور وأهله.
- ١٢ - أن يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل، جسوراً عليه مقداماً.



ابن سينا

النفس

هبطت إليك من المحل الأرفع	ورقاء ذات تعزُّز وتمنُّع ^(١)
محجوبة عن كل مقلة عارف	وهي التي سفرث ولم تتبزق ^(٢)
وصلت على كثره إليك، وربما	كرهت فراقك وهي ذات تفجع ^(٣)
تبكي وقد ذكرت عهداً بالحمى	بمدامع تهمي ولما ثقلع
وتظل ساجدة على الدمن التي	درست بتكرار الرياح الأربع ^(٤)
إذ عاقها الشرك الكثيف وصدّها	قفص عن الأوج الفسيح الأزيع ^(٥)
حتى إذا قرب المسير من الحمى	ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع ^(٦)
وغدت مخالفة لكل مخلف	عنها حليف الترب غير مُشيع

-
- (١) الورقاء: الحمامة، شبه بها النفس الإنسانية، وهو هنا يعالج موضوع النفس على مذهب أفلاطون.
- (٢) العارف: صاحب المعرفة الصوفية - محجوبة عنه: لا يراها مع أنها سافرة لم تتعمد إخفاء نفسها، أي أنه يحس بوجودها ولا يراها.
- (٣) وصلت على كره: أي أنها في الأصل من غير عالم الطبيعة، فهي لم تأت إلا مجبرة بسبب إثمها الذي هو شوقها إلى معرفة النقص والشر في الطبيعة. فهي ألقت الجسد وأسرها حب الدنيا فغدت مولعة بأباطيل الحياة تأبى أن تفارقها.
- (٤) أي إذا حان أجلها حزنت على فراق الدنيا، وبكت عليها برغم ما يعتادها من كون وفساد. والدمن هي بقايا الخراب ويقصد بها الدنيا الرياح الأربع: هي العناصر الأربعة التي تتكون منها مخلوقات الدنيا وتنحل إليها.
- (٥) الشرك: حب الدنيا. القفص: الجسد الذي حُبست فيه النفس. الأوج الفسيح الأزيع: السماء العالية.
- (٦) المسير من الحمى: الرحيل عن الدنيا - الفضاء الأوسع: العالم الآخر.

هجمت، وقد كُشِفَ العطاء، فأبصرت
وغدت تُغَرِّدُ فوقَ ذُرْوَةِ شاهقٍ
فلأَيِّ شيءٍ أَهْبَطْتَ من شاهقٍ
إن كان أَهْبَطَها الإلهُ لحكمةٍ
وهبوطُها إن كان ضربة لازِبٍ
فتعودُ عالمةٌ لكلِّ خَفِيَةٍ
فكأنها برقٌ تَأْلُقُ بالجِمْى

ما ليس يُدْرِكُ بالعيونِ الهُجْعُ^(١)
والعلمُ يرفعُ كلُّ من لم يُرْفَعْ^(٢)
عالٍ إلى قعرِ الحضيضِ الأَوْضَعِ^(٣)
طويث على الفدِّ اللبيبِ الأَزْوَعِ
لتكون سامعةً بما لم تُسْمَعْ
في العالمين، فخرَّقها لم يُزْقَعْ^(٤)
ثم انطوى فكأنه لم يَلْمَعْ^(٥)



-
- (١) هجمت: رقدت، صرقت نظرها عن الدنيا. أي أنها إذا ما استغرقت في التأمل أبصرت من الحق ما لا تبصر في حال وعيها.
- (٢) العلم: علم الحق أو المعرفة الصوفية.
- (٣) يتساءل عن الحكمة الإلهية التي أرسلت بالنفس إلى هذا العالم ثم استعادتها منه.
- (٤) إن الغاية هي أن تختبر النفس حالات لم تعهدها في وجودها الأكمل.
- (٥) يشبه وجود النفس في عالم الدنيا بحصول البرق الخاطف، إذ تعود إلى عالمها السعيد وكأنها لم تهبط إلى هذا العالم.

الغزالي

من رسالة أيها الولد

أيها الولد لا تكن من الأعمال مفلساً ولا من الأحوال خالياً، وتيقن أن العلم المجرد لا يأخذ باليد... لو قرأت العلم مئة سنة وجمعت ألف كتاب، لا تكون مستعداً لرحمة الله تعالى إلا بالعمل، «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً، والإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، ودليل الأعمال أكثر من أن يحصى».

أيها الولد، العلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون.

أيها الولد، خلاصة العلم أن تعلم أن الطاعة والعبادة ما هي، واعلم أن الطاعة والعبادة متابعة الشارع في الأوامر والنواهي بالقول والفعل، يعني: كل ما تقول وتفعل وتترك يكون باقتداء الشرع.

أيها الولد، ينبغي لك أن يكون قولك وفعلك موافقاً للشرع، إذ العلم والعمل بلا اقتداء الشرع ضلالة. واعلم أن اللسان المطلق والقلب المطبق، المملوء بالغفلة والشهوة، علامة الشقوة. فإذا لم تقتل النفس بصدق المجاهدة لن يحيا قلبك بأنوار المعرفة.

أيها الولد، إنني أنصحك بأشياء أقبلها في لثلا يكون عملك خصماً عليك يوم القيامة، تعمل ببعضها وتدع بعضها.

١ - ترك المناظرة: لا تناظر أحداً في مسألة ما استطعتو لأن فيها آفات كثيرة، فإثمها أكبر من نفعها، إذ هي منبع كل خلق ذميم: كالرياء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمباهاة وغيرها. ثم لم وقع مسألة بينك وبين

شخص أو قوم، وكانت إرادتك فيها أن يظهر الحق ولا يضيع، جاز البحث، لكن لتلك الإرادة علامتان، إحداهما أن لا تفرّق بين أن ينكشف الحق على لسانك أو على لسان غيرك، والثانية أن يكون البحث في الخلاء أحبّ إليك من أن يكون في الملاء.

٢ - الاتعاض قبل الوعظ: ينبغي أن تحذر من أن تكون واعظاً ومذكراً، لأن فيه آفات كثيرة، إلا أن تعمل بما تقول أولاً ثم تعظ به الناس.

٣ - اعتزال العظما ورفض عطائهم: ينبغي ألا تخالط الأمراء والسلاطين ولا تراهم، لأن في ذلك آفة عظيمة. وإذا ابتليت بها دع عنك مدحهم وثناءهم، لأن الله تعالى يغضب إذا مدح الفاسق والظالم. ولا تقبل من عطائهم وهداياهم لأن الطمع منهم يفسد الدين إذ يتولّد منه المداينة ومراعاة جانبهم والموافقة على ظلمهم.

٤ - عامل كما تودّ أن تعامل: ينبغي أن تجعل معاملتك مع الله تعالى بحيث لو عاملك بها عبدك ترضى بها منه. والذي لا ترضى لنفسك من عبدك المجازي فلا ترضى أيضاً لله تعالى وهو سيّدك الحقيقي. فكل ما عملت بالناس اجعله كما ترضى لنفسك منهم، لأنه لا يكمل إيمان عبد حتى يُحبّ لسائر الناس ما يحب لنفسه.

أيها الولد، إني كتبت في هذا الفصل ملتمساتك، فينبغي لك أن تعمل بها.



المحتويات

٥	* الفصل الأول: العصر الجاهلي
٧	الشعراء الصعاليك
١٠	شعراء المعلقات
١٦	الشعراء الفرسان
٢٠	سائر شعراء العصر الجاهلي
٢٧	النثر الجاهلي
٢٩	● نماذج من العصر الجاهلي
٢٩	امرؤ القيس
٣٥	عترة بن شداد
٤٠	طرفة بن العبد
٤٥	زهير بن أبي سلمى
٤٩	لبيد بن ربيعة
٥٢	عمرو بن كلثوم
٥٦	الحارث بن حلزة
٥٩	النابغة الذبياني
٦٧	* الفصل الثاني: العصر الإسلامي
٦٩	الشعر في صدر الإسلام
٧٦	الغزل الأموي
٨٢	الشعر السياسي
٨٩	الخطابة في العصر الإسلامي
٩٥	● نماذج من العصرين الإسلامي والأموي
٩٥	كعب بن زهير

الأخطل	٩٧
الفرزدق	١٠٢
جميل بن معمر	١٠٥
عمر بن أبي ربيعة	١٠٦
* الفصل الثالث: العصر العباسي	١٠٩
شعراء العصر العباسي	١١١
أعلام الشعر العباسي	١٣٣
فلاسفة العصر العباسي	١٣٧
• نماذج من العصر العباسي	١٤٢
بشارة بن برد	١٤٣
أبو العتاهية	١٤٨
أبو تمام	١٥١
أبو نواس	١٦٠
البحتري	١٦١
المتنبي	١٦٩
أبو فراس الحمداني	١٨٩
ابن الرومي	١٩٥
أبو العلاء المعري	١٩٩
الجاحظ	٢٠٩
ابن المقفع	٢٢٢
الفارابي	٢٣٢
ابن سينا	٢٣٥
الغزالي	٢٣٧